

حسن البنا

الذي لا يعرفه أحد

حلمى النمنم

مكتبة مديوني



حسن البنا الذي لا يعرفه أحد

تأليف
حلمي النمنم

الناشر
مكتبة مدبولي
2011

النممن ، حلمي.

حسن البنا .. الذي لا يعرفه أحد / تأليف : حلمي النممن.

ط ١. - القاهرة : مكتبة مديبولي ، ٢٠١١ م.

٢٦٤ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم .

تدمك : 6 - 907 - 208 - 977 - 978

١ - الإخوان المسلمون

٢ - الإسلام - تراجم

٣ - البنا ، حسن ، ١٩٠٦ م - ١٩٤٩ م

أ - العنوان .

ديوى ٢١٧.٦

رقم الإيداع : ٢٤٦٨٥ - ٢٠١١ م

مكتبة مديبولي

٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة

ت : ٢٠١١ - ٢٥٧٥٦٤٢١ - فاكس : ٢٥٧٥٢٨٥٤

الموقع الإلكتروني : www.madboulybooks.com

البريد الإلكتروني : Info@madboulybooks.com

الإخراج الداخلي : مكتب النصر - تليفون : ٠١٤١٠١٣٣٢

الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر
عن وجهة نظر المؤلف ولا تعبر
بالضرورة عن وجهة نظر الناشر .

المقدمة

من بين رموز الحركة الإسلامية المعاصرة بقيت مشاعر عرى محابدة نجماء الشيخ حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين، فلا أُنَّ تعاطفت معه وأحبيته مثل الإمام محمد عبده وغيره، ولا أُنَّ انتقدته أو هاجمته كما فعلت مع بعضهم، وفي نهاية السبعينيات ومطلع الثمانينيات، حين كنت في مرحلة الطلب بالجامعة، كانت رسائل حسن البنا متوفرة، فقد كانت الجماعة الإسلامية منذ أن أُنَّج لأعضائها السيطرة على الاتحادات الطلابية، تنشر بعميرانية الاتحاد أعمال البنا وسيد قطب وغيرهما بدلاً من أن توظف هذه الميزانية في الأنشطة والخدمات الطلابية، وحاولت أن أقرأ رسائل البنا، لكنها لم تستهوني، فلم أجد فيها حرارة أسلوب سيد قطب وصوته، ولا لمحت فيها جهد الباحث والعالم كما هي الحال في بعض أعمال الشيخ محمد الغزالي التي أُنَّج لي قراءتها في ذلك الوقت، كنت أشعر أنه متعجل في الكتابة، ونفتقد كلماته إلى الضبط المنهجي والعلمي، واستشهاده بالآيات القرآنية لا تنم عن فهم عميق للقرآن الكريم، وغالباً تأنى استشهاده في غير مواضعها؛ لذا تركته وترك أعماله، ولم أشغل به... ثم فرضت على الظروف أن أقرأ أعماله كلها، متتصف التسميعيات، حين كنت أعدد كتابي عن سيد قطب وثورة يوليو... ولم يكن هو الهدف، كنت أحاول التعرف على العالم الذي ألقى سيد قطب نفسه فيه، نهاية الأربعينيات، خاصة أن سيد قطب له مقالاً مطولاً عن حسن البنا، حمل عنوان «حسن البنا وعبقريته البناء».

وكنْتُ ألاحظ حب الإخوان الذي يصل حد التقديس لمرشدتهم حسن البنا، ومن يراجع سجل الإنتاج العلمي وأعمال الإخوان لن يجد أنهم أصدروا كتاباً يمكن الوقوف أمامه عن حياة وسيرة النبي محمد ﷺ، ولا كتاباً ذا قيمة عن أبي بكر الصديق، أول الراشدين والذي لولاه لتبدد الإسلام بعد وفاة النبي، وهكذا الحال

بالنسبة إلى شخصيات عظيمة ومؤثرة في تاريخ الإسلام كله، بينما أصدروا العديد من الكتب والدراسات عن حياة البنا وسيرته، ومنحوه صفات مذهلة يصعب أن تجتمع في إنسان، وكانت بعض الآراء فيه والتصورات عنه تحمل قدراً من الشطط.. فهناك كتاب صدر للأطفال الصغار عنوانه «حسن البنا.. منشئ الدعوة الإسلامية» ولو صح هذا، وهو غير صحيح، فإذا عن النبي محمد وماذا عن صحابته رضوان الله عليهم ؟! ومع هذا كنت أقهم ذلك على أنه جزء من ظاهرة عامة، لدى الكثيرين في مختلف التيارات الفكرية والسياسية، حيث يركز كل منها عن شخص أو رمز، جعلوه قيلتهم، وعادة ما ينتمى ذلك الشخص الرمز إلى مرحلة مضت، الوفديون تسمر وعيهم عند سعد زغلول وسنوات العشرينيات من القرن العشرين، الناصريون أو بعضهم فعلوا الشيء نفسه مع جمال عبد الناصر، وهكذا..

وفي كل مؤتمرات جماعة الإخوان المسلمين وندواتهم ومطبوعاتهم تجد صور حسن البنا وبعض كلمات له ولن تجد شيئاً من ذلك بالنسبة إلى من تلاه من مرشدي الجماعة، وللوهلة الأولى يبدو ذلك مستغزاً للمراقب من بعيد، لكن في أدبيات الجماعة، فإن شخصية حسن البنا أو الإمام الشهيد تكاد أن تكون مقدسة، والغريب في الأمر أنه لم يكن كذلك في حياته، فقد اختلف معه بعض الإخوان وانشق عنه بعضهم، وهاجمه عدد منهم، وصل الأمر أن أحمد السكري، الذي كان الرجل الثاني في الجماعة وشريك حسن البنا في تأسيسها ورفيق عمر البنا اتهمه بالكذب وبأشياء أخرى، وطعن بعضهم في ذمته المالية، واتهمه كل من انشق عن الجماعة بالنسب والدكتاتورية، وأنه يتحدث عن الشورى لكنه لا يعملها بالمرّة، أما بعد عودة الإخوان إلى النشاط في السبعينيات فقد اجتهدوا في تقديم مرشدتهم الأول، في صورة الإنسان المثالي، لن تسمع منهم أنه وقع في هفوة أو ارتكب خطأ ولو صغيراً.. وهو أمر يصعب أن نجده في تناول سيرة أي إنسان مهما كان، فلا يوجد إنسان مضت حياته بلا خطأ ارتكبه، حتى لو كان خطأ صغيراً.. والحديث النبوي يقول: كل بني

وهم أتباعه..

لكن في نهاية عام ٢٠٠٨م كان لا بد من التركيز على حياة وشخصية حسن البنا، ففي ديسمبر من نفس السنة مر ستون عامًا على اغتيال رئيس الوزراء محمود فهمى النقراشى، وكان النقراشى في جيله واحداً من رموز الوطنية المصرية، شارك في ثورة ١٩١٩م وأصدر الإنجليز بحقه حكماً بالإعدام، ثم انشق عن الوفد مؤسساً الحزب السعدى، بعد أن رأى أن هو وصديقه د. أحمد ماهر أن وفد النحاس باشا يتمتع عن مبادئ الوفد الأولى، خاصة في القضية الوطنية، وقد قام الإخوان باغتياله في ديسمبر ١٩٤٨م إثر إصداره قراراً بحل الجماعة، وكان مرور ستين عامًا على اغتياله مدعاة إلى الحديث عنه، وإذا بعدد من كتاب جماعة الإخوان يكتبون أن النقراشى كان ذا ميول صهيونية، وهذا يعنى أنه ليس هناك من جانبهم أسف حقيقى على اغتياله، بل إنه طبقاً لذلك التوصيف يستحق الاغتيال، وكان ذلك مستفزاً بالفعل، كنت أتصور أن تكون المناسبة فرصة لنقد ذاتى تقوم به الجماعة لنفسها ولسلوكها في مرحلة معينة، لكن إذا هم يصرون على موقفهم، فلا قاموا بمراجعة ولا نقد ذاتى، بل تكريم - ضمنى - لمبدأ العنف وتصفية الخصوم جسدياً، ثم تصفيتهم معنويًا، فالنقراشى كان وطنيًا، وتغوينه أو تجريدته من وطنيته وتكفيره أو تجريدته من عقيدته، أخطر كثيراً من اغتياله بالرصاصة، وهكذا وجدتني أخوض في شؤون الجماعة وتاريخها، خاصة تاريخ التنظيم الخاص الذى قام بعملية التصفية، وما ترتب عليها

من تصفية حسن البنا نفسه، باختصار دم بدم .. ورأس برأس أو رجل أمام رجل، كما هي قاعدة النار في الصعيد والريف المصري، حتى يومنا هذا.

وجاءت العاصفة في صيف ٢٠١٠م، حين أعلن أن السيناريست التميز والكاتب النابه وحيد حامد يعد مسلسلاً تليفزيونياً يعرض خلال شهر رمضان المبارك عن «الجماعة»، يتناول فيه نشأة الجماعة والتركيـز على دور وشخصية حسن البنا، ولم يكن تسرب شيء عن مضمون العمل وتفصيلاته، لكن هبت عاصفة جماعة الإخوان المسلمين على وحيد تفتش في ضميره وفي نياته، وهاج وماج عدد من قيادات الجماعة يعترضون على تناول سيرة البنا في مسلسل.

نعرف أن الأزهر الشريف يحول دون ظهور النبي محمد ﷺ أو أى من الأنبياء على الشاشة، فضلاً عن كبار الصحابة، ترى هل صار حسن البنا في مقام الأنبياء والرسـل والشخصيات التي لا يجوز ظهورها على الشاشة؟^{١٢} وتبين أن الأمر ليس كذلك، هم يريدون كاتباً موالياً تاماً وتاباً لهم، يصنع أسطورة على الشاشة ولا يقدم إنساناً عادياً..

كان بداخلي قلق من نوع آخر، ذلك أن معظم كتاب الدراما عندنا حين يقدمون سيرة ذاتية لأى من الشخصيات المؤثرة على الشاشة يقعون في نمطية غريبة، يحاولون تحسين القبيح، وإخفاء الكثير من العيوب وإظهار الشخصية في أكمل صورة، وبذلك تخرج الشخصيات مصمتة غالباً، بلا نقاط ضعف وبلا أى خطأ، ونموذج ذلك مسلسل أم كلثوم ومسلسل عبد الحليم حافظ وغيرهما، وينتهى العمل إلى تكريس الصورة النمطية السائدة دون محاولة الوقوف على تفاصيلها، المهم انتظرت حتى بدأ عرض حلقات مسلسل الجماعة، ومن البداية كان أتباع الشيخ غاضبين، رغم أن وحيد في الحلقات الأولى خلق أسطورة اسمها الطفل حسن البنا، كان غضبهم فيما يبدو من أن «البنا» بالنسبة إليهم ملكية تامة لا يجوز لغيرهم الاقتراب

منها، وكنت أنا غاضباً، فقد جامل وحيد حسن البنا كثيراً، وأخذ برؤية البنا - نفسه - عن طفولته، وهي رؤية مليئة إعجاباً بالذات، وتواصلت الحلقات، وفيها بعد قال وحيد في لقاء تليفزيوني مع عمرو الليثي أنه أغضض عينيه عن أشياء كثيرة، وأنا أصدق تماماً، لكن لماذا فعل ذلك؟ هل الحملة التي شنت عليه في البداية جعلته هو يتهم نفسه بعدم الإنصاف فأثر أن يغمض عينيه عن كثير من الوقائع السلبية في حياة حسن البنا؟ هل تخوف لو ذكر تلك الوقائع وخاض في تفاصيلها أن يتهم منهم؟ وهل وهل؟

وبينما كانت حلقات المسلسل تعرض كنت أنا أعاود بحث كتابات حسن البنا وأحداث حياته وحياة الناس الذين احتكوا به وتعاملوا معه، وتواصل البحث شهوراً بعد انتهاء المسلسل وكانت فصول هذا الكتاب.

هي إذن قراءة جديدة لحسن البنا ومحاولة للبحث عن الوجه الآخر له، ليس وجه الأسطورة التي صاغها الأتباع والدارسون من جانب، أو الخصوم والكارهين من جانب آخر، فكل منهم لديه أسطورة خاصة بحياة ومسيرة حسن البنا.. هو إنسان بقدرات خاصة ومكونات ثقافية محددة في لحظة زمنية من تاريخ مصر .. مجتمعا ودولة وتاريخا.. لحظة متازمة بالاستعمار الأوروبي والفقر والتأخر.

الغريب في الأمر أن حسن البنا في أيامه الأخيرة وحين ضاقت به السبل واكتشف خطأ الطريق الذي سار بالجماعة فيه وشمى أن تعود به الأيام، يعد مائة أو مائتين من الشباب في الدين ويفقهون الناس ويتجنب طريق السياسة ...، بينما أتباعه يصرون على الطريق الذي اعترف البنا بخطأ السير فيه.

الْقَصْدُ الْإِسْلَامِيُّ

صعوبة الكتابة عن حسن البنا

• روايتان متناقضتان لواقعة واحدة في حياة المرشد المؤسس... هو من روى، فأيهما نأخذ؟!
يعاني كثيراً من يحاول دراسة حياة وتطور مرشد جماعة الإخوان المسلمين (المؤسس) حسن البنا، ذلك أن المصدر الوحيد أمام الباحث، هو ما كتبه البنا نفسه عن نفسه، خاصة في المراحل الأولى من حياته، فبعد أن أسس جماعته واشتبك في العمل العام باتت هناك أطراف أخرى يمكن الاستعانة بها ومراجعتها للمعرفة، لكن قبل ذلك، حين كان حسن البنا طفلاً وشاباً مغموراً يظل هو المصدر الأول، وأكاد أقول الأوحى عن نفسه، وقد دون هو ما أراد في كتابه الذي يحمل عنوان «مذكرات الدعوة والداعية».

والمعروف علمياً أن الكتابة من الذاكرة، تحمل المرء ينسى وربما يتناسى أشياء، وتلعب حالته النفسية والعقلية دوراً في عملية الكتابة، وحين أخذ حسن البنا يكتب مذكرات الدعوة والداعية، كان هو المرشد العام للجماعة وكان يخاطب بها جمهور الجماعة، وكذلك الجمهور الذي يود استقطابه نحو الجماعة، لذا نراه يكتبها وكأنه ولد ليكون مرشداً عائناً للجميع! وربما كانت ملاحظة شقيقه الأصغر جمال البنا مهمة هنا، إذ ذكر أن الدعوة تغلب على المذكرات وتزاحم الداعية، لتناكر أن طله حسين حين كتب «الأيام» لم يتردد في أن يقول لنا إنه وهو في الكتاب كان «يرشو» العريف ليعفيه من قراءة أجزاء القرآن يومئذ، وأنه - هو نفسه - حين عهد إليه العريف القيام عنه بمهمته تلقى هو الآخر رشاوى من بعض الصبية، ولم يجد غضاضة في أن يكتب

انہ عندما فشل في قراءة بعض سور القرآن حفظاً أمام والده، ذهب وضرب نفسه بالساطور، ولم يتردد في القول إنه في طفولته كان يكره عمه الذي كان ينهاكهم عليه بسبب فقدان بصره وإنه لم يكن يحب جده، فقد رآه تقبل الظل. لكن في مذكرات البيا نشعر بأنه الإنسان الكامل.. لم يكذب مرة واحدة.. لم يخطئ مرة.. لم تصدر عنه حقوة ولو صغيرة في حياته، لم يمر بلحظة ضعف واحدة، وهذا يلقي بمعبضهم على الباحث الذي يتناول حياته.

وراد الأمر صموية بعد النهاية المؤسفة لحياته، فقد أخضعت هذه النهاية حالة من القداسة عليه في نظر الذين عرفوه وتعاملوا معه.. حتى الذين اختلفوا بعد ذلك مع الجماعة وخرجوا عليها، راحوا يؤكدون لثباتهم بموهبة البناء، وأنهم خرجوا على الجماعة لأنها من بعده في ظل مرشدين آخرين خرجت عن خط المرشد العام المؤسس ولم تلتزم بتوجيه وروحه.. لذا كتبوا عنه أنه الإمام الشهيد.. اللهم الموهوب.. الرجل الرياني.. الرجل الثوري.. وغير ذلك من صفات قد لا يُمنح بعضها إلا للأشياء وللمرسلين، لقد وجدنا في السيرة النبوية أن المحيطين برسول الله - صلى الله عليه وسلم - كانوا يختلفون معه أحياناً فيما لم يرد فيه وحيي.. واعتبروا بأن الرسول لم يكن معصوماً فيما هو خارج الوحي والتكليف الإلهي.. ونموذج ذلك ما جرى في غزوة أحد.. ونعرف أنه بعد إحدى الغزوات وقف الرسول يوزع الغنائم فقال له أحدهم: اعدل يا محمد فإنك لم تعدل، ونعرف كذلك من السيرة النبوية أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مر بلحظات بأس شديدة (رعى إن لم يكن بك غضب على فلا أبالي) وشعر بالإحباط في بعض المواقف، لكن شيئاً من هذا لن نجده في سيرة حسن البناء، هو في نظر نفسه وفي نظر جماعته «الإنسان الكامل» وقد يزيد عن ذلك عند بعضهم.

هذا كله يزيد عبء الباحث، خاصة أن الجماعة لا تتسامح مع أي انتقاد للمرشد المؤسس وتمارس ضغطاً معنوياً رهيباً على من يحاول الاقتراب أو الكتابة

بغير انبهار، لذا لم نجد تعاملاً علمياً حقيقياً مع حياة النينا إلى اليوم، إلا في حالات نادرة، مثلاً هو يذكر أنه لم يكن قد أتم حفظ القرآن الكريم وهو في سن الرابعة عشرة بمدة المحمودية، وهي سن متأخرة ليمس الطفل حفظ القرآن الكريم فيها، ففي ذلك الوقت كانت السن النموذجية لحفظ القرآن هي التاسعة من العمر، إن كان الطفل متميزاً. وبعد ذلك بعامين للطفل العادي، أما ما دون ذلك فيعني أن الطفل ليس مهتماً بالحفظ أو ليس ناهياً، وبمعنى آخر قد يكون «العبث»، أي يفضل اللعب عن المداومة على الحفظ، وربما كان «بليداً» بالفعل، وهي درجة من درجات الكسل العقلي... ترى ماذا كان عليه الطفل حسن، وما الذي أخره هكذا في حفظ القرآن الكريم، حتى أنه حفظ ثلاثة أرباع القرآن فقط في تلك السن؟ ألا ينبغي ذلك عنه ما ذكره هو من اهتمامه البالغ بنشر التدين منذ الطفولة وتشكيل جمعية لإجبار الناس على ذلك؟!

نعرف أن حسن النينا الذي ولد سنة ١٩٠٦م، كان الابن «البكري» لوالديه، ومثل هذا الابن يكون - غالباً - مدللاً في طفولته، هو مناط بهجة الوالدين والأهل جميعاً، فهل كان حسن مدللاً في طفولته، وهذا ما جعله يتأخر في حفظ القرآن الكريم، عن مناظرته من أبناء جيله. طه حسين، الذي ولد في نوفمبر ١٨٨٩م وفي سنة ١٩٠٠م كان قد أتم حفظ القرآن الكريم، رغم أنه كان ضريباً، وكانت ظروفه بالكتاب تعسة للغاية.. فما بالنا بمن لم يكن كذلك؟! عمومتا هو يحادثنا عن تلك التجربة بأنه كان في «كتاب» الشيخ محمد زهران أو ما يسميه هو «مدرسة الرشاد»، وأنه قضى بها أربع سنوات من الثامنة وحتى الثانية عشرة، ثم ترك الشيخ المدرسة واشغل بأمور أخرى، لكنه عهد بها إلى غيره من «المرفاء»، فلم ينسجم معهم؛ ولذا قرر أن يترك هذه المدرسة، رغم أنه كان قد وصل في الحفظ إلى سورة الإسراء فقط، أي نصف القرآن الكريم تقريباً، مما أثار حزن والده، لكنه تعهد له أن يتم الحفظ مع نفسه وفي المنزل!! والواقع أن أربع سنوات كانت كافية جداً للطفل لكي يتعلم حروف الهجاء نطقاً وكتابة ثم يتطرق إلى كتاب الله حفظاً، وتكون القدرة على الحفظ

كبيرة في السن الصغيرة، تشعروني رواية حسن البناء هناك شيئاً غامضاً أو غير واضح، هو بوجز بشدة ولا يقول كل شيء. فحتى التحاقه بمدارسه المعلمين بدهش لم يكن قد أتم حفظ القرآن الكريم. رغم أنه كان قد تجاوز الرابعة عشرة من عمره بتصنف عام

يذكر البيا أنه ترك الكتاب والتحق بالمدرسة الإعدادية، كان ذلك وعمره ١٢ عامًا، أي نحو سنة ١٩١٨م. ونعرف من تاريخ التعليم أن نظام الإعدادية أدخل في التعليم بعد ثورة ١٩٥٢م. على عهد الوزير كمال الدين حسين، أما قبلها فكانت هناك المدارس الإلزامية والابتدائية ثم الثانوية وبعدها التوجيهية، صحيح أنه يستلزم ويقول: «المدرسة الإعدادية - حينذاك - على غرار المدرسة الابتدائية اليوم بحذف اللغة الأجنبية وإضافة بعض مواد القوانين العقارية والمالية وطرف من فلاحه السابقين، مع التوسع نوعاً في دراسة علوم اللغة الوطنية والدين»، ويكرر بعد ذلك أن «الغلام» كان طالباً بالمدرسة الإعدادية، هو هنا يتحدث عن نفسه، ونلاحظ أن مواصفات المدرسة التي يتحدث عنها تنطبق على المدرسة الإلزامية، فلماذا ذكر الإلزامية، ولم يذكر الإلزامية؟ كان المعروف أن المدارس الإلزامية للتلاميذ الفقراء، وكانت - على الأغلب - بلا مصاريف، أما المدارس الابتدائية التي كان يتعلم بها الطفل اللغة الإنجليزية والحساب فكانت بالمصاريف، وكان معروفاً أن المدرسة الإلزامية تقدم تعليمًا عملياً، يتيح لمن يتخرج فيها أن يعمل موظفًا بسيطاً أو عاملاً. ومن الناحية الاجتماعية كان التعليم يحق في الأزهر أو في المدارس الابتدائية، وهو كانت لديه عقبة في الذهاب إلى الأزهر، وهي أنه لم يتم حفظ القرآن الكريم، أما الابتدائية فحتاج مصاريف، ونعرف أن والده كان فقيراً وكان كثير الإنجاب، ترى هل وجد المرشد العام وهو يكتب سنة ١٩٤٣م عن نفسه أنه لم يذكر حقيقة المدرسة الإلزامية فإن ذلك يحط من قدره ومن قيمته؟ وهل أراد أن يتهم من تلك الحقيقة، لما اخترع مقولة المدرسة الإعدادية؟ الطريف أنه فيها بعد وهو في «دار العلوم»

يتحدث عن أخيه عبدالرحمن الذي أنهى الدراسة بالمدرسة الابتدائية، وكان عليه أن ينتقل إلى القاهرة ليدرس الثانوية، دون ذكر لحكاية الإعدادية.

ومن الوقائع التي ترد في مذكرات الدعوة والداعية، ما يتعلق بالبعثة إلى الخارج فيقول «وقد وجدت عند بعض الإخوان الكرام فكرة التقدم بطلب الترشيح للبعثة إلى الخارج باعتبار أن ذلك من حق الأول في الدبلوم داخلاً». ويذكر أنه كان متردداً، لكن حسام الأمر بطريقة أخرى تلخص في أن «دار العلوم لم ترشح لهذا العام أحداً».

لكن تجد رواية مغايرة لدى د. إبراهيم بيومي مذكور في مذكراته «مع الأيام».. ومنها نستنتج أن حسن البنا لم يكن أول دفعته في الدبلوم كما يذكر، بل كان د. مذكور متقدماً عليه، يقولها د. مذكور بأسلوب بالغ التهذيب «لقد عرفت في مدرسة دار العلوم زملاء جدداً ممن مروا بالتهجيزية، واشترك بعضهم معي في فرقة واحدة. ومنهم حسن البنا الذي كان ينافسني في الدرس والتحصيل». أي أنه كان ينافسه، والمعنى أن مذكور كان هو المتفوق، ولا نعرف أن دار العلوم كانت ترسل الأول في الدبلوم إلى الخارج في بعثة، وفي العام التالي للتخرج رشح مذكور في «بعثة أميرية» إلى لندن، وحالت الظروف السياسية دون سفره، فقد كان والده وفدياً ولم تكن الحكومة وقتها وفدية، وضغط على والده كي يترك الوفد وإلا ألغيت بعثة ابنه، والغيت بالفعل.. أي أنه طبقاً لما ورد في مذكرات د. مذكور التي صدرت سنة ١٩٩٠م لم يكن الشيخ حسن البنا هو الأول على الدبلوم ولم يكن مطروحاً سفره إلى بعثة تعليمية بالخارج.

هذا التباين في الروايتين، يجعلنا - على الأقل - نتعامل بحذر ونشكك علمي فيها جاء بمذكرات الدعوة والداعية..

وهناك واقعة أخرى ترد في مذكرات الدعوة والداعية، تفرض علينا - مجدداً - التعامل مع المذكرات بحذر علمي، فهي - كما ذكرت من قبل - مكتوبة لجمهور التابعين واليهوديين ومقصود بها تضخيم الذات.

الواقعة تتعلق بزيارة على بك الكيلاني - مراقب التعليم الابتدائي بالإسكندرية. وتوجه إلى المدرسة التي كان يعمل بها حسن البنا مدرّساً للخط العربي، طبقاً لما ورد في المذكرات فإن شكوى وصلت إلى إسماعيل صدقي (باشا) رئيس الوزراء من الإسماعيلية ضد حسن أفندي البنا، تهمته بالشيوعة، وكان صدقي باشا جاثلاً في عمارة الشيوعة، فأحال الشكوى إلى وزير المعارف العمومية، ومن مسؤول إلى آخر بالوزارة، حتى انتهت إلى مراقب التعليم الابتدائي الذي كان عليه أن يحقق فيها بنفسه، فذهب إلى المدرسة وقابل البنا وقال له بالحرف الواحد: «جئت لأزورك فقط، فشكرت شخصياً فلا تعتبرها زيارة تفشيشية أو رسميات ولكن جئت لرؤيتك فقط، فشكرت له ذلك، وانتهزها فرصة وقلت له: ذلك جميل يا سيدى ومن حقى عليك إنعاماً للزيارة ورداً للجميل أن تزور بناء المسجد والمدرسة لترى بنفسك أثرًا من آثار هذه الدعوة والجماعة، فوعد بذلك آخر النهار... وقت الزيارة في الليلة نفسها واستمع إلى خطباء الإخوان، وقال كما يروى البنا في المذكرات: «عجيب، هذه أعجب مدرسة رأيته»، ولم يتالك نفسه بعد نهاية الخطب أن قام فتناول وسائلاً من أوسمة الإخوان، وكان شارة الإخوان إذ ذاك وسائلاً من الجوخ الأخضر كتب عليه الإخوان المسلمون، فلبسه وأعلن انضمامه إلى الجماعة وحيا المجتمعين بكلمات طيبات».

ولدينا روبة أخرى لزيارة على بك الكيلاني، يرويها حسن البنا بنفسه، في رسالة بعث بها إلى والده، وقد نشر هذه الرسالة جمال البنا في كتابه «خطابات من البنا الشاب إلى أبيه»، والرسالة بتاريخ ٢٢ شوال ١٣٤٩ هـ / مارس ١٩٣١ م، تبدأ الرسالة هكذا:

«سيدى الوالد المحبوب..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: فلعلكم جميعاً بخير ما أحب لكم هناءة وغططة. عندى بشرتان أقولها لكم مشفوعتين بحمد الله وشكره.. الأولى: إننا تسلمنا شية المبلغ وهو ٣٠٠ جنيه من الشركة» والقصود هنا مبلغ التبرع من شركة قناة

السويس، ولا نعرف هل هو بقية مبلغ الخمسمائة جنيه التي كانت تبرعاً لبناء المسجد، أم أنها تبرع آخر، خاصة أن مبلغ الخمسمائة جنيه كان المرشد اعتبره «دفعة أولى» أو بداية لتبرعات أخرى تليها، ما يعني في هذا السياق، البشري الثانية، لأنها تتعلق بزيارة على بك الكيلاني، يقول لوالده في الخطاب: «إن سعادة مراقب التعليم حضره الأعيان بك الكيلاني زار الإسماعيلية، وزار المدرسة وكان له بها حفل تكريم حضره الأعيان والموظفون، وكنت خطيب القوم، فسر الرجل سروراً جماً تضاعف بزيارته لي في الفصل، بما رأى من نظام ونشاط»، ويقول أيضاً: «ثم إنه زار في الليلة التالية المسجد ومدرسة التهذيب ومعه الأمور والمعاون ووكيل النيابة والناظر والمدرسون، فدهش لما رآه من نظام الجمعية والمسجد والمدرسة، ووقع في دفتر الزيارة ثم انتقل هو والمذيعون إلى بوفيه شاي وتناول الشاي في حفل عظيم، وخطب الإخوان خطباً وقصائد في الترحيب به، فزاده كل ذلك وقام محيياً الجمعية والإخوان».

نحن - هنا - يزاء رواية مغايرة تماماً، زيارة «البك» كما في الخطاب، لم تكن للتحقيق ولا للمساءلة ولا لإبداء الإعجاب بالمدرس، الزيارة كانت للإسماعيلية والمدرسة وكانت هناك حفلة لتكريمه معدة سلفاً، وزيارته للفصل كانت بعد أن استمع إلى خطبة ألقاها المدرس، أي أنها لم تكن واردة من قبل، ولا أنها زيارة للتحقيق وللمساءلة، ولو كانت للتحقيق لم يكن ليصعب فيها الأعيان وكبار الموظفين.. ولو كانت زيارة للمساءلة لوقع أوراًثاً أو كتب نتيجة التحقيق أو اتخذ أي قرار أو ترك وصية للناظر، ولنقل تعليمات إليه، لكن كما هو واضح من الخطاب أنها زيارة تكريمية معدة سلفاً، للمراقب العام، وأن البك خطط من قبل لزيارة المدينة والمدرسة ولم تكن «زيارة مفاجئة»، ولم يرد في الخطاب أن البك يادر بالانضمام إلى الجماعة، ولا إنه تناول شارة الجماعة وارتداها تلقائياً.. كما ذكر البناء في المذكرات.. ويعقب جمال البناء بعد نشر الخطاب بالقول: «وقد أصبح الأستاذ على الكيلاني بعد ذلك من الإخوان» وبالتأكيد لو أن البك انضم إلى الجماعة وهو في الإسماعيلية لأخبر

حسن البناء والده في خطابه، فلم يكن يخفى عنه شيئاً.. وكان يتفاخر في رسائله إليه بما يحققه وينجزه، والآن.. ونحن بإزاء روايتين لواقعة واحدة، بينهما تباين كبير واختلاف شديد، والراوى في الحالتين هو حسن البناء.. فأى الروائتين نأخذ وأيهما نستبعد؟ المعنى المهم هو أننا في تاريخنا ودراستنا لحياة ومسيرة حسن البناء، نقع أسرى أحادية المصدر - غالباً - وهذا المصدر هو حسن البناء نفسه.. ومن أسف أن بقية خطابات حسن البناء وأوراقه الخاصة في حوزة نجله إلى الآن، ولم ينح لأحد الاطلاع عليها ولا هو نشرها، هكذا قال جمال البنا في كتابه «خطابات حسن البناء الشاب إلى أبيه».

المذكرات تمثل إعجاباً بالذات، بل امتناً، والغريب أن الجميع أخذوا كل ما بها باعتباره حقيقة لا تقبل أى شك أو حتى مساءلة، مثلاً يحكى البنا حين ذهب إلى الإسماعيلية وأخذ يلقي الدروس بالقاهى فيقول عن نفسه: «كان المدرس دقيقاً في أسلوبه الفريد الجديد، فهو يتحرى الموضوع الذى سيتحدث فيه جيداً (...) وهو كذلك يتحرى الأسلوب فيجعله سهلاً جذاباً مشوقاً.. ألم يكن الأجدى أن يترك الآخرين أو لجمهوره والمستمعين إليه أو من تابعونه أن يطلقوا عليه هذه الصفات؟! وفي سياق آخر، يتحدث عما قام به تجاه أهالى الإسماعيلية أو بعضهم، ولنتذكر أنهم مسلمون موحدون، يقول: «سلك بهم المدرس مسلكاً عملياً بحثاً، إنه لم يعمد إلى العبارات بليتها أو إلى الأحكام المجردة يرددها، ولكن أخذهم إلى الحنفيات نواً، وصفهم صفّاً ووقف فيهم موقف المرشد إلى الأعمال عملاً عملاً، حتى أقنوا وضوءهم ثم دعا غيرهم، ثم غيرهم، وهكذا أصبح الجميع يتقنون الضوء عملاً».

ترى هل مطلوب منا أن نصدق ونقتنع بأن مواطنين مسلمين يعيشون في بلد مسلم بحاجة وهم في سن متأخرة إلى من يعلمهم الضوء أو إتقان الضوء؟!

ويحاول أن يمتح نفسه صفات أخرى، مثلاً حين كان يتبها لامتحان التقدم إلى دار العلوم، وكان قلقاً بشدة من امتحان النحو والصرف، فلم يكن يدرسه دراسة منتظمة، صحيح أنه حفظ ألفية ابن مالك، لكنه قلق، فهو لا يجيد قواعد النحو، ولتأمل كيف تجاوز هذه العقبة. يقول في مذكراته، إنه ليلة الامتحان تام، ورأى رؤية خاصة حلت له المشكلة: «رأيت فيها يرى النائم أنني أركب زورقاً لطيفاً مع بعض العلماء الفضلاء والأجلاء يسر بنا الهوينى في نسيم ورياء على صفحة النيل الجميلة، فتقدم أحد هؤلاء الفضلاء، وكان في رزي علماء الضعيف، وقال لي: أين شرح الألفية لابن عقيل؟ فقلت: ها هو ذا، فقال لي: تعال نراجع فيه بعض الموضوعات، هات صفحة كذا، وصفحة كذا، لصفحات عينها، وأخذت أراجع موضوعاتها حتى استيقظت مشرّحاً مسروراً، وفي الصباح جاء الكثير من الأسئلة حول هذه الموضوعات»، ثم ظهرت النتيجة ونجح! ترى أى معنى يصل إلى الفارئ هنا، خاصة إذا كان تلميذاً أو دارساً؟ اليس في ذلك دعوة إلى إهمال العمل، أى المذاكرة، وأن روي في المنام سوف تقوم عنه بكل شيء؟ ولئن نذهب - هنا - إلى ما يقوله علماء التحليل النفسي عن مثل هذا النوع من الأحلام والروى.

في المذكرات نجد ما يمكن أن يعد خفة أو استسهالاً في استعمال الآيات القرآنية الكريمة. من ذلك ما يورد حول شراء الأرض لبناء مسجد للجماعة بالإسكندرية، والذي حدث أنه وجد قطعة من الأرض وأعلنت الجماعة أنها سوف تشتريها أو تقبل التبرع، كانت القطعة ملك الحاج على عبد الكريم ويصفه بأنه «كان صالحاً محب الخير»، لذا تبرع بقطعة الأرض وكتبوا معه عقدًا ابتدئاً بالتنازل عنها، ولكن «أخذت عقارب الحسد والضعفية تدب في نفوس ذوي الأغراض» وما أن علموا بأن الشيخ على عبد الكريم تنازل عن قطعة الأرض حتى ضيقوا عليه الخناق وملؤوا نفسه بالشوايات والذمائم... (...) فكانت فتنة انتهت بأن سلمته ورقة التنازل عن طيب خاطر...، ووجدوا قطعة أرض اشتروها ودفعوا ثمنها. نحن إذن يازء رجل

تبرع ثم قرر التراجع أو لعله طلب ثمنًا لها، وهذا وارد وربما كان متوقعًا، ويستعرض البيا ما قيل عنهم إبان تلك الأزمة: «راحوا يصورون الدعوة والداعية للناس بصورة شتى: فهم تارة يدعون إلى مذهب خامس وهم أحيانًا شباب طائش لا يحسن عدلًا ولا يؤمن على مشروع، وهم أحيانًا نفعيون مختلفون يأكلون أموال الناس بالباطل وهكذا..» ولو كان الأمر كذلك لما وجدوا من بينهم قطعة أرض أخرى ولوجدوا معارضة في بناء المسجد، المسألة ببساطة - كما هو واضح - أن المتبرع لم يقتنع وسحب تبرعه، لكن المرشد العام لا يضعها في هذا السياق، فحين راح يرويها في مذكراته بدأ الحديث عنها هكذا «ولكن دعوة الحق في كل زمان ومكان لا بد أن تجد لها من المعارضين والمناوئين من يقف في طريقها، ويعمل على معاكستها وإحباطها، ولكن النصر لها في النهاية، سنة الله ﴿فَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [طاهر: ٤٣]، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١] ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ قَدْ زُهِمَ وَمَا يَشْكُرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَعَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج: ٥٢].

هذه الاستنهادات القرآنية استشهد بها المرشد المؤسس في واقعة سحب المتبرع تبرعه.. ومعنى هذا الاستنهاد أنه يضع نفسه في مصاف الأنبياء الذين نزل فيهم قول الله تعالى في الآيات السابقة.. وأن الذين يعترضون على دعوته وجماعته هم من المجرمين ومن الشياطين.. والواقع أن هذا استسهال بالغ، فلا هو في مكانة الأنبياء ولا خصوصه من الشياطين وليسوا مجرمين، والاستنهاد والقياس خاطئ تمامًا، لكن خطورة هذا الخطاب أنه انزلق منه إلى أتباعه وإلى غيرهم، فصارت آيات القرآن

الكريم تُستعمل في غير سياقاتها، ويضفى البعض على نفسه حالة من القداسة ويتم شيطنة المخالفين لهم ومن ثم تكفيرهم، وما يحدث بعد ذلك، في حق هؤلاء المخالفين، يكون مجرد نتيجة فقط.

هذه الصورة شبه المقدسة التي يرسمها المرشد لنفسه في مذكراته، تنتقد إلى التضاريس الإنسانية البسيطة من غضب وفرح... حب وكراهة.. انفعال وفنور وغير ذلك، مما يصاب به البشر أجمعون، كبيرهم وصغيرهم، وهي صورة ليست حقيقية، الصورة الحقيقية نجد شيئاً منها في بعض الرسائل التي بعث بها المرشد المؤسس إلى والده، فور وصوله الإسعاعيلية، ونشرها جمال البناء، واحدة من هذه الرسائل كان يتحدث فيها عن مصاريفه الخاصة لمدة ثلاثة أشهر، وضع مفردات الإنفاق، ويبدو أن والده كان غاضباً منه والدة كذلك؛ لأنه كان من القترض أن يرسل إليهما مبلغاً من راتبه الشهري، ولم يتمكن من الوفاء بذلك، ويتوقع جمال البناء أن تكون الرسالة قد كُتبت في أواخر سنة ١٩٢٨م أو بداية سنة ١٩٢٩م، يفيدنا هنا منها بعض الجمل مثل «وعلى كل حال الذي يهمني راحتكم مهما كلفني ذلك، وسأفصل لكم في هذا الخطاب حساب ثلاثة أشهر مضت هي نوفمبر وسبتمبر وأكتوبر، أي منذ فارقتكم لتعلموا أنه ليس في تصرفي شيء من الإسراف ولا الخفاء ولا الاستبداد برأيي، وإنما أنا مساق بقوة الظروف التي لا تُغلب، وإذا كانت ظروفي هكذا فما ذنبي أنا».

وكان بين مصاريفه مبلغ خسين قرشاً كتب أمامها عبارة «المسجد الراشدين»، ويقول للوالد عنها: «وإن كان يؤلمكم الخمسون قرشاً التي دفعت في المسجد فقلدروا الظروف التي تورطت فيها لدفعها وقدرُوا أجرها»، والواضح أنه كان قد تبرع بها، ويقول له كذلك: «ذلك يا سيدي حساب ثلاثة أشهر أتقدم إليكم أدق من الشعرة، فإن كان لا يروقكم فما ذنبي أنا فلنسالوا الله أن يحور هذه الظروف».

في هذه الرسالة نحن أمام إنسان حي.. من دم ولحم، لديه أزمة اقتصادية خانقة حتى إنه يقول: «واقترضت من مال الجمعية جنبها آخر وهي غمام المنصرف»، وسبب

هذه الأزمة يعلنه لوالده وهو يقدم له قائمة المصاريف: «لست أغشكم أو أكذب في هذا ويقول في رسالة أخرى لوالده بتاريخ ٢٦ نوفمبر ١٩٢٨ م: «أنا الآن لا أسهر في الخارج قطعياً، و فقط سأجعل ليلتين في الأسبوع أدرس فيها بعد العشاء في سجدتين»، والواضح أنه كان كثير السهر وأن والده لم يكن مستريحاً لذلك، أو لعله أتبه على طول السهر خارج البيت، لكن هذه الصورة الإنسانية جرى طمسها، والمُرشد نفسه هو من طمسها في المذكرات، فقد قدم صورته الأسطورية أو الربانية التي يريدونها في مذكراته، وباتت هي الصورة الوحيدة والأحادية له.. لذا نعيد التساؤل من جديد: هل تصلح هذه المذكرات وحدها لتقديم صورة المرشد المؤسس حسن البنا؟ والإجابة القاطعة هي النفي.. لكن واقع الحال يقول إنه المصدر الوحيد الشاح والمعتمد والمسلم به لذلك.

البصيرة الثانية

متى تأسست «جمعية» الإخوان؟

أول ثلاثة تستبعد السياسة نهائياً، وفي الثانية صارت السياسة الأصل

لا تقتف الصمودية المنهجية والعلمية عند تناول حياة حسن البنا وحده، خاصة في مراحل الأولى، لكنها تمتد إلى قيام جماعة الإخوان وتأسيسها، هذه أيضاً مصدرنا الأساسي فيها هو حسن البنا نفسه، وما ذكره في مذكراته، ولن أعيد - هنا - روايته، فهي معروفة، لكن تحوط هذه الروايات العديد من الإشكاليات .. هل تم الأمر بالسهولة والبساطة التي نتحدث بها البنا، مجموعة من المسلمين ذهبوا إليه، يطرقون بابه، ويطلبون إليه أن يقودهم، فيطلب منهم هو البيعة فيقدمونها؟! هل ذهب حسن البنا إلى الإسماعيلية، وهو لم يختر المدينة، ولا كان يعرفها، وفي ذهنه مشروعه الخاص، أم أنه كان متأثراً بتجربته أو عضويته في جمعية الشبان المسلمين، وأراد أن يؤسس شيئاً على غرارها.. أم كان لديه متسع من الوقت في تلك المدينة الجميلة، وأراد أن يشغل فراغه، فقرر أن يقوم بها حاول وتمنى القيام به في القاهرة أو ما قام به - من قبل - في مدينته الأولى المحمودية وهو طفل وصبي؟!!

واحدة من المصاعب تتعلق كذلك بتاريخ تأسيس الجماعة، نحن اليوم، نعرف تاريخ تأسيس حزب الوفد، خطوة.. خطوة، يوماً بيوم، ليس حزب الوفد فقط، بل غيره من الأحزاب سواء منها في التجربة الأولى، زمن مصطفى كامل والشيخ علي يوسف، في مطلع القرن العشرين.. أو في التجربة الحزبية الثانية بعد ثورة ١٩١٩م،

ونعرف كذلك تواريخ تأسيس الأحزاب في التجربة الثالثة، التي بدأت في العام ١٩٧٦م ومازالنا نعايشها إلى اليوم.

نعرف كذلك تفاصيل تأسيس الجمعيات الأهلية الأخرى، سواء منها ما يتخصص بالعمل الخيري والإنساني أو العمل العلمي والثقافي، مثل الجمعية الجغرافية المصرية (سنة ١٨٧٥م) وجمعية الاقتصاد والتشريع (١٩١٠م)، وهكذا في بقية الجمعيات. كما أننا نعرف بالتدقيق تاريخ وقصة تأسيس جمعية الشبان المسلمين، ومن وقف خلفها .. لكن في حالة الإخوان المسلمين، لا تتوافر لدينا مثل هذه التفاصيل والمعلومات الدقيقة، ومصدرنا الأساسي عنها هو حسن البنا، الذي باتت روايته المصدر الوحيد والمعتمد.

★★★

السائد بيننا أن حسن البنا أسس جماعته سنة ١٩٢٨م، أي بعد شهر من تعيينه مدرّساً للخط العربي بإحدى المدارس بمدينة الإسمايلية، لكن الوثائق التي نشرها شقيقه جمال البنا، نجعلنا نشكك في ذلك التاريخ، فهناك دراسة أو مذكرة أعدها البنا وأحمد السكري وحامد عسكري سنة ١٣٤٨ هجرية، بعنوان «مذكرة في التعليم الديني» وهذه السنة يقابلها عام ١٩٢٩ ميلادية، ونجد أن توحيات البنا وزميله ليس فيها أي شيء عن الجماعة، بل جاءت التوقيعات هكذا «حسن أحمد البنا. مدرّس بمدرسة الإسمايلية الأميرية الابتدائية، أحمد محمد السكري سكرتير مدرسة الأمير عمر طوسون الابتدائية التابعة لمجلس مديرية البحيرة» حامد عبده عسكرية واعظ منطقة القناة... أما ديباجة المذكرة فهي غاية في المسالة والتوادم للجميع في مصر، إذ تقول «لم نبدأ من تقديم هذه الكلمة المفصلة إلى جلالة ملكنا المقدس وإلى سمو أمرائنا المحبوبين وإلى معالي وزرائنا المصلحين وإلى مجلس نوابنا وشيوخنا الموقرين الثغورين على مصلحة أمة ترى فيهم معقد آمالها ورمز أمانيتها.. وإلى رجال الأزهر الشريف ووزارة المعارف الذين يبد لهم ثقافة الشعب وتربية

الأمّة». الخطاب هنا موجه إلى كل مستويات الدولة المصرية، وخاطبوا كلاً منهم بما يحبه ويتمناه، فالوزراء مصلحون والأمراء محبوبون ورجال البرلمان موقرون وغيبورون على مصلحة الأمّة، وفوق هؤلاء جميعاً «ملكينا القنّى»^(١).. صاحب الجلالة الملك فؤاد الذى كان براه كثير من المصريين، وقتها مستبداً وطاغية، هو كان كذلك بالفعل.

تتوى هل كانت هذه المذكرة والتفكير حولها تمهيداً لما انتهى إليه هؤلاء من تأسيس الجماعة، وأن تلك المذكرة وفترتها كانت بداية اللقاء والتدارس فى الأمر والشأن العام وهو ما انتهى بهم إلى تأسيس الجماعة؟ وبذلك لا يمكن أن نعتمد عام ١٩٢٨م ميلاداً لها، فلو كانت الجماعة تأسست بالفعل لحرص مؤسسها وزميلاه على أن يرفعوا المذكرة مذيلة باسم الجماعة، ففى ذلك إعلان عنها ورفع لاسمها أو على الأقل لذكروها بأى طريقة فى المذكرة، أمام من يمكن أن تقع فى يده هذه المذكرة من المسؤولين، فضلاً عن يمكنه أن يطالعها من الجمهور والمهتمين بهذه القضية. ولو كانت الجماعة أسست لحرص ثلاثتهم على أن يذكروا إن مذكرتهم تعبر عن الجماعة، أى ليست تعبر عنهم وحدهم، بل معهم فئة وجهور آخر، وهذا يدعم منها ويقوى صوتها وصوتهم.. أم أن الجماعة كانت أسست - فعلياً - ولم تنل موافقة الجهات الرسمية عليها، ومن ثم فقد قدم البنا مذكرته أو أعلنها تظليماً للجهات الرسمية وإثباتاً بأنه ليس من ورأتهم أى هدف سياسى، فهم أناس مخلصون وغيبورون على دينهم ومحبون للمليك وللأمراء وللوزراء، وربما للخبراء أيضاً. خاصة أن مؤسس الجماعة كانوا مواطنين عاديين، لم يكن من بينهم «بك» ولا شخصيات عامة، كما كان الحال بالنسبة إلى جمعية شبان المسلمين التى تأسست سنة ١٩٢٧م، لكن يضعف من هذا الاستنتاج أن الجمعيات الدينية والخيرية وقتها كانت تجد الموافقة الفورية، فى تلك الفترة كان هناك حوالي ١٢٠ جمعية دينية.

(١) راجع: جمال البنا من وثائق الإخوان المسلمين المجهولة، الجزء الأول، ٢٠٠٩م.

إنما كان الأمر، ففي زمن الملك فؤاد كان هناك ترحيب بهذا اللون من المصنفين لأسباب عامة تتعلق بالرغبة في مقاومة جمعيات التبشير الأجنبية التي انتشرت، ودم حرساً على نشر الفضائل، وكان هناك سبب يتعلق بالملك، فالملك فؤاد منذ إبعاده، الخلافة العثمانية سنة ١٩٢٤م كان يعلم بأن تنتقل إليه الخلافة، وكان يحاول أن يبدو مدافعاً عن الإسلام وعاملاً على إحياء تقاليده.

حسن البنا ظل يتحدث عن الجماعة باعتبار أنها تأسست سنة ١٩٢٨م، ونبهه في ذلك كتاب الجماعة ومعظم المؤرخين لها، لكن هناك وجهة نظر أخرى تقوم على أن الجماعة تأسست في العام التالي، أي سنة ١٩٢٩م، عام الأزمة الاقتصادية العالمية، وأصحاب هذا الرأي يؤسسون موقفهم على أن البنا لم يكن ممكناً أن يؤسس «جمعية» فور وصوله إلى الإسماعيلية، طارئاً عليها وغريباً، لكن إذا اتخذنا للاتحة الأولى، وهي وثيقة رسمية، معياراً للتأسيس فإن «جمعية الإخوان المسلمين» تأسست سنة ١٩٣٠م وليس قبل ذلك بعامين كما هو سائد، ولا قبلها بعام كما يذهب بعض الدارسين الغربيين خاصة، ولأن الجمعية كانت مغفورة ومؤسستها كذلك، فلن نجد أي خير في الصحف عنها لحظة للتأسيس، ولو أن هناك خبراً بهذا المعنى لحسم لنا تاريخ التأسيس. وهكذا طبقاً للاتحة الناحية فإن الجماعة رأت النور في العام ١٩٣٠م.

★★★

الاتحة الأولى تحدثت عن جمعية الإخوان وليس جماعة، لا ترد فيها نهائياً كلمة جماعة، لذلك ليس هناك حديث عن مرشد عام ومكتب إرشاد، لكن رئيس مجلس إدارة ومجلس إدارة، وتنص الاتحة بوضوح على ابتعادها التام عن السياسة، إذ تنص المادة الثانية على أن «هذه الجمعية لا تتعرض للشؤون السياسية، إنما كانت ولا للتخالفات الدينية ولا صلة لها بفريق معين للإسلام والمسلمين في كل مكان وزمان».

هذه المادة من الناحية العملية تعد المادة الأولى، إذ أن الأولى في اللائحة هي ديباجة الجماعة، والمادة الثالثة تتحدث عن أغراض الجمعية وهي إصلاح حال المسلمين في فروع حياتهم الاجتماعية والخلقية.. «هذه كل الأغراض، ويتم تحديده وسائل تحقيق هذه الأغراض، ومنها مقاومة الأمية وتعليم القرآن، ثم «الدفاع عن الإسلام في حدود القانون» وهذا معناه الالتزام بالقوانين القائمة واحترامها.. ويتأكد البعد عن السياسة، في المادة ١٥ وهي ضمن الباب الرابع المتعلق بالجمعية العمومية، ويرد فيها «يفتح الرئيس الجلسة» للاحظ مرة ثانية، أن الحديث ليس عن مرشد ولا عن إمام بل عن رئيس، ثم تقول المادة «لا يجوز مقاطعة التكلم ولا التعرض للسياسة أو الشخصيات». أي أنه ليس وارداً في اجتماع الجمعية العمومية أن يتحدث أى عضو في السياسة أو أن يتعرض لأى شخصية سياسية، لكن ماذا لو فعل ذلك أحد الأعضاء؟ الحل في نفس المادة إذ تنص على أن «الرئيس أن ينذر أى عضو يخرج على آداب الجمعية وله أن يخرج».

أما خاتمة هذه اللائحة وهي المادة ٤٣ فتتص على أنه «لا يجوز بحال من الأحوال تعديل شيء من هذا القانون إلا بموافقة ثلاثة أرباع مجلس الإدارة المنعقد لذلك».. ولا يجوز بحال تغيير المواد الثانية والثالثة والسادسة.. أى أن الجمعية العمومية لنفسها لا تملك تغيير ما يتعلق بالانتماء عن السياسة، وكأنها هوية الجمعية ولا وجود لها إلا بتجنب السياسة، ورغم هذا فقد أطيح بهذه المواد في أول تعديل لللائحة، ففي سنة ١٣٥٤ هجرية، أى بعد انقضاء حوالي ٥ سنوات، تم تعديل قانون الجمعية، ونجد أن المادة الثانية حذفت بالكامل، ونلاحظ كذلك اختفاء كلمة جمعية من النص ليحل محلها الجماعة، ويختفى بالتالى مسمى مجلس الإدارة ورئيس مجلس الإدارة، لكن يظهر لقب «المرشد العام» ثم يتم الحديث عن «البيعة» التى يقدمها العضو المنضم إلى الجماعة ويتلقاها المرشد العام أو من ينوب عنه، ويرد في اللائحة، مادة ٨، بالنص

«وليس في نظام الإخوان الإقالة ولا استقالة، فإن عماد الفكرة الإيمان الروحي، ويبرز أن يعتذر الأخ عن مزاوله بعض الأعمال الإدارية إذا طرأ عليه ما يحول دون قيامه بها من غير أن يؤثر في منزلته وصلته بالجماعة بحال».

وبينا كان في اللائحة الأولى ممنوعاً على العضو أن يتحدث في السياسة في أثناء الاجتماع وأنه يجوز للرئيس إخراج العضو، يخفى كل ذلك وتحل محله في المادة ١٦ هذه العبارة «لا يعلو الصوت بالنقاش ولا يقاطع المتكلم ويتجنب الجدل والمراء وإطالة القول في غير فائدة وتحترم رئاسة الجلسة ويستمع لها ويستأذن منها».

وبينا كانت اللائحة الأولى تتحدث حول الدفاع عن الإسلام في إطار القانون نجد في اللائحة المعدلة ما يلي «الدفاع عن الإسلام ومقاومة كل عدوان يراد به «وجاهدوا في الله حق جهاده»، هذه اللائحة لا تستبعد القانون في هذه الحالة فقط، بل تستبعده نهائياً، ففى لائحة التحكيم والمصالحة نجد العجب، إذ تنص هذه اللائحة على أن يشكل مجلس الشورى المركزى للجماعة من بين أعضائه لجنة فض الخلافات بين الإخوان بالطرق الودية «من غير التجاء إلى المحاكم والقانون»، وفي تفصيل عمل هذه اللجنة يرد بالنص بند رقم ٥ «لا يجوز للإخوان أن يلجؤوا إلى المحاكم في الخلافات التى بينهم خاصة، ولا يجوز لهم ذلك في الخلافات التى بينهم وبين غيرهم إلا إذا عجزت اللجنة عن التأثير على الآخرين»، أى أن أعضاء الجماعة يكونون معاً «جيتو» خاصاً بهم، لا يتعاملون مع قوانين المجتمع ومحاكمه. ويؤكد هذا المعنى البند التالى رقم ٦ إذ يقول «إذا رأى أحد الإخوان في حكم اللجنة إجحافاً فله أن يستأنف ذلك إلى مجلس الشورى المركزى، وعلى المجلس إذا وصله هذا الاستئناف أن ينظر فيه ويكون حكمها بعدئذ نافذاً وعلى الأخ أن ينزل عليه» باختصار تحل اللجنة محل القضاء الابتدائى، فإن لم يقتنع الأخ بحكمها اتجه إلى الاستئناف «مجلس الشورى المركزى» ولا سلطة تعلو فوقه، وسوف يتسع هذا الاتجاه ليصبح قطعة شبيهة تامة مع المجتمع، على النحو الذى سيتضح فيما بعد في رسالة حسن البنا «التعاليم».

وفي سبتمبر ١٩٤٥م يتم تعديل ثالث لللائحة الإخوان، وفي هذا التعديل لا يتم الحديث عن جمعية ولا عن جماعة، بل «هيئة الإخوان المسلمين» وجرى تعديل أو تحول لهم في تلك الهيئة، فبينما كان غرض الجماعة في اللائحة الأولى «إصلاح حال المسلمين في فروع حياتهم الاجتماعية والأخلاقية» وصار الغرض في اللائحة الثانية «العمل على تكوين جيل جديد يفهم الإسلام فهماً صحيحاً، ويعمل بتعاليمه...» إذا به في اللائحة الثالثة يصبح جامعاً مانعاً «الإخوان المسلمين هيئة إسلامية جامعة تعمل لتحقيق الأغراض التي جاء من أجلها الإسلام الحنيف». وتدخل «الهيئة» في السياسة مباشرة، فمن بين أغراضها نقرأ «مساعدة الأقليات المسلمة في كل مكان على الوصول إلى حقوقها، وتأييد الوحدة العربية تأييداً كاملاً، والسير إلى الجامعة الإسلامية سيراً حقيقياً» أي دولة الخلافة، ثم يقول «... إقامة الدولة الصالحة التي تنفذ أحكام الإسلام وتعاليمه عملياً وتحرسها في الداخل وتبذلها في الخارج» أي الدولة الدينية بلا نقصان «في اللائحة الثالثة» نجد توسعاً في الحديث عن دور المرشد العام وسلطاته وطريقة اختياره، ونجد تحولاً كبيراً، ففي اللائحة الثانية نجد المادة ١٥ تحدد «بمختار المرشد العام للإخوان المسلمين برأى مجلس الشورى العام ويعزل برأيه كذلك إذا ثبت أنه سلك بالجماعة مسلكاً يتناقى مع أصول الإسلام وقواعده» وفي نفس المادة يرد أن المرشد عليه «أن يجعل مهمته سبيلاً إلى منفعة شخصية... وأن يتقبل كل نصيحة ورأى واقترح من أى شخص كان متى اعتقد فيه خبر للجماعة» لكن في اللائحة الثالثة - سبتمبر ١٩٤٥م - نجد المادة ٢١ تقول «ونظرًا إلى أن حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ حسن البنا المرشد العام الحالي للإخوان هو المؤسس الأول للهيئة والقائم عليها منذ نشأتها فقد عين فضيلته مرشدًا عامًا للإخوان المسلمين مدى حياته...» هنا النص يتحدث عن تعيين وليس عن اختيار، ولا حتى عن بيعة وهو تعيين أبدي، صحيح أن البنا كان يتحكم في كل شيء بالجماعة، وسبق أن انشق عدد من الأعضاء عن الجماعة بسبب سلطته واستبداده، وعدم احترامه لمبدأ الشورى، لكن هنا يصبح الاستبداد والتسلط مقتناً ومنصوصاً عليه في اللائحة، ويتم

استحداث مادة جديدة في هذه اللائحة، هي المادة ١٧، وتقول «يقوم المركز المراد بنفقات المرشد العام ونفقات مكتبه على أن يكون تقدير هذه النفقات بلمجة تخارم الهيئة التأسيسية» وهذا ما يسمى بدل احترام أو بدل تفرغ في الأحزاب ذات الطابع الأيديولوجي أو الجماعات التي تحمل طابع السرية.

وهناك لائحة رابعة أو تعديل رابع، اقترحه المرشد العام على الهيئة التأسيسية وتم إقراره في ٢١ مايو ١٩٤٨م، وكان دافع المرشد في ذلك «تطورات الدوم؛ واتساع ميادين نشاطها، وعلى ضوء التجارب التي مرت بها خلال هذه الفترة...». في اللائحة الجديدة يتم التوسع في بعض المواد، وفصل بعض المعاني الواردة في المراسبات، لتصبح موادًا وبندًا مستقلة بذاتها، مثل البند الخاص بتحقيق العدالة الاجتماعية والتأمين الاجتماعي لكل مواطن ومكافحة الجهل والمرض والفقر وكذلك «الزديلة»، ومثل البند الخاص بقيام الدولة الصالحة التي تنفذ أحكام الإسلام. ورغم أن هذا التعديل جرى في ٢١ مايو ١٩٤٨م، أي بعد أسبوع من قيام إسرائيل، لا نجد شيئًا حول إسرائيل وفلسطين المرة، ورغم تأزم القضية الوطنية في مصر والدعوة إلى الكفاح المسلح ضد الإنجليز، فلا تلمس ذلك بوضوح، لكن تجد كلاً شديداً العمومية، ورد في لائحة ١٩٤٥م بنصه، وهو «تحرير وادي النيل والبلاد العربية جميعاً والوطن الإسلامي بكل أجزائه من كل سلطان أجنبي، ومساعدة الأقليات الإسلامية في كل مكان، وتأييد الوحدة العربية تأييداً فاعلاً والسبر إلى الجامعة الإسلامية».

هذا كل ما يرد، ولا شيء محدد حول الاحتلال الإنجليزي لمصر وغيرها من البلدان العربية ولا حول فلسطين.

العريب أن الإخوان يؤكدون أنهم أسسوا التنظيم الخاص من أجل مقاومة الإنجليز في مصر والصهاينة في فلسطين لكن ها هي اللوائح والوثائق بنصها وحرفها.

وهناك تعديل آخر في تلك اللائحة يتعلق بالمرشد العام، فبينما كان هناك نص في اللائحة ١٩٤٥ على أن حسن البنا عين مرشداً للأبد، يتم تعديلها لتصبح هكذا اليوم المرشد العام بمهنت مدى حياته ما لم يطرأ سبب يدعو إلى تخليه عنه. والمرشد العام حالياً هو فضيلة الأستاذ حسن البنا باعتباره المؤسس الأول للدعوة والقائم عليها منذ نشأتها.

واللادة الأخيرة في هذه اللائحة، تنص على أن يكون التاريخ الهجري والأشهر الحلالية هي التقويم المعتمد. صحيح أن اللوائح السابقة كانت تتحدث عن عمر المرشح للمرشد العام والمكتب الإرشادي بالسنوات الحلالية، لكنه في هذه اللائحة تم تحويلها إلى مادة ملزمة.

الْقَصْدُ الثَّانِي

التكفير في تعاليم المروشد

في النصف الثاني من السبعينيات اكتشف أمر جماعة شكري مصطفى، حين قامت هذه الجماعة باختطاف أستاذ علم التفسير بجامعة الأزهر الشيخ محمد حسين الذهبي، وزير الأوقاف السابق، وبعد اختطافه تم قتله. هذه الجماعة أطلق عليها مؤسسها «جماعة المسلمين» واصطلح الإعلام على تسميتها «جماعة التكفير والحجرة».. وكانت هذه الجماعة بداية لجماعات أخرى ظهرت بعدها، ولم تعتمد عنها كثيراً، أي الخروج على المجتمع ورفضه ثم تكفيره ورفع السلاح عليه، في حرب معنوية أو عمليات إرهابية بلغت ذروتها في سنوات التسعينيات من القرن الماضي.

ومع ظهور كل جماعة من هذه الجماعات، خاصة الجماعة الإسلامية ثم جماعة الجهاد كان المتحدثون باسم جماعة الإخوان يباهون أنهم يمثلون الاعتدال وأن أفكار العنف هذه هم يرفضونها وأنهم لا يرفعون السلاح على المجتمع ولا يكفرونه، لكن هذه الجماعات، خرجت بشكل أو بآخر من معطف الإخوان. شكري مصطفى كان عضواً بالجماعة، وكان أحد الذين حوكموا ضمن تنظيم سيد قطب، أو تنظيم سنة ١٩٦٥م. وقد أثبت لنا الكاتب والباحث الإسلامي جمال البنا في أحد كتبه أن قائد تنظيم الفينة العسكرية صالح سرية، كان بمعنى ما تلميذاً لحسن البنا نفسه، فقد وجد جمال البنا في أوراق شقيقه الأكبر رسالة إعجاب من صالح سرية، الذي قاد محاولة للانقلاب سنة ١٩٧٤م في القاهرة، وهي ما عرفت باسم عملية «الفينة العسكرية»، وأظن أن صلة قادة هذه العملية بالإخوان بحاجة إلى إعادة دراسة في

صوه إعلان «طلال الأنصاري» أحد قادة عملية الفتيحة، أنهم عرضوا العملية في الحاجة رئيس الغزال قبل القيام بها وأنها جاءتهم بموافقة المرشد الثاني السيد حسن الخفسي، وقد نشر طلال ذلك في كتاب له بالمكتبات الآن، ولم يكتبه أحد رغم مرور عدة سنوات على نشره.

كل هذه الشواهد قد نجد نقياً وتكديماً من الإخوان، لكن هذه الجماعات أفكارها لم تخرج عن بعض كلمات وأفكار حسن البنا، المرشد المؤسس لجماعة الإخوان. وهذه الكلمات نشرت في حياته ولا تزال تنشر إلى اليوم، ويقوم على نشرها أناس من أنصاره وعبيد، أقصد أنهم ليسوا خصوصاً له ولا لجماعته، ولا ينفون كين له أو للجماعة.

كلمات وأفكار البنا بهذا هذا المعنى، أي رفض المجتمع والخروج عليه ورفض الدولة الحديثة بكل مقتضياتها وشروطها.. بل يصل الأمر حد إعلان الجهاد ضدها والحرب عليها. وقد قال البنا ذلك في وقت مبكر، أي قبل وقوع أي خلاف بينه وبين جماعة له مع الحكومة - أمة حكومة - يبدو ذلك في رسالته التي تحمل عنوان «رسالة التعاليم»^١ وهي رسالة لم تكن موجهة إلى عموم أعضاء الجماعة، بل إلى فئة منهم، يبدو أن المقصود بها كان أعضاء النظام الخاص بالجماعة، إذ يقول في مقدمتها «هذه رسالتي إلى الإخوان المجاهدين من الإخوان المسلمين، الذين آمنوا بسمو دعوهم وقدمية فكرهم، وعزموا صادقين على أن يعيشوا بها أو يموتوا في سبيلها، إلى هؤلاء الإخوان فقط أوجه هذه الكلمات الموجزة. وهي ليست دروساً تحفظ لكنها تعليمات تنفذ». ثم يقول «أما غير هؤلاء فلهم دروس ومحاضرات، وكتب ومفالات، ومظاهر وإداريات. ولكل وجهة هو مولياها». وهذه الكلمات لا تكشف فقط تعدد المستويات والأدوار داخل الجماعة، لكنها تكشف وتؤكد تعدد أوجه حسن البنا، فهو نازة يلقى بالنصيحة والموعظة، ونازة ي طرح أفكاراً، وثالثة يصدر تعليمات فقط، نواخذة للتشديد والانزمام العمل. ولشأن بعض هذه التعليمات، التي وصلت إلى ٣٨ تعليمة.

التعليمية رقم ١٦ تقول بالنص: «ألا تحصر كل الحرص على الوظيفة الحكومية، وأن تعتبرها أضيق أبواب الرزق ولا ترفضها إذا أتتحت لك، ولا تتخل عنها إلا إن تعارضت تعارضاً تاماً مع واجبات الدعوة». والمقصود بواجبات الدعوة هنا شروط والتزامات جماعة الإخوان، أي أن الولاء الأول للموظف العام يكون لجماعته وليس لقتضيات الوظيفة والعمل، وأنه يمكن للموظف في هذه الحالة أن يترك الوظيفة، مثلاً لو كان هذا الموظف يعمل بالأزهر أو في البوليس، وبحكم عمله يكون هناك موقف فقهي أو عملي من الجماعة، يكون الاعتبار للجماعة وليس لقتضيات العمل، وسوف نلاحظ أن حسن البنا كان حريصاً على تجنيد أناس بعينهم من الجيش والشرطة إلى صفوف الجماعة، نعرف من مذكرات عبد اللطيف البغدادي أن البنا طلب إليه منذ سنة ١٩٤٠م هو وعدد من رفاقه كان بينهم أنور السادات، أن ينضموا إليه ويندوبوا في جماعته، وقد أثار هذا المطلب قلقهم وخافوهم.

التعليمية رقم ٢١ تقول: «أن نخدم الثروة الإسلامية العامة بتشجيع المصنوعات والمنشآت الاقتصادية الإسلامية، وأن نحرص على القرش فلا يقع في يد غير إسلامية مهما كانت الأحوال، ولا تلبس ولا تأكل إلا من صنع وطنك الإسلامي». وسوف نلاحظ أنه استعمل تعبير «وطنك الإسلامي» ولم يقل «وطنك المصري». البنا استبعد هذا المعنى وذهب إلى مفهوم «الوطن الإسلامي»، والنتيجة العملية لذلك أن التعامل الاقتصادي والمالي يكون وفق الديانة والعقيدة الدينية، وليس وفق المعيار الوطني أو معيار الكفاءة العملية، فإذا احتاج المواطن إلى سبائك، وكان هناك سبائك مصري ولكن ليس مسلحاً أي قبطي أو يهودي، وقتها كان اليهود موجودين في مصر، لا يجب التعامل معه أو الاستعانة به، لأن أجره الذي يتقاضاه أو القروش التي سندفعها له بمعيار ذلك الزمان.. لن تكون في يد إسلامية.. إنه يقسم أبناء الوطن ألواناً وفق اعتبار الديانة، لكن ماذا لو أن هناك مصنوعات ومنتجات ليست من صنع الوطن الإسلامي، مثل الأدوية، كأدوية أمراض السكر والقلب والسرطان

وغيرها، وهي كلها من اختراع وتصنيع الأوروبيين - غير المسلمين ... هل نترك مرضانا يموتون ونلجأ ثانية إلى طب الأعشاب والعلاج بالرقية وغيرها؟!

هذه «التعليمية» واجبة النفاذ التي يصدرها المرشد إلى «المجاهدين» من أعضاء جماعته، تصادم مع الواقع حتى بمعيار العصر الإسلامي المزدهر، في مصر أو في غيرها من البلدان المحيطة بنا، ففي ذلك العصر لم يحدث منع للغير المسلمين من المعاملات الاقتصادية، وكان بين التجار يهود ومسيحيون، وكانت بعض الحرف تكاد تكون وقفًا على غير المسلمين، وكان التعامل الاقتصادي والمادي معهم، بلا حرج وبلا أي محاذير.

التعليمية رقم ٢٥ تقول حرفيًا: «أن تقاطع المحاكم الأهلية وكل قضاء غير إسلامي، والأندية والصحف والجماعات والمدارس والهيئات التي تناهض فكرناك الإسلامية مقاطعة تامة». وهذه من أخطر التعاليم، فهي تشير بوضوح إلى مقاطعة المؤسسة القضائية، باستثناء المحاكم الشرعية آنذاك، وبمعيار اليوم مقاطعة المحاكم كلها، وهذا يعني مقاطعة الدولة الحديثة، فالسلطة القضائية برمتها تكون عنوانًا للدولة ومؤسساتها، وهي سلطة ضابطة للمجتمع في بند الحقوق والواجبات القانونية، وعلاقات المواطنين ببعضهم، وكذلك علاقة المواطن بهيئات وأجهزة الدولة.

ترى هل يفسر لنا ذلك لماذا تحتكم بعض الجماعات إلى أميرها دون اللجوء إلى القضاء؟ ولماذا قام بعض الأمراء، كما حدث في إمبابة قبل عقدين فيها عرف باسم «جمهورية إمبابة» وقتها بدور الشرطة والنيابة العامة والقضاء كله، فكانوا يجلدون ويقطعون الأبدى... وكان أعضاؤها يحتكمون إلى الأمراء ويلجؤون إليهم في أي مشكلة وفي مقاطعة تامة وعدائية لمؤسسات الدولة، وهذا يعني تأسيس دولة موازية وساهضة للدولة القائمة. هو لا يطالب بذلك فقط، بل المقاطعة عنده تمتد إلى المدارس الحديثة وإلى الجمعيات والجماعات والأندية وكذلك الصحف والمجلات

الجماعة.

التعليلة المخيفة، التي تحمل رقم ٣٥، وجاء فيها: «أن تحارب أماكن اللهب، فضلاً عن أن تقر بها». وهو هنا لم يحدد ما المقصود بأماكن اللهب، هي أمور نسبية، ففي بعض الأسر المحافظة بعد «المقهى» من أماكن اللهب، وعند البعض تعتبر الحانات والبارات هي أماكن اللهب، فإذا كان يقصد الشيخ البنا، هل هي أماكن شرب الشاي والقهوة، ويردد مجبوه أنه لم يكن يقربها، أما ما بعد ذلك من المشروبات؟.. وقد يكون مفهوماً أن يطلب المرشد إلى بعض أعضاء الجماعة عدم الاقتراب من أماكن اللهب، هكذا يفعل أولياء الأمور والآباء مع أبنائهم، لكن ماذا عن محاربتها التي يطالب بها؟ وما هو نوع المحاربة وأشكالها وأساليب ممارستها، هل يعنى ذلك تفجيرها - كما حدث بعد ذلك - وقتل من فيها.. هل تحطيم ما بها فقط، أم ماذا بالضبط؟ ترك المرشد الأمر مفتوحاً، لاختيار أعضاء الجماعة من «المجاهدين» الأمر هنا على طريقة قتل المستشار الخازندار.. فقد روى بعض أعضاء الجماعة أن المرشد قال لرئيس التنظيم «لو ربنا يخلصنا منه.. لو حد يخلصنا منه» فاعتبرها مسؤول التنظيم أمراً مباشراً بالأغتيال.. هكذا الأمر في «دور اللهب».

هذه التعليمات لم تكن موجهة إلى كل أعضاء الجماعة، بل إلى «الإخوان المجاهدين»، وقد حدد هو ذلك في بند الطاعة وبند الثقة.. في الأول عرف ما يريد

بالطاعة بأنها «امتثال الأمر وإنشاده توكلاً في العسر واليسر والمنشط والمكره». وقسمه دعوته إلى مراحل ثلاث، الأولى هي التعرف ونشر الفكرة العامة بين الناس وهذه وظيفة الجميع من وعاظ وإداريين في الجماعة، ثانياً مرحلة «التكوين»... ويعرفها بأنها «استخلاص العناصر الصالحة لحمل أعباء الجهاد». وفي هذه الحالة يكون النظام أصوباً بحثاً من الناحية الروحية وعسكرياً من الناحية العملية، وشعار هاتين الناحيتين دائماً «طاعة».

وهنا تكون «الدعوة خاصة» لمن لديه استعداد حقيقي لتحمل أعباء الجهاد. وأول خطوة في هذه المرحلة «كمال الطاعة»، ثم تأتي مرحلة التنفيذ وهي «جهاد لا هوادة فيه، وعمل متواصل في سبيل الوصول إلى الغاية». ومن وصلته رسالة التعليم هو في الدور الثاني وبالقرب من الدور الثالث: يكمل هذا الجانب ما يحدث عنه البناء في بند أو جانب يسمى الثقة وتعريفه لها «اطمئنان الجندى إلى القائد في كفاءته وإخلاصه اطمئناناً عميقاً يتبع الحب والتقدير والاحترام والطاعة». والقائد والقيادة ليست فكرة هينة ولا بسيطة في الجماعة، يقول حسن البناء: «للقيادة في دعوة الإخوان حق الوالد بالرابطة القبلية، والأستاذ بالإفادة العلمية، والشيخ بالتربية الروحية، والقائد بحكم السياسة العامة للدعوة، ودعوتنا تجمع هذه المعاني جميعاً». ويضيف أيضاً: «الثقة بالقيادة هي كل شيء في نجاح الدعوات». ولأن التعليمات التي وضعها ليست لعموم الجماعة، بل من بلغوا المرحلة الثانية وعلى اعتبار الثالثة، فالخطاب إليهم خالص ويختلف عن الخطاب العام؛ لذا نجد البناء يعطي تعليمات واجبة النفاذ، تختلف عما يبدر منه في السلوك العام، تحدث في التعليمات عن أن يكون التعامل مالياً مع المسلمين فقط وأن تذهب أموال المسلمين للمسلمين فقط، لكنه هو نفسه لم يجد غضاضة في أن يقبل الأموال من غير المسلمين، فقد قبل التبرع من شركة قناة السويس ومسؤولها الفرنسي، وقبل بعد ذلك تبرعاً من تاجر يهودي في الإسكندرية هو «حاييم دره» وتسلم المرشد التبرع في حفل عام وكان

مبلغًا ماليًا كبيرًا، أى ليس سرًا.. ثم هو لا يتردد في أن يعلن لأعضاء الجماعة في خطاب عام أنهم لم يحصلوا على مليم واحد من أحد، يقول: «إلى الآن أيها الإخوان لم يمنح مكتب الإرشاد إعانة واحدة من حكومة أيًا كانت، وهو يباهى وينافخ ويتحدى الناس جميعًا أن يقول أحدهم: إن هذا المكتب قد دخل خزائنه قرش واحد من غير جيوب أعضائه».

هذا التناقض والتباين، قد يراه البعض مراوغة، وقد يحكم عليه بعضنا بالكذب، لكنه يكشف تعدد أوجه حسن البناء، فهناك وجه الواعظ والمرشد الديني، وهناك كذلك وجهه السياسى المتاور والمراوغ إلى أبعد حد، والبراجماتى إلى أقصى درجة.. وهناك وجه داعية العنف والظلام.. ولذا ليس غريبًا أن يخرج معظم جماعات العنف من معطفه، وأمامنا عبد الرحمن السندى وقتلة الحازندار والنقراشى ثم صالح سرية وشكرى مصطفى ومن تبعهما على طريق القتل والعنف إلى يوم الناس هذا.

القبض على البائع

طريق الدم..

الباقوري وسابق وعساف يكشفون السر

بين كل أعمال العنف والاعتقالات التي نفذها التنظيم الخاص لجماعة الإخوان المسلمين في الأربعينيات، تستحق عملية اغتيال أحمد ماهر رئيس الوزراء التوقف أمامها، فهي عملية كاشفة للكثير من العمليات الإرهابية الأخرى ولطبيعة ذلك التنظيم الخاص، فضلاً عن فكرة العنف لدى حسن البنا وفي فكره.

تم اغتيال د. أحمد ماهر (باشا) رئيس الوزراء في بهو مبنى البرلمان (مجلس الشعب حالياً) يوم ٢٥ فبراير سنة ١٩٤٥م بعد أن انتهى من إلقاء كلمته في جلسة سرية لمجلس النواب، ليقنع الأعضاء بما اتفقت عليه الحكومة من إعلان الحرب على اليابان، أي على دول المحور بزعماء ألمانيا النازية.. وكانت الحكومة المصرية تلقت من الإدارة الأمريكية أن دول الحلفاء الخمس وهي إنجلترا وفرنسا والولايات المتحدة وروسيا والصين، سوف تعقد في ٢٥ أبريل من نفس السنة اجتماعاً في «سان فرانسيسكو» لإنشاء منظمة دولية جديدة خلفاً لمنظمة «عصبة الأمم» التي كانت تأسست في أعقاب الحرب العالمية الأولى، وأن الخبراء القانونيين بالدول الخمس وضعوا أسس الاشتراك في هذه المنظمة، ومن بينها أن تكون الدول الراغبة في الاشتراك بها أعلنت الحرب على خصوم الحلفاء قبل أول مارس سنة ١٩٤٥م؛ وكانت تلك فترة العسل بين كل من ستالين وتشرشل وروزفلت..

كانت هناك ضغوط مورست على مصر، من جانب بريطانيا في بداية الحرب العالمية الثانية كي تملن مصر الحرب على ألمانيا ودول المحور، وكان هناك رأي داخل مصر يميل إلى ذلك، لكن الملك فاروق وأطراف أخرى نافذة رفضت أن تتورط مصر في هذه الحرب، وكذلك كان رأي الشارع في مصر، كان معنى أن تدمر البلاد الحرب أن تكون في مرمى الطائرات والغارات الألمانية التي يمكن أن تدمر البلاد فضلاً عن أن ألمانيا لو انتصرت فسوف تحتل مصر وتتقم من المصريين، وهكذا كان الرفض للتورط في الحرب، وقال الشيخ المراغي شيخ الأزهر عبارته التي صارنا شعاراً لتلك المرحلة «حرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل»، لكن في نهاية الحرب وعلى ضوء القرائن الجديدة، صار هناك واقع آخر، لذا نشاور د. ماهر في الأمر مع عدد من السياسيين ومن القانونيين مثل د. محمد حسين هيكل ود. عبد الحميد بدوي.. حل تملن مصر الحرب أم تظل على مبدئها من أنها «حرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل» ومن ثم تبقى بعيدة عنها؟

كان إعلان الحرب من جانب مصر يعني أن يكون لمصر الحق في أن تناقش القضية المصرية بهذه المنظمة، وأن تطالب مصر المنظمة الجديدة بأن تندخل لتسال استقلالها وتخرج بريطانيا من مصر، وهكذا فقد صار لنا في الحرب ناقة وجمل، حتى لو كانت ناقة صغيرة، لكنها بالنسبة إلى المصريين كانت كبيرة، واستقر الرأي على أن تملن الحكومة المصرية الحرب على اليابان.

لكن لماذا اليابان وليست ألمانيا رأس المحور أو إيطاليا التي احتلت ليبيا؟

كشف النقاش الذي أجراه د. ماهر مع القانونيين والسياسيين عن تخوف حقيقي لو أن مصر أعلنت الحرب على ألمانيا أو إيطاليا تحديداً، ذلك أن هناك في البلدين رعايا مصريين، يتمثلون في بعض الدارسين أو العاملين والمقيمين هناك، ولم أعلنت مصر الحرب على أي منهما فمن المؤكد أن هؤلاء الرعايا سوف يكونون في خطر

الاعتقال أو الإيذاء. أما اليابان فليس بها رعايا مصريون يجنئ عليهم، ثم ظهرت مضلة أخرى، وهي أن اليابان لم تهاجم مصر مهابيًا ولم تغل في خطتها عن انتها مهاجمة مصر أو حتى اعتبار مصر بلدًا معاديًا، ومن ثم فإن مصر ليست في حالة دفاع عن نفسها أمام اليابان، فقرار الحرب يجئ للحكومة أن تتخذة متفردة إذا كانت في حالة دفاع عن مصر. أي إذا تعرضت البلاد لهجوم مباشر، أما دون ذلك فإن الحكومة مطالبة بالرجوع إلى البرلمان وأن تنال موافقته. وهكذا اتجه د. ماهر إلى البرلمان في جلسة سرية يحاول إقناعهم بما تترده الحكومة وتهم التصويت، وإن نال الموافقة يصبح القرار بعدها نافذًا، أي أن خطة الاغتيال وضمت وشرع المصريون في التنفيذ قبل أن يصدر القرار بالفعل ويصبح ساريًا.

بينما كان د. ماهر داخل الجلسة السرية، جلس أربعة شبان في البهو لساعات طويلة ينتظرون، وما أن تبيأ للخروج حتى تقدم أحدهم منه ليصافحه، لكنه بدلاً من ذلك أخرج مسدسًا وأطلق عليه رصاصة واحدة أصابته في قلبه، وهدد القاتل المجننين برئيس الوزراء، حتى لا يتمكنوا من الإمساك به، لكن في النهاية تم القبض عليه وهرب الثلاثة الآخرون ولم يستدل عليهم ولم يعرف أحد عنهم شيئًا حتى هذه اللحظة، من هم ومن أي جهة ومن أي تيار يعبرون؟^{١٩}

القاتل هو «محمود العيسوي» وكان مخاصيًا شابًا يتحرن في مكتب المحامي عبد المقصود متولى أحد الأعضاء البارزين بالحزب الوطني... لم يعترف القاتل بأي شيء، ولم يذكر أسماء من كانوا معه، فقط قال إنه أقدم على العملية لأن أحد ماهر أعلن الحرب على اليابان، وهكذا نسبت العملية إلى الحزب الوطني، ولم ينتبه أحد في الحزب أو خارجه إلى أن الذين قاموا بعمليات اغتيال من قبل لأسباب وطنية، في بدايات القرن العشرين، كان يهجمهم أن يعترفوا من باب الفخر والاعتزاز، وجدنا ذلك في حالة إبراهيم الورداني الذي قام باغتيال بطرس غالي ناظر النظار، وفي حالة عريان يوسف سعد الذي حاول اغتيال يوسف وهبة رئيس الوزراء إبان ثورة ١٩١٩م.. لكن العيسوي كان مختلفًا؛ إذ التزم الصمت العقائدي المطبق، إن صححت التسمية.

الطريف أن جماعة الإخوان استكثرت غنائم هذه العملية، لأن أحد ماهر أهل الحرب على اليابان، لكنه لم يشن حرباً بالقمل على اليابان، والعبرة لديهم ليست بالقرار بل بالقمل، ورغم هذا الاستكثار الواضح إلا أنه يكشف أن الجماعة ليست صدى مبدأ الاغتيال، ومعنى الاستكثار أن رئيس الوزراء لو شن الحرب بالقمل لاستحق الاغتيال، لكن أحداً لم يتوقف وقفها عند ذلك المعنى، بل تمسكها الحزب الوطنى أمام التاريخ.

ولى سيرة د عبد الرحمن بدوى الذى كان عضواً نشطاً بالحزب وقفها يمكن أن تبيّن الصدمة التى سيطرت على الحزب من داخله، فقد فوجئ الجميع بهذه العملية، وثبت الوقائع أن الحزب الوطنى فى ذلك الوقت لم يكن لديه جهاز سرى للاغتيالات، ولا كان هذا الأسلوب مطروحاً على الحزب، ولا كان فى فكر الحزب أو فى عماراته، ولم يقدم أحد داخل الحزب تفسيراً لهذه العملية، ولم يظهر داخل الحزب أن أحداً شارك العيسوى أو حتى دافع عما قام به.

ظل الاعتقاد سائداً بين الدارسين والمؤرخين أن اغتيال أحمد ماهر بعيد غنائم عن جماعة الإخوان، واكتفى الجميع بنسبة ما قام به العيسوى إلى التهموس أو الطوفى، حتى جاءت الثابنيات وبعد مرور أكثر من أربعة عقود على اغتيال ماهر يكشفون مهيمن أو اعترافين، الأول جاء على لسان الشيخ سيد سابق فى جريدة «المسلمون» بأن اغتيال ماهر نفذته التنظيم الخاص للجماعة، وأن العيسوى كان متحرطاً فى التنظيم الخاص بشكل سرى، حتى وإن تصور الجميع أنه على علاقة بالحزب الوطنى، وكانت العملية نموذجاً لدقة التخطيط وإتقان التنفيذ، فضلاً عن الكتمان، وخطورة شهادة الشيخ سيد سابق أنه كان عضواً فاعلاً فى التنظيم الخاص، هو بعد ذلك قابل «عبد المجيد حسن» وأقنعه بشرعية اغتيال محمود بهى الشراشى. أما نصر بجات المرشد واستكثار الجماعة العلنية لعملية الاغتيال، فهل نجد تفسيراً لهما فى قول أحدهم من أن المرشد قد يضطر «إلى تعليقات عن بعض الأحداث

يقصد بها مجرد الكتمان لحقائق هذا الأمر. في هذه الظروف عملاً بالحدوث: استعينا على إنجاز الحوائج بالكتمان^(١).

الشهادة الثانية صدرت عن الشيخ حسن الباقوري، الذي كتبت ذكرياته في صحيفة «المسلمون» أيضًا ثم صدرت في كتاب عن مركز الأهرام للترجمة والنشر، وفيها يقطع بأن جريمة اغتيال د. ماهر كانت من تخطيط وتنفيذ التنظيم الخاص للجماعة، وأهمية هذه الشهادة أن الشيخ الباقوري لم يكن رجلاً عادياً في الجماعة آنذاك، كان عضواً بمكتب الإرشاد وكان من أبرز المرشحين لخلافة حسن البنا بعد اغتياله، لكن الملك فاروق عبر ناظر الخاصة الملكية اتحاز إلى المستشار حسن الحضيبي، وتلك قضية أخرى، يضاف إلى ذلك أن الباقوري كان أحد الذين شملهم الاعتقال بعد اغتيال د. ماهر، ومن ثم فقد كان متابعاً للقضية - على الأقل - بحكم ما تعرض له... الباقوري أيضًا كان على صلة طيبة بالضابط محمد أنور السادات والمجموعة التي اتهمت باغتيال أمين عثمان، أي أنه لم يكن بعيداً عن كواليس العمل السري وما يجري فيه، وأخيراً هو الوزير بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م، أي أنه تجرّ معنى العمل السياسي والعمل العام ويزن كل كلمة بقولها، وهو إن منعه ظروف العمل العام أن يعلن ما لديه في حينه، فإنه أثر أن يقول كلمته، قبل أن يعرض ليقابل ربه، وبالتأكيد لو كشف ذلك الأمر وقتها لانهم بالوشاية ولربما تعرضت حياته للخطر، يقول الباقوري في ذكرياته: «كان النظام الخاص يحكمه الإعجاب بالنفس والاحتكام إلى التضحية والفداء». وضيف قائلاً: «لم يكن المنسوبون إليه معروفين إلا في دائرة ضيقة ولأحاد معروفين، وتركت هؤلاء اجتماعاتهم الخاصة بهم، وربما كانوا يعملون في جهات مختلفة يجهل بعضهم بعضاً جهلاً شديداً» ثم يقول: «ومن سوء حظ الدعوة أن هذا النظام الخاص رأى أن ينتمى لإسقاط المرشد في الانتخابات بدائرة الإسماعيلية. وكان من أشد التحمسين لفكرة الانتقام هذه عمام شاب يتعرق

(١) راجع عمود الصياغ: التصويب الأمين لما نشره بعض القادة السابقين، مكتبة التراث الإسلامي، ط ١، سنة ١٩٩٨م، صفحة ٣٢-٣٣.

على المحاماة في مكتب الأستاذ عبد المقصود متولى. وهو المحامي الشاب محمود العيسوي. فيما أعلنت حكومة الدكتور أحمد ماهر باشا الحرب على دول المحور لكي تتمكن مصر - بهذا الإعلان - من أن تظل في مؤتمر الصلح إذا انتصرت للديمقراطية على النازية والفاشية^(١) ويذهب الباقوري إلى القول: «رأى النظام الخاص أن هذه فرصة سحبت للانتقام من رئيس الحكومة ووجه محمود العيسوي إلى الاعتداء على المرحوم أحمد ماهر باشا، فاعتدى عليه في البرلمان بطلقات سلبية حياته التي وهبها لمصر منذ عرف الوطنية، رحمه الله رحمة واسعة».

وكان د. أحمد ماهر قد أجرى الانتخابات البرلمانية في يناير سنة ١٩٤٥م، ونتج عنها عدم فوز حزب الوفد بالأغلبية، وكان حسن البنا قد تقدم لخوض الانتخابات في مدينة الإسكندرية ولم يفز، فاعتبر أنصاره أن عدم نجاحه متعمد من رئيس الوزراء، لم يجز تحقيق بيت أن هناك تزويرًا تم في هذه الدائرة ولم يتبين أن مناقس حسن البنا كان نكرة أو مجهولاً في مدينة الإسكندرية، كان مقبلاً بها، بينما البنا كان قد غادرها إلى القاهرة. منذ سنة ١٩٣٢م ولا ننسى أنه ليس من أبناء الإسكندرية أصلاً. وقد ترك الإسكندرية وخلفه عدد من المشكلات وغضب بين فريق من الإخوان تحدث هو عنه في مذكراته، وكان بعض ذلك الغضب متعلقاً بإدارته لأمر الجماعة وبعضه كان متعلقاً بآلية الجماعة، وذلك أمر ليس هيناً.

وعموماً لم يكن عدم النجاح في الانتخابات كارثة، فقبل ذلك في انتخابات سنة ١٩٣٧م لم ينتج النحاس نفسه ورُسب معه عدد من قيادات الوفد، ومع ذلك لم يشكر الوفدونيون في اغتيال أحد بل قبلوا النتيجة وواصلوا العمل السياسي والوطني.

يرفض «أحمد الصباغ»^(٢) تفسير الباقوري من أن الاغتيال تم بسبب فشل البنا في الانتخابات وفي رأيه أن الانتخابات تزور باستمرار، والحق أن اغتيال أحمد ماهر

(١) أحمد الصباغ، المرحع السابق، ص ٣٣ - ٣٤.

لا يجهلنا تنساع فقط حول دوافع العنف والإرهاب لدى التنظيم الخاص ومن ثم الجماعة، بل يدق أجراساً قوية حول ما تقوله بعض الوثائق والمصادر البريطانية عن أن الجماعة ابتعدت عنهم في أثناء الحرب العالمية الثانية وفتحت خطاً سرياً يتضمن التعامل مع ألمانيا النازية وأن المخابرات الألمانية قدمت «معلومات» للجماعة وقتها، بلغت النظر - هنا - أن الملك فاروق كانت له اتصالات مع الألمان وبعث برسائل إلى «هنتر»، وكان الملك يفعل ذلك لأسباب وطنية وأخرى شخصية، أما الوطنية فتتمثل في أنه أراد أن يحصل على ضمان من هنتر بعدم تدمير القاهرة إذا ما أمكنه هزيمة بريطانيا ودخوله مصر وأن يضمن منه استقلال مصر في تلك الحالة، والشخصية تتركز في أن يضمن عرشه في تلك الحالة، خاصة أن الحادي السابق عباس حلمي كان ونيق الصلة بوزارتي الدفاع والخارجية في ألمانيا، وكان عباس حلمي يسعى إلى استرجاع عرش مصر لنجله^(١) وكان حسن البنا - آنذاك - يحذو الملك حذو النعل بالنمّل كما يقال، وكان البنا على علاقة جيدة بآئين من المحسوبين على الألمان وهما على ماهر الذي كان يتمتع بعمول نازية، ربا بسبب كراهيته للإنجليز، والضابط محمد أنور السادات الذي كان قد فصل من الجيش بسبب تكشف علاقته بعمل ألماني في القاهرة، ترى هل نفذ التنظيم العملية لصالح المخابرات الألمانية التي يتردد أنها كانت نجحت في اختراق التنظيم والجماعة وقتها؟ هل كان ذلك الاختراق سبباً من أسباب الإعياب الذي كان سائداً بهنر آنذاك، حتى أن بعضهم أطلق أنه قد اعتنق الإسلام وأصبح الحاج محمد هنتر؟!!

د. محمود عساف كان سكرتيراً للمعلومات لدى المارشال المؤسس، وبعبارة هو «أمياً للمعلومات عنده» ويقدم في مذكراته واقعة، صحيح أنه يرى الإخوان من جريمة اغتيال أحمد ماهر، لكن الواقعة التي حكّاها في مذكراته لا تبرئهم، بل تبرئه هو شخصياً، يقول عساف «دعا عبد الرحمن السندى إلى اجتماع - وكنت

(١) لوكان هيرزوزين: ألمانيا النازية والشرق العربي، ترجمة د.أحمد عبد الرحمن مصطفى، دار المعارف، مصر، سنة ١٩٧١م، ص ٣٠٨.

حاضراً فيه - وقال «إنه ينبغي أن نفكر في خطة لقتل أحمد ماهر قبل أن يعلن الحرب على المحور، وقال إنه وضع خطة أولية تقوم على تكليف أحد الإخوان بالمهمة، فيرود بمسدس، وينطلق إلى مرزقان العباسية (مكان نفق العباسية الحالي) وينتظر هناك مرور سيارة أحمد ماهر، حيث أن السيارات تبطن كثيراً من سرعتها عند المرزقان، ثم يطلق الرصاص عليه، ويكون هناك شخص آخر منتظر بموتوسيكل، يحمله معه ويهربان»^(١). ويصف عساف الخطة بأنها بدائية وأنها أثارت استياء جميع الحاضرين، ثم يقول «سألته: هل هناك فتوى شرعية بقتل رجل مسلم يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله؟ فقال: إننا نعد مجرد فتوى ولكن لن ننفذ إلا بعد الفتوى. قلت: ولنفرض أن هذا الشخص قبض عليه، فماذا سيكون مصير دعوة الإخوان كلها بعد ذلك؟ قال: لا لن يقبض عليه. أحسست أن المسألة لعب بالنار والاستجابة للهوس الشخصي وليس مصلحة الإخوان ثم قال: لقد اخترت أحمد عبد الفتاح طه لهذه المهمة. وهو ينتظر خارج الغرفة ثم استدعاه وشرح له الخطة، وقال غداً إن شاء الله تكمل دراستها في وجودي»^(٢).

أهتم عساف بالفتوى، ولم يعبأ بكلام عبد الرحمن السندى، الذي يعرف دوره ومهمته، وهى التنفيذ فقط، ووضع الخطة، أما الفتوى فأمرها محسوم، ويتلقاها من طرف آخر، والتأكد أنه طالما فكر ووضع خطة بكل تفاصيلها واختار من يقوم بها، فلا بد أن لديه فتوى أو ضوء أخضر بها من قيادته، وكان قائده المباشر هو حسن البنا نفسه، فهو لن يضع خطة ويحدد تكليفات بكل التفاصيل ثم بعد ذلك يقال له لا .. وحتى حينما أبدى عساف تخوفاً من الانكشاف بعد التنفيذ، كان رد السندى والتأقاً وقاطعاً.. لا.. لن يقبض عليه .. وتكمل الصورة بما حدث في اليوم التالي، حيث عقد الاجتماع، ولتلاحظ أن عبد الرحمن السندى هو الذى كان دعا إلى انعقاده،

(١) د. محمود عساف: مع الإمام الشهيد حسن البنا، ص ١٥٣.

(٢) نفسه، الصفحة السابقة.

وكانت مفاجأة اجتماع اليوم التالي غريبة، ربما لم يتوقعها أحد منهم، خاصة السندى، وهو يذكرنا بالنهايات الدرامية لبعض الأفلام العربية، فقد دُعِيَ إلى هذا الاجتماع أحمد عبد الفتاح طه، المكلف باغتيال أحمد ماهر، وكان الاجتماع مخصصاً لاستكمال خطة التنفيذ، أى أن مبدأ الاغتيال أقر وقُبِلَ به، واغتيال أحمد ماهر تحديداً لم يعد عليه خلاف ولا حوله إشكال، الإشكال فقط في تفاصيل التنفيذ، وهنا تكمن مفاجأة أحمد عبد الفتاح طه الذى دخل إلى الاجتماع متجهماً الوجه وابتداً هو الحديث: «قبل أن تنظروا في أية خطة، أريد أن أبلغكم أنى جيت ولن أستطيع القيام بهذه المهمة. فغضب عبد الرحمن واتهمه بالضعف والتخاذل، فقلت: إن أحمد عبد الفتاح في غاية الشجاعة لأنه واجهكم جميعاً وصارحكم بحقيقة إحساساته وكان يمكنه أن يكتمها فقد يهرب دون فعل شيء أو إخطاركم بموقفه.. وانقض الاجتماع على لاشيء»^(١).

وفى اليوم التالى تم الاغتيال، هل كان لدى السندى أكثر من خطة فلم فشلت إحداها حرك الثانية؟!

نفذ العملية محمود العيسوى المعضو بالحزب الوطنى، وذكر الشيخ الباقورى أنه كان عضواً «سرياً» بالتنظيم الخاص للجماعة وبالجماعة نفسها، ويقدم لنا محمود عساف في مذكراته ما يمكن أن يساعدنا في حل هذا اللغز، إذ يشرح أنه كان يقوم بزرع عناصر من الجماعة داخل الأحزاب والجماعات الأخرى، حدث ذلك تحديداً مع اليساريين والشيوعيين ومع «مصر الفتاة»، يقول عساف «اشد موقف الشيوعيين ضدنا وهاجمونا في نشراتهم، الأمر الذى دفعنا في عام ١٩٤٦م إلى أن نزرع عندهم أحد المتعاطفين مع الإخوان (هو الآن أستاذ جامعى) وكان يتقاضى منى خمسة جنيهات شهرياً نظير أن يمدنا بأخبار الشيوعيين»^(٢).

(١) محمود عساف، صفحة ١٥٤.

(٢) محمود عساف، صفحة ٢٢.

الشيء نفسه حدث مع مصر الفتاة، فقد نشرت مجلة مصر الفتاة مقالاً فيه هجوم على الجماعة، جاء فيه «حانت خاتمة الدجل والشعوذة.. الإخوان يتعاونون مع كل الأحزاب بلا مبدأ وبتالقون مع الكل حتى الإنجليز الذين يسخروهم لمحاربة الشيوعية والوطنية ويفتحون لهم الشعب في السودان وفلسطين»، وأثار المقال غضب الإخوان، وكان المتوقع أن يتم الرد على المقال بمقال آخر يفند الانتقاد والهجوم أو مقال يهاجم فيه جماعة مصر الفتاة (لم تكن تحولت إلى حزب)، لكنهم قرروا الرد بطريقة أخرى، يقول الصباح «وجدنا أنه بعد النظر أن نعلم ماذا يدور في أدمغة قادة مصر الفتاة. فكلفنا أحد الإخوان بالانخراط في الجمعية هو المرحوم أسعد السيد أحمد. الذي انضم إليها وبرز فيها سريعاً لما كان له من نشاط»^(١).

والمعنى هنا أن اختراق الجماعات الأخرى كان قاعدة معمولاً بها داخل الجماعة، وهذه قاعدة تجارية، خاصة أن بعضهم كان يتلقى أجراً مقابل ما يقوم به، ويقدم تقارير يبراه وما يلاحظ إلى جماعته، هؤلاء كانوا يغفلون ما يؤمرزون به، ويعتبرون المهات التي يكلفون بها واجباً عقائدياً، لا يجوز التهاون في تنفيذ. ترى هل كان محمود العيسوي واحداً من هؤلاء .. هل طلب إليه تنفيذ مهمة اغتيال أحمد ماهر، ويذهب هو إلى حبل المشنقة ومعه سره إلى الأبد، بينما في الملن يحمل وزر الجريمة منافس آخر للجماعة، هو الحزب الوطني، خاصة أن الحزب في تاريخه وماضيه الحماس الوطني واغتيال الخصوم، خصوم الوطن أو من تصور وهماً هكذا. ربما كان الأمر كذلك.

الموضوع والشهادات التي نحن بآرائها وكلها من داخل الجماعة تثير العديد من القضايا والتساؤلات، لكن المؤكد أن التنظيم نفذ العملية في صمت وتركيز بالغ، والمعنى الأهم أن التنظيم كان مستعداً لتنفيذ أى عملية تطلب منه، بغض النظر عن ادعاءات القيم الإسلامية.

(١) محمود عارف: صفحة ٢٧.

ويجب القول أن التنظيم الخاص في تلك المرحلة كان تحت السيطرة الكاملة للمرشد حسن البنا، ويبدو أن الأمر كان موضع شد وجذب داخل الجماعة؛ لذا نجد الشيخ الباقوري يقول في شهادته «على أن الأمر لو كان وقتاً عند استباحة الدماء المصومة في شريعة الله، لكان ذلك أمراً ميسوراً احتشاله، مقدوراً على الناس وجهه له يسوغ المصير إليه، ولكنه تعدى ذلك إلى ما يجافي الحق ويقود إلى أسوأ سينات التأويل. ذلك أن يقول قائل: إن رسول الله أمر بالاعتصام، ثم يستشهد لقوله هذا بمقتل كعب بن الأشرف. فإذا هو - على ذلك - يتغاضى عن حقائق لا ندحه للمسلم عند النظر إليها، والإيمان بها في هذا المقام. وأولى هذه الحقائق أن نمة فرقاً بين رسول الله ﷺ المعصوم من الهوى وغيره من الذين تصرفهم الأهواء، ولا تحوطهم عناية الله كما تحوط رسوله العظيم ﷺ».

ويبدو أن قيام أعضاء التنظيم الخاص باغتيال أحمد ماهر كان معروفاً بين كبار المسؤولين في مصر، آنذاك، إذ تجد مرتضى المراغى آخر وزير داخلية في عهد الملك فاروق، وكان يعمل معظم سنوات خدمته بالأمن العام، يشير إلى هذه الواقعة في مذكراته، وإلى مسؤولية حسن البنا المباشرة، إذ يقول إنه كانت هناك «رؤوس كبيرة تختبئ من الشيخ حسن البنا أن يطيح بها كما أطاح - حسب اعتقادها - بالخازن دار والنقراشي وأحمد ماهر»^(١).

أهمية شهادة سيد سابق والباقوري وكذلك محمود عساف أنها تبيد كل ما قاله الإخوان عن النظام الخاص وأسلحته، فقد قال معظمهم في كتاباتهم أن التنظيم وأسلحته كان هدف محدد، هو محاربة الإنجليز ومحاربة الصهانية لاستيلائهم على فلسطين، راجع في ذلك كتب محمود الصباغ وأحمد عادل كامل وغيرهما. وبالتأكيد فإن أحمد ماهر لم يكن من الإنجليز ولا من الصهانية ولا من المتعاونين معهم، بل كان

(١) راجع في ذلك: مذكرات مرتضى المراغى، ص ١٩٨-١٩٩، دار المعارف، مصر، سنة ٢٠٠٧م.

أحد أبطال ثورة ١٩١٩م، جاهد فيها ضد الإنجليز، ولعلها ليست مصادفة أن التبن من أبطال ثورة ١٩ الذين حكم عليها الإنجليز بالإعدام، ولم يتمكنوا من تنفيذ الحكم، قام بإعدامها فعلياً الإخوان، وهما أحد ماهر وحمود فهى النقراشى، أى أن التنظيم الخاص الذى أسسه حسن البنا نقذ ما عجز الإنجليز عن تنفيذه.

ولدينا شهادة مهمة تأتى من الولايات المتحدة، صاحبها هو هيرمان أيلنس الذى كان في حينه دبلوماسياً شاباً في المملكة العربية السعودية، يقول «أعرف أن أحد زملائي في السفارة الأمريكية بالقاهرة كان يلتقى بانتظام مع البنا» ثم يقول إن زميله هذا وجد البنا «متعاطفاً» معهم، ويقول كذلك «لا أعتقد أنه كان يساورنا القلق بشأنهم رغم أنه كان هناك قلق عندما اغتال الجهاز السرى لهم رئيس وزراء مصر»^(١)، ولم يكن أيلنس وحده غير قلق، بل السفير الأمريكى في القاهرة كافرى، فقد كان هؤلاء الدبلوماسيون الأمريكيون في القاهرة وفي المملكة العربية السعودية مفتنونون بأن التنظيم الخاص أسس لاغتيال الشيوعيين في مصر ومحاربة الشيوعية، وأن تلك كانت قناعة الملك فاروق أيضاً^(٢).

لا نعرف ماذا جرى في اللقاءات المنتظمة بين أحد ضباط السفارة الأمريكية بالقاهرة والمرشد المؤسس، وأما أن هذه اللقاءات كانت منتظمة ومتواصلة، فهذا يعنى أن هناك حيل أفكار متصل وأن يقول أيلنس إن زميله وجد البنا متعاطفاً، وأن يرى الدبلوماسيون الأمريكيون في الجماعة أداة قوية لمحاربة الشيوعية، فذلك مؤشر واضح عن أهداف التنظيم حين تأسيسه، لقد أسسه البنا لأهداف خاصة بالجماعة، في ذهنه وتصوره هو، بعيداً عن حكاية المقاومة الوطنية ضد الإنجليز والصهيونية في فلسطين، لأسباب عدة، أنه شرع في تأسيس هذا التنظيم بعد مؤتمر الجماعة ١٩٣٨م، ويذهب بعض الباحثين إلى أن التنظيم تأسس سنة ١٩٤٠م، وبعضهم يقول سنة

(١) روبرت دريفوس: لعبة الشيطان، مركز دراسات الإسلام والغرب، ٢٠١٠م، ص ٨٠.
(٢) السابق، ص ٩٢.

١٩٤٢م، وقد وجدنا الصياغ يقول في كتابه عن التنظيم أنه التحق به سنة ١٩٣٩م وسبق إليه مصطفى مشهور، الذي أصبح فيما بعد مرشدًا عامًا للجماعة.

كان التنظيم فكرة ومشروع حسن البنا، وجاء تأسيسه تعبيرًا عن جانب أساسي في تفكير وشخصية حسن البنا، فهو من البداية لم يكن يؤسس جماعة دعوية بالمعنى التقليدي، من البداية كانت عينه على السلطة، وجدناه سنة ١٩٢٨م يوجه رسالة إلى الملك فؤاد، ويسعى إلى شركة قناة السويس في الإسماعيلية ليأخذ من مديرها معونة مالية، سهاها تبرعًا، وكان الاقتراب من هذه الشركة يدخل في باب المحرمات بالنسبة إلى عموم المصريين، وهو بعد ذلك عن دولة الخلافة وضرورة استعادتها.

في سنة ١٩٣٨م عقد المؤتمر الخاص للجماعة بمناسبة مرور عشر سنوات على تأسيسها، عقد المؤتمر برأى آل لطف الله في القاهرة، وألقى المرشد على جماهير الجماعة، الذين حضروا المؤتمر، خطبة مطولة تحدث فيها عن الجماعة وأهدافها، ولم يكن هو يعمل من تكرار مثل ذلك الحديث في كل مناسبة، مذكرًا الإخوان بجماعتهم. وفي هذه الخطبة وبعد أن تحدث عن الجماعة وجدناه يقفز إلى موضوع جديد، لم يكن قد طرحه أو تحدث فيه على هذا النحو وبهذه الصراحة. قال «يتساءل كثير من الناس: هل في عزم الإخوان أن يستخدموا القوة في تحقيق أغراضهم والوصول إلى غايتهم؟ وهل يفكر الإخوان في إعداد ثورة عامة على النظام السياسي أو النظام الاجتماعي في مصر؟ ولا أريد أن أدع هؤلاء المتسائلين في حيرة. بل أُنْهَهِز هذه الفرصة فأكتشف الكلام عن الجواب السافر لهذا في وضوح وفي جلاء، فليسمع من يشاء».

ولم تكن التساؤلات مطروحة من كثير من الناس، بل كانت مطروحة من بعض السياسيين والكتاب حول الأهداف الحقيقية أو الخفية للجماعة، كانت تحركات البنا وتصرّفاته تحركات سياسية في المقام الأول، لم يكن داعية ديني، هو ليس أزهريًا وليس متخصصًا في العلوم الدينية، بل كانت ثقافته الدينية متواضعة قياسًا

على علماء عصره، ومنذ الدور الذي لعبه في استقبال الملك فاروق كان يتصرف كسياسي ويعامل هكذا؛ ولذا كان التساؤل مشروعًا وحقيقيًا، وحين يقول في الجملة الأخيرة (فليسمع من يشاء) فالقصد بها ليس جمهوره ولا أعضاء الجماعة، بل من يتساءلون، يقولها بثقة، بل وبغطرسة واستهانة أيضًا.

وببدأ الإجابة بالقول «أما القوة فتشعار الإسلام في كل نظمته وتشرعاته» ثم يقول «إن الإخوان يعلمون أن أول درجة من درجات القوة . قوة العقيدة والإيمان، وبلى ذلك قوة الوحدة والارتباط ثم بعدها قوة الساعد والسلاح، ولا يصح أن نصف جماعة بالقوة حتى تتوافر لها هذه المعاني جميعًا، وأنها إذا استخدمت قوة الساعد والسلاح وهي مفككة الأوصال مضطربة النظام أو ضعيفة العقيدة خادمة الإيمان فسيكون مصيرها الفناء والهلاك». أي أن قوة الساعد والسلاح تحتاج مرادفًا لها، وهو عقيدة قوية وإيمان نشط ونظام متهاusk. .. وهذا الذي يقول به البنا يستوى مع ما كان يقول به ستالين وهتلر وموسيليني، باختصار الأنظمة الشمولية والفاشية، كان ستالين يتحدث عن قوة الأيديولوجية أو العقيدة الاشتراكية مع قوة السلاح السوفيتي وقوة التنظيم الشيوعي، وكذلك كان النظام النازي وأيضًا الفاشي. ثم يقول حسن البنا «أقول هؤلاء المسائلين إن الإخوان سيستخدمون القوة العملية حيث لا يجدي غيرها، وحيث يثقون أنهم قد استكملوا عدة الإيمان والوحدة وهم حين يستخدمون هذه القوة سيكونون شرفاء صرخاء وسيندرون أولاً. ويتنظرون بعد ذلك ثم يقومون في كرامة وعزة، ويمثلون كل نتائج موقفهم هذا بكل رضا وارتياح». وهذا أخطر تصريح، نحن يرازء رجل يعترف أنه سوف يبني ويكون قوة الساعد والسلاح، أي قوة عسكرية ثم أنه على استعداد لاستعمالها وسوف يستعملها، هذا يعني أننا يرازء دولة داخل الدولة - أو دولة موازية.. طبعًا هو لم يقل لنا، متى - على وجه التحديد - سيتم استعمال القوة، وما هي حدود تلك القوة، ومن له تحديد متى يتم استعمالها ولا في مواجهة من وضد من.. والفهم ضمناً أنه هو، أي المرشد

العلم، من سيحدد ذلك، وأنها ستكون ملك يديه وستحرك بإرادته هو وتحددده. والخطورة أن المرشد لم يكن يقتصر على الكلام فقط. لم يكن يقول كلام من باب الخطابة والحماسة، بل كان يقوله في مجال الفعل والعمل المباشر على الأرض وفي الشارع، وسباق كلامه لم يكن يحتمل أنه سيستعمل القوة في المجال الخارجي، بل هي على الوجه الأغلب سوف تكون في الشارع والمجال الحيوي الذي يتفاعل ويعيش فيه وهو المجتمع المصري بكل مكوناته.

وما يقوله حسن البنا بعد ذلك يزيد ما سبق إيضاحاً وتأكيده، إذ يطرح تساؤلاً جديداً أو مكملاً صاغه على النحو التالي «يتساءل فريق آخر من الناس: هل في منهاج الإخوان أن يكونوا حكومة وأن يطالبوا بالحكم؟ وما وسيلتهم إلى ذلك؟ ولا أدع هؤلاء والمتساثلين أيضاً في حيرة ولا نهخل عليهم بالجواب.

ونأتى إجابته صريحة ومباشرة «الإسلام الذين يؤمن به الإخوان يجعل الحكومة ركناً من أركانه، ويعتمد على التنفيذ. كما يعتمد على الإرشاد، وقدئنا قال الخليفة الثالث رضى الله عنه: إن الله لينع بالسلطان ما لا ينزع بالقرآن. وقد جعل النبي (ﷺ) الحكم عروة من عرى الإسلام. والحكم معدود في كتبنا الفقهية من العقائد والأصول فالإسلام حكم وتنفيذ، كما هو تشريع وتعليم. كما هو قانون وقضاء، لا يتفك واحد منها عن الآخر.

إذن الحكومة عند الإخوان ركن من أركان الإسلام، والحكم من العقائد والأصول وليس من الفروع ولا من الفقهيات، صحيح أننا تعلمنا من قول رسول الله أن الإسلام خمسة أركان، وهى الشهادات وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً، لكن حسن البنا يضيف ركناً سادساً وهو الحكومة، ويجعله من العقائد، أى أن من يتجنب هذا المبدأ ويعتمد عنه يكون قد خرج عن الإسلام وهو ركن من أركانه؛ لذا نراه يقول في نفس الخطبة منداً بالعلماء المسلمين الذين لا يطالبون بالحكم ولا يسمعون إليه. يقول «إن قعود المصلحين

الإسلاميين عن المطالبة بالحكم جريمة إسلامية لا يكفرها إلا النهوض واستخلاص قوة التنفيذ من أيدي الذين لا يدينون بأحكام الإسلام الحنيف.

والمنى أن نصالحاً في قامة الشيخ محمد عبده يعد مرتكباً جريمة إسلامية حين قال: لعن الله فعل ساس ويسوس.. ومصطفياً في وزن عبد الرحمن الكواكبي الذي راح يندد بالاستبداد يعد مرتكباً جرمًا لأنه اكتفى بالكتابة ولم يقم بالسعي نحو الحكم.. على أن اللافت في كل ذلك كلمة حسن البنا «الإسلام الذي يؤمن به الإخوان» أي أن هناك إسلام خاص بالإخوان! إسلام مختلف عن ذلك الذي نعرفه جميعاً، أي إسلامنا وإسلامهم.. وإذا كان الإسلام كعمقته ودين ثابت وواحد، فلماذا يخص إسلام للإخوان يؤمنون به؟!!

لن نلمس في كلمات البنا إشارة من قريب ولا من بعيد إلى الاستعمار الإنجليزي، ولم نجد كلمة واحدة نصرحاً ولا تلميحاً حول الصهيونية وما تقوم به في فلسطين، نحن في حديث عن قضية محددة هي تكوين القوة.. وأن هدف هذه القوة هو الوصول إلى الحكم، باعتباره ركنًا من أركان الإسلام الذي يؤمن به الإخوان.

ويجب القول إنه في ذلك العام ١٩٣٨م لم يكن هناك حديث ولا تصورات في مصر عن مقاومة مسلحة أو نضال ضد الإنجليز، كانت مصر وقعت قبل عامين معاهدة سنة ١٩٣٦م، وكانت هناك حالة تفاؤل عامة بأن تلك المعاهدة حققت خطوة كبيرة في طريق الاستقلال وأنها تفتح الطريق نحو الاستقلال التام، ويجب القول كذلك إن الملك فاروق وقتها كان في بداياته، وكان هناك تفاؤل كبير به، فقد خلف والده العنيد الطاغية وهو شاب مقفم بالأمال، مقدم على الحياة، ليس لديه طغيان والده ولا شرسته.. كانت فترة من التفاؤل الجاد، ولندكر أنه في السنة نفسها كان طه حسين انتهى من كتاب «مستقبل الثقافة في مصر» الذي تحدث فيه عن مستقبل جديد، مقفم بالأمل والطموح.. وكان لدى حسن البنا طموح آخر هو الوصول إلى الحكم.

في فلسطين كانت هناك درجة من التفاؤل، كان الفلسطينيون قاموا بثورتهم العظيمة سنة ١٩٣٦م مما أدى إلى تراجع المشروع الصهيوني قليلاً، وأدخلت في الأراج فكرة تقسيم فلسطين، وبدأ الإنجليز على استعداد لتفهم مطالب الفلسطينيين ومناقشتها، وهكذا كانت اللحظة - فلسطينياً - فيها قدر من التفاؤل وحالة من الإيجابية، كان الشعب الفلسطيني في موقف القوة وأثبت أن لديه قدرة على الضغط ويديه الكثير من الأوراق تساعد على الضغط.

باختصار .. حين أسس البنا تنظيمه المسلح فإنه كان جزءاً أصيلاً من مشروعه وتفكيره، وقدم في خطبته، الأساس العقائدي والأيدولوجي له، ومشروع التنظيم كان يبدأ من مصر ويتركز فيها بالأساس، أي أن التنظيم كان يتعلق بأمور تخص تعامل الجماعة مع المجتمع المصري ومع القوى والتيارات السياسية والفكرية وأيضاً الدينية الأخرى، أما حكاية أن التنظيم تأسس ليعمل ضد الاحتلال الإنجليزي والصهيونية، فهذا تبرير قيل حين تكشف الوجه القبيح والإرهابي للتنفيذ بعد اغتيال المستشار أحمد الخازندار، فالاعتداء على هذا النحو الفج على رجل قضاء، يعنى أن التنظيم لم يكن مستعداً أن يترك أحد دون أن يقترب منه برصاصه، وإذا وقف في طريق الجماعة ومشروعها، أى طريق حسن البنا.

★★★

جرى اغتيال المستشار أحمد الخازندار لأنه أصدر أحكاماً على عدد من أعضاء الجماعة اعتبرها التنظيم الخاص قاسية، فتقرر إطلاق الرصاص عليه.. بعدها جرى اغتيال اللواء سليم زكى حكمدار العاصمة .. فضلاً عن أعمال إرهابية أخرى مما اضطر النقراشى باشا إلى إصدار القرار بحل الجماعة في ديسمبر ١٩٤٨م فردت عليه الجماعة بالاغتيال في نفس الشهر .. فأصدر حسن البنا بيانه الشهير «ليسوا إخواننا وليسوا مسلمين».. وبسبب هذا البيان ظهر القول لدى بعض كتاب الجماعة إن

التنظيم انضمت عقاله وإن قاتده عبد الرحمن السندى كان يتخذ هذه القرارات وينفذ عمليات الاغتيال من وراء ظهر حسن البنا، ومن ثم فلا مسؤولية تقع على حسن البنا، وتقع المسؤولية على التنظيم وقيادته.. وهذا ما رفضه السندى تماماً ومعارضيه، وراحوا يؤكدون على أن البنا هو من أصدر إليهم الأوامر.. وثار خلاف داخل الجماعة، حول هذا الأمر - الشيخ محمد الغزالي يبرئ البنا، فراه يقول : « كان الأستاذ حسن البنا نفسه، وهو يؤلف جماعته في المعهد الأول يعلم أن الأعيان والوجهاء وطلاب التسلية الاجتماعية الذين يكثرون في هذه الشبكات لا يصلحون لأوقات الجد. فألف ما يسمى بالنظام الخاص، وهو نظام يضم شبكاً مدبرين على القتال، كان أن الغرض من إعدادهم مقاتلة المحتلين الغزاة من الإنجليز واليهود. وقد كان هؤلاء الشبان الأخفاء شراً وبيلاً على الجماعة فيما بعد، فقد قتل بعضهم بعضاً وتحولوا إلى أداة تخريب وإرهاب في يد من لا فقه لهم في الإسلام ولا تمويل على إدارتهم للصالح العام»^(١).

الشيخ الغزالي يشير هنا إلى واقعة قيام التنظيم الخاص باغتيال سيد فايز، بأن أرسلوا إلى بيته هدية عبارة عن علبة من الحلوى مفضخة، وكان السبب أن المرشد العام حسن المصبي قرر تعيينه مسؤولاً للتنظيم الخاص.. لكن ما يقوله الغزالي عن أن البنا أسس التنظيم لأنه كان يدرك أن الوجهاء والأعيان والراغبين في التسلية الاجتماعية لن يصلحوا لأوقات الجد، مناف للوقائع، فالذين دخلوا الجماعة في عهدها الأول لم يكونوا كذلك، لم يكن بينهم وجهها ولا عيناً من الأعيان، بل كانوا مواطنين بسطاء.. بسطاء في تعليمهم وثقافتهم، وفي وضعهم الاجتماعي والاقتصادي.. كان بينهم التجار والسباك والحداد، وهكذا.. ولأول مرة نعرف أن الجماعة دخلها في عهدها الأول راغب التسلية الاجتماعية، أي أناس يبحثون عن

(١) محمد الغزالي. من معالم الحق في كشفنا الإسلامى الحديث، الطبعة الثالثة، ١٩٦٣م، دار الكتب الحديثة، ص ٢٦٤

حاجة لتعضية وقت الفراغ، بدلاً عن جلسات التسمية والمقامى والوادى بمعيار ذلك الزمان. ويقول الغزالي إنه كان مفروضاً أن يقوم أعضاء التنظيم الخاص بمكافحة الإنجليز واليهود، ولا يعرف من قرص ذلك؟ ذلك أن هذا التنظيم بدأ فعلياً بخارب المصريين وليس الإنجليز، حدث ذلك في عهد البنا نفسه.

وفي مذكراته يحكى د. عبد العزيز كامل أنه حضر في مارس ١٩٤٨م اجتماعاً في المركز العام للإخوان حضره المرشد العام حسن البنا وقادة التنظيم الخاص، كان الاجتماع حول مقتل المستشار أحمد الحازندار. يكتب عبد العزيز كامل: «قال الأستاذ إن كل ما صدر منه من قول تعليقاً على أحكام الحازندار في قضايا الإخوان «لو ربنا بخلصنا منه» أو لو نخلص منه، أو لو أحد بخلصنا منه، معنى لا يخرج عن الأمنية ولا يصل إلى الأمر. فالأمر محدد وإلى شخص محدد، ومن لم يصدر أمراً، ولم يكلف أحدًا بتنفيذ ذلك»^١.

ثم يحكى د. عبد العزيز أنه وجه السؤال إلى المرشد العام:

- هل أصدرت فضيلتكم أمراً بخاصة لعبد الرحمن بهذا الحادث؟

- قال: لا.

- قلت: هل تحمل دم الحازندار على رأسك وتلقى به الله يوم القيامة؟

- قال: لا.

وتوجه بالسؤال نفسه إلى عبد الرحمن السندى مسؤول التنظيم الخاص:

- عن تلقيت الأمر بهذا؟

- فقال: من الأستاذ.

- قلت: هل تحمل دم الحازندار على رأسك يوم القيامة.

- فقال: لا.

١٩ عبد العزيز كامل في سر الحياة ص ١٤٦، الكتب القصرى الحديثة، ط ٢٠٠٦م

ويذكر د. عبد العزيز أنه قال «الأستاذ ينكر وأنت تنكر، والأستاذ ينبرأ وأنت تنبرأ» فرد عليه عبد الرحمن: عندما يقول الأستاذ أنه يتمنى الخلاص من الحازندار، فرغته في الخلاص أمر منه». وسببت الحال على هذا النحو.. المرشد «طوال الجلسة: أنا لم أقل ذلك، ولا أحمل المسؤولية».

وعبد الرحمن يرد: لا أنت قلت لي وتحمل المسؤولية^(١).

من يتحمل المسؤولية، السندى نفذ العملية واغتال المستشار، أوى قتل مواطنًا مسلمًا، وفي الواقع قتل معه آخر وهو الذي نفذ عملية القتل ويتنظره حكم الإعدام، لكنه يصبر على أن تلقى أمر من المرشد والمرشد يقول إنه لم يأمر، بل «تمنى» الخلاص من المستشار، وحتى لو لم يأمر بشكل مباشر فهو يتحمل المسؤولية. فلو أن رئيس دولة جلس مع رئيس المخابرات وقال أمامه أنه يتمنى الخلاص من شخص، فهذا من الناحية العملية أمر مباشر، فلو أن الرئيس الأمريكى استدعى مدير المخابرات المركزية الأمريكية (C.I.A) وقال له إنه يتمنى الخلاص من أسامة بن لادن، فهذا أمر مباشر بالعمل على التخلص منه ولا شيء غير ذلك. وحكاية الأمر المباشر من عدمه، فهي سفسطة إجرائية فقط، المرشد يتمنى إذا جلس بين ناس عاديين، لكن بين مقاتلين، يأمرون بأمره، وهو قائدهم الأعلى، فالأمر مختلف.

ذلك الاجتماع الذى يتحدث عنه عبد العزيز كامل شارك فيه محمود الصباغ، وهو أحد معاونى السندى، يكتب الصباغ بالحرف بأن هناك تعليقات من المرشد العام عن بعض الأحداث «يقصد بها مجرد الكتمان لحقائق هذا الأمر، في هذا الظرف». ثم يتحدث عن طبيعة العمل في ذلك التنظيم بأنها، لا تسمح لقائد ولا لأحد من المسؤولين فيه أن يقوم بأى عمل دون إذن المرشد العام وأمره، وأن كل اختصاصات قيادات النظام الخاص محصورة في الأعمال التنظيمية والتربوية لرجالها،

(١) يمكن مراجعة المشهد كله في مذكرات عبد العزيز، كامل ص ٤٧-٤٨.

وضع المخطط التنفيذية للعمليات التي يتلقون الأمر بالقيام بها من المرشد العام شخصياً^(١) ثم يضيف «ولو كان الأمر على غير ذلك لكان النظام الخاص عصابة مستقلة، عديم كيان الجماعة، بالقيام بأعمال لم يأذن بها مرشدوها لكون أعضائه جميعاً أعضاء في الجماعة»^(٢) ثم يقول مدافعاً عن رجال ذلك التنظيم بأنهم «رجال النظام الخاص، رجال لا يتصورون إلا بصدق العقيدة والاستعداد للاستشهاد في سبيلها، بالذنب كل ما يملكون من دم ومال ومديرين تدريباً كافياً على ما يقومون به من عمليات، وليس لهم من أمر الفنيا بجواز عمل من الأعمال، أو تقدير الأثر السياسي لأي من هذه الأعمال، شيء على الإطلاق.. فالفنيا في هذه الأمور، وتقدير آثارها، متروكة قاتماً لحكمة المرشد العام وفقهه»^(٣).

يحسم هذا الأمر ما حدث في نهاية الاجتماع الذي حدثنا عنه د. عبد العزيز كامل إذ يذكر «قلت له - والمقصود حسن البنا - هل تترك المسائل على ما هي عليه، أم تحتاج منك إلى صورة جديدة من صور القيادة، وتحديد المسؤوليات؟» فرد البنا «لا بد من صورة جديدة وتحديد مسؤوليات.. واستقرار على تكوين لجنة تضم كبار المسؤولين عن النظام، بحيث لا يشرد عبد الرحمن برأى ولا تصرف، وتأخذ اللجنة توجيهاتها الواضحة المحددة من الأستاذ وأن يوزن هذا بميزان ديني يقتضى أن يكون من بين أعضائها - بالإضافة إلى أنها تتلقى أوامرها من الأستاذ - رجل دين على علم وليان، ومن هنا جاء دور الشيخ سيد سابق ميراثاً لحركة الآلة العتيقة»^(٤).

سوف نلاحظ أن المجتمعين بمن فيهم حسن البنا تعاملوا مع جريمة قتل المسنار على أنه خطأ في الفهم وقع ولا أكثر من ذلك، رغم أن عقوبة القتل في

(١) عمود الصياغ: التصويب الأمين، ص ٣٣.

(٢) نفسه، نفس الصفحة.

(٣) نفسه، نفس الصفحة.

(٤) مذكرات عبد العزيز كامل، مرجع سابق، ص ٤٨.

الإسلام معروفة، وما حدث لم يجعلهم يعيدون النظر في المشروع أو في وجود التنظيم الخاص وطبيعة عمله، ولكنهم فقط قرروا أن لا يتفرد عبد الرحمن السندى بالرأي، وأن يرجع إلى المرشد العام.. ولا جديد في ذلك لأن السندى قال إنه لم يتصرف من تلقاء نفسه، لكنه سمع من المرشد العام، الجديد هو ضم الشيخ سيد سابق، وبعد مقتل النقراشي، اعترف قاتله بأن سيد سابق من قدم له الأدلة الشرعية على استحقاق النقراشي للقتل.

هذه النهاية للاجتماع نجعلنا نتأكد من أن البنا لم يكن ضد الاغتيال ولا ضد تصفية الحوصوم، هو فقط أكد على ضرورة الرجوع إليه عند تنفيذ العملية، وفي ضوء هذه التعديلات - الوهمية في الواقع - على التنظيم الخاص تمت تصفية النقراشي. هنا تقع المسؤولية بالكامل على حسن البنا.

في جريمة اغتيال أحمد ماهر أنفذ صمت العيسوي التنظيم والجماعة، وساعد ضعف قدرات رجال الأمن على عدم المتابعة والبحث للوصول إلى شركاء العيسوي الثلاثة الذين اختفوا بعد تنفيذ الجريمة، وبعد اغتيال الحازندار كانت هناك فرصة ذهبية للبنا لإنقاذ الجماعة ولإنقاذ مصر، لكنه كان ينطوى على رغبة في تخويف الآخرين وإرهابهم، هل نذكر هنا ما رواه فتحي رضوان في مقال له بمجلة الدوحة بأنه يوم اغتيال الحازندار التقى مساءً بحسن البنا عابراً، فقال له البنا بثقة «هه.. هل أدرك الناس الآن ما يمكن أن نفعله؟». كانت أمامه خطوات يمكن أن يتخذها وقرارات حاسمة كان عليه اتخاذها، منها:

أولاً: إما وأنه ذهب إلى أن السندى أساء فهم التوجيه وأساء فهم كلمة المرشد، وبناء على هذا قام بارتكاب جريمة اغتيال أحد رجال القضاء، فكان الواجب عزل السندى وإحاليته إلى محاكمة أو تحقيق تأديبي داخل الجماعة.. لكن لم يتخذ أى إجراء نحوه وأبقى عليه في موقعه هو والمجموعة المعاونة له، بل حظى التنظيم بتأكيد دوره وعمله.

ثانيًا: كان أمام المرشد العام خطرة أكثر جذرية، وهي أن يقوم بتصفية التنظيم الخاص وحله، وتوزيع أعضائه على جوانب عمل الجماعة، وتسليم سلاحه إلى الداخلية، وكان ذلك ممكنًا وبلا عقاب، أو حتى تقديمه هدية للفلسطينيين، ويكتفى بالكارثة التي وقعت.. لكنه لم يفعل.

ثالثًا: كان ممكنًا أن يقوم بعملية مراجعة لتوجه الجماعة التي قادها هو إليه، وهو الغرق في مستنقع السياسة بأخطأ أشكال ممارستها، وأن يجعل من الجماعة جماعة للدعوة إلى النقضات وحسن الخلق، لكن حسن البناء كان مأخوذًا بجاذبية اللعب في كواليس السلطة والديوان الملكي واستقبال مندوبي السفارات الأجنبية وأجهزة مخابراتها.

رابعًا: كان يمكن أن يصدر قرارًا صارمًا - شفويًا أو كتابيًا - بأنه ممنوع على التنظيم الاعتداء على حياة أي مصري أينما كان السبب، أو عدم تهديد أي مواطن مصري، مهما كان من اختلاف له مع الجماعة أو حتى عداؤه ورفض لها. لكننا وجدناه في أزمة مصرع الحازندار يحصر القضية في هل قال مباشرة للسندى اقله أو أن السندى فهم ذلك، بينما لم يبد استنكاراً لمبدأ الاغتتيال ذاته وتهديد حياة الأمنيين والاعتداء على المدنيين.

خامسًا: كان من الممكن أن يضم إلى عضوية التنظيم عضوًا بالجماعة من القانونيين أو متخصصًا في الشريعة الإسلامية، يكون ضابط إيقاع لذلك التنظيم ويحد من اندفاع أعضائه، بل حتى يكون مستشار للمرشد نفسه، باعتباره القائد الأعلى للتنظيم، يستشير ويأخذ رأيه في بعض العمليات، خاصة ما يتعلق منها بالمواطنين المصريين وممتلكاتهم.. لكنه لم يفعل.

سادسًا: هناك خطوة إنسانية، تعبر عن اللياقة والمسؤولية الإنسانية، وتمثل الحد الأدنى من الفعل أو أضعف الإيمان، وهو أن يصدر بيانًا باسمه يعتذر فيه عن الجريمة

التي ارتكبت، اعتذاراً إلى السادة القضاة، لما حدث في حق واحد منهم، أو أن يصدر بيان اعتذار إلى أسرة المستشار أحمد الحازندار، أو يعرض دفع تعويض مناسب لهم.. أو حتى دية، شيء بسيط يعبر به عن الاعتذار ويؤكد به أن ما وقع بحق الحازندار لا يعبر عن اتجاه أساسي للجماعة أو رغبة خاصة لديه، وأن مرتكب الجريمة والفعل كله عملاً استثنائياً وقع، يتحمل مسؤوليته من قام به. وكان يمكن إصدار بيان عام للمصريين بأن جريمة الاغتال التي تمت لن تتكرر ثانية بحق أي مصري، أياً كان موقعه أو موقفه منهم.

ذكر د. محمود عساف أن هناك من اقترح على المرشد دفع دية لأسرة الحازندار، لكنهم اكتشفوا أن الحكومة دفعت تعويضاً للأسرة، فاعتبروا ذلك إسقاطاً للدية الواجبة عليهم.

الواقع يؤكد أن البنا لم يفعل أي شيء، بل أبقى كل شيء كما هو، ومن ثم كان طبعاً أن يستفحل التنظيم وينوحش ثم يقدم على ما هو أسوأ وأخطر.. وكانت النتيجة النهائية أن شرب البنا الكأس نفسها، وجرى له ما جرى على الآخرين..

القصاص المأثم

حرب فلسطين

أحمد حسين وليس حسن المينا

من شباب معهد إني حسن أفندي المينا

«إني لم تكن أميناً على العهود ولعلك ما زلت تذكر الحديث النبوي الشريف أن المؤمن قد يفسق وقد يسرق ولكنه لا يكذب قط».

السائد في أدبيات جماعة الإخوان المسلمين أن النقراشي باشا أصدر قرار حل الجماعة في ديسمبر ١٩٤٨م، استجابة لضغوط وأوامر أجنبية، إنجليزية وفرنسية وأمريكية، وهذه الأوامر صدرت عن دوافع صهيونية، وذلك انتقاماً من الجماعة للدور البطولي الذي قامت به في حرب فلسطين، وأنه لو لا قرار الحل فإن الجماعة كانت على وشك إنقاذ فلسطين وإيادة إسرائيل نهائياً، يقول كتاب الجماعة ذلك تبريراً لما قاموا به من اغتيال النقراشي، نجد ذلك واضحاً في كتاب محمود الصباغ «حقيقة التنظيم الخاص»، ولدى آخرين من كتابهم، لكن ما رده هؤلاء الكتاب لإثبات نية الخيانة والكفر على رئيس الوزراء، وأنه كان يستحق الاغتيال، انتقل إلى مجال آخر قائماً، وهو أن الجماعة ومرشدها المؤسس تعرضوا للحل سنة ١٩٤٨م استجابة للضغوط الصهيونية، وأن الجماعة كانت مهية بمطويعها وأسلحتها لإنقاذ فلسطين من الضياع، لكن حكام مصر، آنذاك، أنى النظام الملكي المملأ في الملك فاروق ورئيس الوزراء محمود النقراشي تدخلوا في اللحظة الأخيرة لإنقاذ إسرائيل من دمار محقق، ومن ثم فقد أضاعوا فلسطين..

يذهب إلى ذلك من يوصفون بالمعتدلين داخل الجماعة، ومن يوصفون بالشدد، أي أنه موضع إشفاق بين مختلف أطراف الجماعة، وكذلك بين أجيالها المتباينة، فما زال هذا الكلام يتردد إلى اليوم، وفي ديسمبر سنة ٢٠٠٨م، في ذكرى مرور ستين عامًا على اغتيال النفراسي، أعادت الجماعة إنتاج نفس الأفكار، بالكلمات ذاتها، لكن بلهجة أشد حدة وأشد ثقلًا.

د.حسان حنتوت، أحد الذين عاصروا البنا وعاشوه، يقول «في اعتقادي أن السبب الأول لحل الإخوان، كان الطريقة التي حاربوا بها في فلسطين. الداخل والخارج خائفًا من هذه العقيدة التي تحمل في المصيرى العادى المسلم بطبيعته فتحيله إلى الفدائية والبسالة اللتين لم تكونا معروفتين في ذلك العهد»^(١). ثم يقول «الملك والأحزاب في الداخل والصهيونية والاستعمار في الخارج كانوا في خندق واحد تجاه الإخوان»^(٢). ثم يقول «وعلمنا من بعد أن سفراء أمريكا وبريطانيا وفرنسا قابلوا الملك وطلبوا منه حل الإخوان»^(٣).. وإذا كان د.حسان يقطع بأن السفراء الثلاثة التقوا الملك فاروق وطلبوا إليه أن يحل الإخوان، فإن غيره من كتاب الجماعة لا يصلون إلى هذا اليقين، حيث يذكرّون أن السفراء الثلاثة اجتمعوا في فايد وأوعزوا إلى الحكومة المصرية أن تتخذ هذا القرار، أي أنهم لم يلتقوا الملك ولم يتصلوا به، ولكنهم «أوعزوا» إلى رئيس الحكومة، أي لم يطلبوا منه ذلك مباشرة، والمفاجأة أن الذى قال بذلك المرشد الأول حسن البنا نفسه في معرض رده على مذكرة الحل التى رفعتها وكيل الداخلية عبد الرحمن عمار.. وبعد مرور كل هذه السنوات وتكشف الكثير من الوثائق، فإن السفراء الثلاثة لم يجتمعوا وقتها في فايد، ولم يستقبلهم الملك فاروق في تلك الفترة، ولم يستقبلهم أبدًا مجتمعين، وإن قرار الحل اتخذته النفراسي بعد حوادث الإرحاب التى قاموا بها، خاصة مقتل الحازندار، وأن هناك فريقًا في الداخلية

(١) حسان حنتوت، عشر سنوات مع الإمام حسن البنا، دار الشروق، ط ٢٠٠٠م، ص ٧١.

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) المرجع السابق، ص ٧٢.

المصرية كان يمارض قرار الحل، لأن الداخلية لم تضع يدها على كل عناصر التنظيم الخاص ولا تعرف حجم ما لديه من أسلحة وذخائر.

يقدم حسين محمد أحمد حمودة في كتابه «حركة الضباط الأحرار والإخوان المسلمون» نفس التفسير لكن بحجيات أخرى كأحد ضباط الصف الثاني في تنظيم الضباط الأحرار.

يقول «كان الملك فاروق ينظر بعين الريبة إلى الإخوان المسلمين ويخشى أن يؤلفوا جيشاً في فلسطين يكون خطراً على عرشه. حقاً لقد كان الإخوان المسلمون خطراً على إسرائيل، وقد فهم اليهود ذلك حق الفهم في ميدان القتال، فأوحى اليهود إلى الإنجليز الذين أوحوا إلى الملك فاروق وأدخلوا في روعه أن استمرار الإخوان في جهادهم بفلسطين والنشاط الذي يجريه حسن البنا في مصر لتجهيز قوات الإخوان في كيفة ليدخل بها فلسطين وإيقاظه لروح الجهاد الديني في الشعب المصري سيصبح خطراً دائماً على عرش فاروق، فأمر الملك فاروق رئيس وزرائه محمود فهمي النقراشي باتخاذ الإجراءات اللازمة للبش بجماعة الإخوان المسلمين واستئصال شائقتهم»^(١).

هنا يبدو أن الضغط كان إنجليزياً فقط، وأن صاحب قرار الحل هو الملك فقط، وأن النقراشي باشا كان مجرد منفذ لأمر الملك فقط. أي أنه لم يكن ضالماً في مؤامرة دولية لصالح الصهيونية، لكن رئيس وزراء ينفذ تعليمات الملك، الذي كان خائفاً على عرشه من البنا!!

ما يعنينا الآن هو ما يتعلق بفلسطين، إذ يقول «ولو ترك حسن البنا على حريته لدفع إلى فلسطين بعشرات من الكتائب الإخوانية ولتغيرت نتيجة حرب فلسطين لا محالة. وخشى الملك فاروق أن يطمع حسن البنا في حكم مصر وبخاصة بعد أن

(١) حسين محمد أحمد حمودة: أسرار حركة الضباط الأحرار والإخوان المسلمين، الزعماء للإعلام العربي، ط ٤، سنة ١٩٩٤م، ص ٥٩.

ظهرت بسالة وفداية منطوى الإخوان في الحرب، فقرر التخلّص من الشيخ حسن البنا بقتله واغتياله^(١).. هنا يجنّفى الملك من قرار الحل ويظهر في قرار الاعتقال.

هذا المنهج في تفسير قرار الحل، بدأه حسن البنا، فقد أعد «البنا» مذكرة للرد على مذكرة عبد الرحمن عمار وكيل وزارة الداخلية بحل الجماعة، وأطلق البنا على مذكرته عنوان «قضيئنا»، ولم يقتنع فيها بأسباب حل الجماعة، ثم قال «مستحيل أن يكون الدافع الحقيقي لهذه الخطوة الجريئة من الحكومة مجرد الاشتباه في مقاصد الإخوان أو اعتبارهم مصدر تهديد للأمن والسلام، وهو ما لم يعتمد عليه دليل ولا برهان، ويكمن الدافع الحقيقي فيها نظن في انتهاز الأجانب فرصة وقوع بعض الحوادث مع اضطراب السياسة الدولية وقلق الموقف في فلسطين، وتردد سياسة مصر بين الإقدام والإحجام فشدّوا الضغط على الحكومة، وقد صرح بذلك سماعة عمار بك نفسه، وأقر بأن سفراء بريطانيا وأمريكا وفرنسا قد اجتمعوا في فايد وكتبوا لدولة النراشي صراحة بأن لا بد من حل الإخوان المسلمين. وكان في وسع دولته أن يترجمهم من مثل هذا التدخل في شأن داخلي بحت». وعلى هذا النحو يواصل البنا الكلام إلى أن يقول عن النراشي بدلاً من ذلك استجاب لهذه الرغبة الأجنبية وإصدار قرار الحل فأشمت الأعداء وأحزن المؤمنين الأتقياء».

ويكشف هذا النص عن غرور وثقة مطلقة، حين يقطع بأنه «مستحيل» أن تكون الدوافع الحقيقية للحل هي ما وردت بمذكرة عمار، ثم هو يقع في تناقض حين يقول إن هناك «بعض الحوادث» وقعت، دون أن يحددها ولا أن يجدد من قام بها، لكن بين هذه الحوادث «اغتيال رئيس محكمة في الشارع العام.. وينسب حكاية اجتماع السفراء الثلاثة في فايد إلى عبد الرحمن عمار، وقد قام عمار بتكذيب البنا ونفى أن يكون قد قال ذلك، نفاه في تحقيقات النيابة العمومية بعد اغتيال النراشي باشا،

ولو أن هذه الواقعة حدثت فالذى يصرح بها ليس وكيل وزارة الداخلية، بل يصدر التصريح عن مكتب رئيس الوزراء أو عن وزارة الخارجية باعتباره يدخل في اختصاصها أو عن أحد من السفراء الثلاثة ... كان حسن البنا يكذب في هذه الجريئة وصدقه مريدوه، لقد تكشفنا الكثير من الوثائق بعد ٢٣ يوليو ١٩٥٢م، ولو أن شيئاً من ذلك حدث لما أخفاه الضباط الأحرار، فضلاً عن أن الوثائق الأجنبية حول تلك المرحلة كشفت، والأهم من ذلك أن العلاقة بين الدول الثلاثة «بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة» لم تكن على هذه الدرجة من التقارب، فقد كانت أمريكا تسمى إلى إزاحتها من المنطقة، ولا أنهم لما وقع اختيار البنا على مدينة فايد... رغم أنها لم تكن مدينة رئيسية في مصر، لماذا لا تكون الإسماعيلية، حيث مقر شركة القناة ولماذا لا تكون القاهرة أو الإسكندرية؟!

ويشعر المرء في كتابات الإخوان وكأنهم وحدهم انتغلوا بالقضية الفلسطينية، وكانوا مهومين بها، وضحووا من أجلها وعوقبوا بسببها واضطهدهم العالم كله لهذا السبب، والواقع أن ذلك أبعد عن الحقيقة، وفيه إصرار على إنكار جهود آخرين، قبل الإخوان، ولو راجعنا الواقع فلم يكن هم وحدهم الذين انتغلوا بها ولا كانوا أول من اهتم بها ولا أكثر من بذل جهداً أو تضحية، بل الصحيح أنه كما استغل أطراف عديدة القضية الفلسطينية لإضفاء هالة من الوطنية والإخلاص على أنفسهم وتبرير أشياء كثيرة، فإن الإخوان أجادوا استغلال هذه القضية للغطية على أعمال إرهابية قاموا بها وانتهازية سياسية مارسوها.

ومنذ وقت مبكر، شغلت الصحافة المصرية وعدد من الكتاب بما يجري على أرض فلسطين، كان ذلك منذ تسعينيات القرن التاسع عشر، وتواصل الاهتمام بها، وحين صدر وعد بلفور سنة ١٩١٧م فزع له كثير من المصريين ونددت به شخصيات عديدة، ولما وقع حادث البراق سنة ١٩٢٩م ألقى عدد من الشخصيات المصرية بأنفسهم في القضية وفي مقدمتهم محمد علي علوبة، وشغلت الثورة

الفلسطينية سنة ١٩٣٦م المصريين جميعاً، ونقرأ في مذكرات لورد كيلرن أنه التقى مصطفى النحاس رئيس الوزراء على العشاء مساء ٤ يوليو سنة ١٩٣٧م وتحدثا عن المسألة الفلسطينية، يقول السفير «أبلغني بأنه لا يجب إطلاقاً الاقتراح الخاص بالتقسيم، وأنه على ثقة من أن العرب لن يوافقوا على ذلك أيضاً، وأكثر من ذلك فإنه كرئيس لوزراء مصر لا يمكن أن يتعاطف مع الاتجاه الداعي إلى إقامة دولة على حدود فلسطين»^(١). فالححاس باشا يبلغ السفير البريطاني في مصر أنه يرفض فكرة تقسيم فلسطين وأنه لا يوافق على إقامة دولة لليهود في فلسطين. ويواصل السفير حديثه عما سمعه من النحاس باشا «ويرى أن الحل الجذري والمقبول هو إقامة حكومة عربية في فلسطين تربط بإنجلترا وتحالف وثيق مع ضمان حرية الأديان لكل مواطنيها من اليهود والمسلمين والمسيحيين وغيرهم، فقلت له إنني أوافق على ذلك، إلا أن ذلك الاتجاه يتجاهل سلطات الانتداب والتي اعترفت بفلسطين وطن قومي لليهود»^(٢). ويقول السفير إن النحاس لم يتم بقوله واستطرد قائلاً «إن فكرة الانتداب لم تكن بالفكرة الصائبة أصلاً وتعمين التخلص منها»^(٣). أي أن طبقاً لرأي النحاس يجب أن تنتهى بريطانيا الانتداب على فلسطين وتسلمها لأهلها كي تقوم فيها حكومة عربية.

ونقرأ أيضاً في مذكرات السفير أنه التقى الملك ظهر يوم الجمعة ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٣٧م حيث دار بينهما حديث وصفه السفير بأنه «ودي» وكان الحديث حول فلسطين، يذكر السفير بالحرف «وقال جلالاته إن بلفور كان سخيفاً عندما منح البعض وعوداً بأشياء لا يملكها إذ أنها من حق أناس آخرين .. فقلت له إنني أوافق»

(١) راجع مذكرات اللورد كيلر في مصر، ترجمة وتحقيق د. سامي أبو النور، مكتبة مدبولي، بدون تاريخ، ص ١١١.

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) المرجع السابق، ص ١١٢.

الرأى فى ذلك"١١. ذلك هو رأى جلالة الملك بعد عام من توليه الحكم، وكان الملك نفسه، هو من أخذ على عاتقه السماح لفضى القدس بالمجيء إلى مصر رغم أنه كان مطارداً من الإنجليز. وحين تأسست الجامعة العربية وسعد بها الجميع بعن فيهم مرشد الإخوان يكتب د. طه حسين (عميد الأدب العربى) منها إلى أن معيار بقاء ونجاح الجامعة الأكيدة هو فيها تقدمه إلى فلسطين وعرب فلسطين فى محبتهم التى تهدد وجودهم.

كان التماطف مع قضية فلسطين رسميًا وشعبيًا، لم يتفرد به تيار أو حزب أو جماعة.. ثم تطور التماطف إلى المناذة بجميع التبرعات وإرسالها إلى الفلسطينيين لمعاونتهم على مواجهة الصهيونية، ولم تكن هناك جهة يعينها تتولى الجمع، تبرع بعض الأعيان ونشطت مصر الفتاة والإخوان المسلمين فى جمع التبرعات من أعضاء كل منها، ثم وقع خلاف ضخم داخل جماعة الإخوان، كان الخلاف بين مجموعة من الأعضاء مع المرشد العام حسن البناء، وكان ذلك مطلع عام ١٩٤٠م، ونشر هؤلاء الغاضبون بيانًا لهم فى مجلة النذير (أول فبراير ١٩٤٠م) بعنوان «قضية فى سبيل الله.. موقفنا النهائي من جمعية الإخوان المسلمين». أخذ فيه الغاضبون أربعة أمور على المرشد العام، حمل الأمر الثالث منها عنوان «التلاعب المالى» وفيه قالوا إنهم طلبوا إلى فضيلة المرشد تكوين هيئة قوية لمراقبة المال والمحافظة عليه وتكون الهيئة مسؤولة أمام الإخوان، لكن أعرض فضيلته وأصم أذنيه عن هذا القول الذى نعدده طلبًا عادلاً يتفق مع أبسط مبادئ الإدارة. وكان من نتيجة ذلك حدوث خلل وتجاوزات مالية فى عدة أمور، نتوقف نحن - هنا - عند ما ورد فيها متعلقًا بالقضية الفلسطينية وننقله بالحرف الواحد: «قد جمع فى خلال عام أو أكثر على سبيل الاكتتاب من الشعب مبالغ لمساعدة فلسطين الشقيقة فى محتها التى تجارها وبلغ مجموع هذه الاكتتابات حسب بيان الأستاذ الأخير مبلغ ٥٧٠ جنيهاً مصرىًا، وما لا شك فيه أن

(١١) المرجع السابق، ص ١١٢-١١٣.

هذا المبلغ يعتبر أمانة في ذمة الإخوان فرض عليهم أن يؤدوها إلى أصحابها بمجرد وصولها إلى أيديهم، ومع ذلك فلم يصل إلى الفلسطينيين من هذا المبلغ سوى ٦٥ ٪، جنبها على ثلاث دفعات، أما باقي المبلغ فقد اعترف الأستاذ أن جزءاً كبيراً منه أنفق في شؤون الجمعية الخاصة ولا يرى فضيلته في ذلك مانعاً شرعياً، ثم عاد وقال بعد أن سمع حكم الشرع في هذا إنه مستعد لجمع هذا المبلغ وإرساله. والمهم كذلك أنه لا وجد بخزانة الجمعية ملئم واحد من هذا المبلغ أيضاً.

هذا البيان الغاضب وقع عليه ١٨ عضواً من الإخوان من بينهم عضو مكتب إرشاد سابق ومندوب شعب الأقاليم ومندوب عدة كليات بجامعة القاهرة وجامعة الأزهر وآخرون .. وهم المجموعة التي كونت جماعة «شباب محمد ﷺ».

كانت الاتهامات قاسية وجارحة في حق حسن البنا، خاصة منها ما يتعلق بالمسائل المالية، فضلاً عن بند آخر تعلق بالمسائل الأخلاقية، ولذا كان لا بد من الرد ونشرت مجلة الجماعة رداً على هذا البيان، حل توقع الجماعة، لكن فيها يبدو أن المرشد هو الذي كتب، وجاء فيه بخصوص الجوانب المالية لفلسطين إن المبلغ المتبقى أنفق على أمور الدعاية للفضية، ولم يكن هذا مقصداً لأصحاب البيان الأول فضلاً عن أن المرشد بذلك لم ينكر ما قالوه؛ ولذا فتح الرد المجال أمامهم ليعقبوا عليه ويضيفوا وقائع جديدة، وهكذا نشروا في عدد ٢٤ فبراير سنة ١٩٤٠ م / ١٦ محرم سنة ١٣٥٩ هـ متهمين الأستاذ حسن البنا «بأنه» شوه فيه الحقائق الثابتة تارة وتغافل عن بعضها تارة، محاولاً بعد ذلك كله أن يحصر ما اختلفنا عليه في نواحي شخصية ضيقة مبنياً من وراء ذلك التقرير بالبسطاء والسذج...، وتوقفوا عند ما يتعلق بفلسطين والتبرعات لها، جاء في البيان «أما أموال فلسطين فإنك تقول إن أعمال الدعاية لها وصلت إلى أكثر من ١٢٤ ٪ جنبها بينما أنك قد أعلنت أمام جمع كبير من الإخوان واعترفت صراحة بأنك صرفت على شؤون الجمعية مبلغ أربعين جنبها وقلت إن هذا جائز شرعاً، فرد عليك أحد الإخوان وهو محمد أفندي عبد الوهاب وأظهر

ذلك أن هذه أمانة وأن الشرع لا يبيح التصرف فيها ولا بطريق الاستدانة وحينذاك تراجمت عن رأيك الأول وقلت إذن فلنجعلها من جديد ولنرسلها. فقام أحد الإخوان وهو الدكتور إبراهيم أبو النجا وقدم جنيها مكتتبا به من هذا المبلغ ونذكر ما حدث من مسألة تمزيق هذا الجنيه بالذات...» ولم يتوقف السادة الغاضبون عند هذا الحد بل قالوا أو أضافوا «ثم إنك اقترضت من أموال فلسطين الخاصة بجمعية الشبان المسلمين مبلغ عشرين جنيها قرضًا خاصًا في شهر أغسطس ١٩٣٩م لم يسدد منهم إلى الآن سوى ٩ جنيهات وباقى المبلغ ما زال حتى الآن في ذمتك وقد اعترفت به أمام كثير من الإخوان».

ويواصل الغاضبون توجيه الاتهامات إلى حسن البنا «أما ما ذكرته عن مبلغ ١٢٤ جنيها التي صرفت في مطبوعات ورسائل وبريد وبرقيات وسفر مندوبين وطبع قسائم وعمل شارات وتذاكر شخصية وما إلى ذلك فإن جميع هذه الأبواب قد أنفق عليها من أموال فلسطين الخاصة والشهود على ذلك هم محمد أفندي السعيد فتح الله الذي كان يتولى جمع أموال فلسطين والصرف منها بأمرك، والشيخ محمد حسين عمر والشيخ محمد الحسنى عبد الغفار والشيخ عبد الباري عمر خطاب والأفندية حسام عامر وأحمد فهمي فتح الله وشاكر الغرابوي ومحمد عزت حسن وعلى الحففى الذين تسلموا نفقات سفرهم للدعاية لفلسطين ولتسليم الدفاتر للشعب من سعيد أفندى فتح الله، وبلغت هذه النفقات ما يزيد عن العشرين جنيها». ويواصل البيان القول «وكان أمين صندوق الجمعية في هذه الأثناء الحاج أحمد عطية وليسال الحاج أحمد إن كان قد سلم إلى سعيد أفندى فتح الله أى مبلغ ليسلمه إلى هؤلاء الإخوان؟» وعلى هذا النحو يستمر البيان في سرد وقائع حدثت وأطرافها جميعًا أحياء، وتؤكد الوقائع ضرورة الرقابة المالية المؤسسية وليس النصر فأت الشخصية للمرشد.. ويواصل القول «أما مصر وفات طبع الطوايع والشارات والبطاقات الشخصية والبريد فقد دفعها سكرتير لجنة فلسطين محمد

أندى على العلوى وتندى أن تبرز لنا إصلاً واحداً من أمين صندوق الجمعية
 ثبت أنه دفع ملياً واحداً إلى سكرتير اللجنة بمبلغ من هذه المبالغ، أما الشررات التي
 كانت توزع ومنها كتاب «هذا بيان للناس» فكانت ترد كما تعلم من طرف فلسطين
 رأساً... كانت الوقائع والحقائق صادمة ولا يملك المرشد رداً، ويبدو أنهم يشعرون
 منه غمماً وفقدوا الثقة به، وصار بلا مصداقية عندهم؛ لذا وجدناهم يخاطبون البناء
 بالقول... «لكنك تنكر الآن ما اعترفت به علناً وأمام جمع من مرديك وأتباعك
 وتنكر الحقائق التابعة فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم». ويقولون له أيضاً
 «إنك لم تكن أميناً على الحوادث فشوهتها أشد تشويه ولعلك ما زلت تذكر الحديث
 النبوي الشريف الذي يذكر أن المؤمن قد يغش وقد يسرق ولكنه لا يكذب قط»
 ويحمل التوقيع «الهيئة العامة لشباب محمد».

المرشد العام متهم بما نسميه اليوم «الفساد المالي» أو جمع تبرعات ثم توجيهها إلى
 غير ما جمعت له، وإلى وجهة غير التي أرادها أصحابها، وما يستوجب التوقف هنا أن
 المرشد ومرديه لم يتمكنوا من الرد على هذه الوقائع واكتفوا بالقول إنها خلافات
 خاصة وشخصية، وبلغت الانتباه أيضاً سهولة استعمال الشرع في الأهواء الخاصة
 وسهولة التحايل على الشرع كذلك، حسن البناء أخذ جزءاً من التبرعات التي جاءت
 لفلسطين ووضعها في حسابات الجماعة، وحين ووجه بذلك أفادهم بأن الشرع
 يسمح له بذلك، ولما اعترض أحدهم بأن الشرع لا يسمح وأن هذه الأموال أمانة
 يجب أن تؤدي إلى أهلها، قال الرجل ببساطة نعيد جمعها، لكن ماذا عن خيانه
 الأمانة؟ وماذا عن الافتئات على الشرع؟ وماذا عن أكل أموال وحقوق الآخرين...؟
 كل هذا لم يتوقف عنده المرشد العام ولم يزعج شعرة داخله ولم يحرك ضميره، ترى
 ألا يمكننا القول إن حسن البناء وظف المسألة الفلسطينية لصالحه هو وصالح جماعته،
 بدلاً من أن يحدث العكس؟!

على العموم كانت هناك هيئات وجمعيات عديدة تجمع التبرعات لأهل
 فلسطين، وسارت الأمور فيها على ما يرام، وحدها الجماعة ووحده حسن البناء هو من

طعن في أمانته المالية على الملأ ولم يستطع أن يرد، فما ووجه به وقائع ثابته حدثت أمام آخرين، شهود عليه، فضلاً عن أن إيصالات الجمعية وحساباتها لم تكن في صالحه.

★★★

استمر جمع التبرعات وتحريك المظاهرات لماصرة عرب فلسطين والتعاطف معهم، ثم حدث تحول نوعي في طرق وآليات المساندة، وجاء هذا التحول من أحد حسين رئيس مصر الفتاة، كان النضال قد تطور من جمع الأموال والتبرعات إلى شراء الأسلحة وإرسالها إلى القاتلين داخل فلسطين، ولا يجب أن نتوقع الكثير عن هذه الأسلحة، فقد كانت بنادق ومسدسات من مخلفات الحرب العالمية الثانية، أي لم تكن أسلحة ثقيلة، لكن أحمد حسين رأى أن ذلك ليس كافياً ولا بد من تكوين كتائب من المتطوعين تذهب إلى فلسطين وتقاتل داخلها، وزار أحمد حسين فلسطين في فبراير ١٩٤٨م وعاد من هناك ليصرح لمجلة المصور بأن «القضية لا تحتاج إلى مال وسلاح فقط، بل إلى جيوش منظمة وقيادة عسكرية حازمة، لأن الفلسطينيين لم يستطيعوا سوى الدفاع عن أنفسهم فقط...». وبالفعل شكلت مصر الفتاة أول كتيبة من المتطوعين حملت اسم «مصطفى الوكيل» لتسافر إلى فلسطين، لكن الحكومة المصرية مانعت في سفرها عبر الحدود المصرية، فما كان من أحمد حسين إلا أن بعث بالكتيبة إلى سوريا حيث معسكر «قطنا» «لندخل من هناك ودخلت بالفعل، والواقع أن حماس أحمد حسين كان عالياً، فقد واصل إرسال الكتائب وسافر هو مع إحداهما بنفسه إلى سوريا قبل دخولها إلى فلسطين.. وقد سبق أحمد حسين الجميع في ذلك، وهذا ما دعا جماعة شباب سيدنا محمد أن توجه التحية إلى مصر الفتاة وزعيمها على صفحات «النذير».. تحت عنوان «كلمة حتى يجب أن نقال.. مصر الفتاة تتقدم الصفوف»، وكلمة التحية حملت التقدير إلى «شباب مصر الفتاة ورؤسهم الأستاذ أحمد حسين. الذين هاجروا في سبيل الله وتركوا أبناءهم وعشيرتهم جهاداً في سبيل الدفاع عن حق الإسلام والمسلمين». وجاء في المقال ملاسة على الآخرين ومنهم

الإخوان، تقول النذير: «لقد ظلت الهيئات الوطنية والإسلامية في مصر، نملاً الأوزار بدعوى الجهاد، والرغبة في الاستشهاد، فلما حان وقت الامتحان لم تسع من أكرم هذه الهيئات إلا الدعاوى المريضة، ولم نشاهد منها إلا المظاهر الزائفة، إلا مصر الفتاة فقد نهجت في هذا الامتحان وأثبتت أنها في مقدمة العاملين، وسارت في صفونها القليلة، في عددها الكثيرة، برجولها وبسالتها بأقدام ثابتة إلى ميادين القتال بل إلى ميدان الجهاد الإسلامي الأكبر».

في ذلك الوقت كان موقف الإخوان وحسن البنا أقرب إلى الموقف الرسمي المصري، أي الاهتمام بالقضية ومناصرة الفلسطينيين وجمع التبرعات لهم، ويبدو أن موقف مصر الفتاة وتنديد شباب محمد، قد أوقع حسن البنا في ضغوط من أعضاء الجماعة، ولم يكن قادراً على اتخاذ موقف حاسم؛ لذا وجدنا عبد المجيد أحمد حسن الذي قتل محمود فهمى النفراسي سنة ١٩٤٨م وكان عضواً بالتنظيم الخاص منذ سنة ١٩٤٦م يقول في اعترافاته في أثناء التحقيق معه «اعتقدت كما اعتقد جميع أفراد النظام الخاص أن وقت الجهاد الذي من أجله نعد وتندرب قد جاء وأتينا سترسل جيئنا إلى فلسطين للقتال هناك، وكانت القيادة تبلغنا بأن الوقت سيأتي قريباً للجهاد». ويقول عبد المجيد حسن أيضاً «لما شعرت القيادة بشدة الضغط عليها، قالت لنا: إن الجهاد ليس مقصوداً على فلسطين وأن الصهيونيين ليسوا فقط في فلسطين، وإنما هم موجودون أيضاً داخل البلاد المصرية، وأن على النظام الخاص أن يوجه إليهم نشاطه وجهاده». وهكذا قرر النظام الخاص أن القتال يبدأ من مصر، وبذلك نقل المعركة من فلسطين إلى داخل مصر وبين أبنائها، ولعل ذلك يفسر الأعمال الإرهابية التي مارستها الجماعة والتفجيرات لحارة اليهود بالقاهرة، وبعض المحلات والمنشآت اليهودية... وكان اختيار بعض هذه المنشآت مثيرة للشبهات، مثلاً قام النظام الخاص بتفجير شركة الإعلانات الشرقية وكانت مملوكة لبعض اليهود، لكن آثار تفجيرها عدداً من التعليقات في الصحافة المصرية من بينها أن هذه الشركة جرى نسفها لأنها

تنافس شركة الطبوعات الإسلامية، المملوكة للإخوان، أي أن الاعتبارات الخاصة والمناخية الهامة لم تكن بعيدة عن هذه الأعمال.

★★★

ولما اشتدت الأزمة في فلسطين مع تصاعد العنف الذي تمارسه الجماعات الصهيونية تجاه الفلسطينيين وإعلان بريطانيا إنهاء الانتداب على فلسطين والانسحاب منها يوم ١٥ مايو ١٩٤٨م، فتحت الحكومة المصرية باب التطوع، وسمح لعدد من ضباط الجيش بالاستقالة كي يسافر المتطوعون إلى فلسطين، وكان أبرز هؤلاء البكاشى أحمد عبد العزيز.

ونذهب إلى ما كتبه حسن البنا في «قضيتنا». هو نفسه مجدد أعداد المشاركين من الإخوان يقول: «أقرت الجامعة العربية فكرة التطوع، فتقدم إليها الآلاف من شباب الإخوان يريدون الموت في سبيل الله .. وظلت الحكومة والجامعة تترددان بين الإقدام والإحجام والحماة تشدد والنفوس تغلغل مما دعا المرشد العام إلى أن يبحث بانهة إلى معسكر قطنا بسوريا، وهى كل ما استطاع أن يقنع المسؤولين هناك بقبوله».

إذن هناك مائة متطوع أرسلهم المرشد العام عبر سوريا، وتردد أنهم دخلوا فلسطين مع القوات السورية، ولا نعرف بالضبط ماذا كان مصيرهم هناك ولا العمليات التى قاموا بها، لكن نتائج المعركة تقول إن القوات التى شاركت من سوريا لم تكن موفقة فى مهامها بسبب ضعف التسليح وقلة التدريب، وتقول المصادر السورية إن متطوعى الإخوان ذابوا فى المجتمع السورى وقد تورط الثمان منهم فى انقلاب أديب الشيشكى وحكم على أحدهما بالإعدام، لكن الحكم لم ينفذ.

ونعود إلى المرشد العام الذى بواصل الحديث بالقول «ولكن ذلك لم يشف غلة الإخوان، فاستأذنوا فى إقامة معسكر خاص لهم بالقرب من العريش يمارسون فيه التدريب استعدادًا لدخول فلسطين، وأذن لهم بذلك وأقاموا معسكرًا كبيرًا لعدد منهم يزيد عن المائتين، يمددهم فيه المركز العام بكل ما يحتاجون من أدوات وتمارين

وسلاح وعناد ياذن الحكومة وعلمها حتى تم تدريبهم ودخلوا فلسطين في مارس ١٩٤٨م (...) واحتلوا هناك معسكر التصيرات جنوبي غزة..».

وما لم يقله المرشد إن ضباط الجيش المصري هم الذين كانوا يقومون بتدريب التطوعين وإن الجامعة العربية هي التي كانت تتولى تكلفة التسليح والملابس والإعاشة بالكامل وليس المركز العام للجماعة.. ونعرف من مذكرات عبد اللطيف بنداى «أنه هو ورجال عبد الناصر كانوا من الضباط الذين تولوا تدريب التطوعين من الإخوان وغيرهم، وأنهم فعلوا ذلك بتكليف من قيادة الجيش. والذي نعرفه من سير المعارك أن غزة لم تكن منطقة قتال حاسمة، وكان القتال شديداً في وسط فلسطين وقلبيها، ولا ينبغي ذلك العمليات القتالية التي تمت في غزة.

ولم يكن هؤلاء كل التطوعين من الإخوان، يقول حسن البنا «ونحركت الحكومة وهيئة وادى النيل العليا لإنقاذ فلسطين وأعدت معسكرها بالهايكسب لتدريب التطوعين، تقدم إليه أكثر من ألف أخ وانتخب منهم أكثر من ستمائة على دفعات جهزتهم الحكومة ودخلوا مع القوات النظامية وزرعوا على مختلف الجهات. أي أن الحكومة المصرية، حكومة النقراشى باشا، حين فتحت باب التطوع على مصرابه وأقامت معسكراً للتدريب في الهايكسب تقدم له من الإخوان «ألف» متطوع، والرقم يذكره المرشد، لأن عدد من كتاب الإخوان وصلوا إلى القول إن هناك عشرات الآلاف أرادوا التطوع، لكن لم يسمح لهم، ومن بين الألف اختير ستمائة فقط، وكانت الاختبارات تتم وفق اعتبارات اللياقة الطبية التي تتم عند التجنيد، بمعنى أنه لن يقبل متطوع مكفوف البصر - مثلاً - أو لديه شلل أطفال، أو مريض بالسل أو ضعيف البنية. وهذا العدد الذي قبل، تولت الحكومة تجهيزه.. أي الحظوظ للتدريب ثم التسليح والملابس اللازمة، وهؤلاء دخلوا مع قوات الجيش المصري.. وهذا الرقم ٦٠٠ متطوع، هو محدود قياساً على عدد الإخوان آنذاك، والذي وصل به البعض إلى مليون أخ.. لكن دعونا نتابع مصير هؤلاء التطوعين على

الجبهة .. ونعرف من سير العمليات أنه عهد إليهم بهجمات القنات الخفيفة، فلبسوا جيشاً نظامياً وتسليحهم خفيف، وكانوا يقومون بأعمال فدائية، أقرب إلى حرب العصابات، وقدموا بطولات حقيقية واستشهد منهم عدد غير قليل.

وتوجد وثيقة من الشهيد البطل أحمد عبد العزيز عبارة عن تقرير رفعه إلى أمين عام جامعة الدول العربية، يتحدث فيه عن الوضع في المنطقة الجنوبية بفلسطين، وتحديدًا معسكر النصيرات، وخاصةً متطوعي الإخوان وكان يقودهم الشيخ محمد فرغلي واليوزباشي محمود عبده. ويقول أحمد عبد العزيز إن «أسلحتهم والذخيرة محدودة» وكان هناك ١١٩ مقاتلاً من متطوعي جماعة أنصار الحق بقيادة الشيخ أبو العزائم وكانوا ببطار غزة «هؤلاء حالتهم سيئة جدًا من ناحية اللبس والتسلح، وحتى الأسلحة لا يوجد لديهم أدوات لنظافتها»^(١). ويقول أحمد عبد العزيز «إن الإخوان المسلمين لا يتلقون أوامرهم إلا من الشيخ فرغلي حسب ما يترأى له، ولا سلطة لقائد المنطقة عليهم، وقد قاموا بعملية حربية ضد مستعمرة «كفرا أروم» أظهروا فيها بسالة واستشهد ١٢ وجرح ٦، وللأسف كان تنفيذ الخطة من القيادة رديًا كما كان التسليح غير مناسب للعملية؛ ولذا خسر والمعركة، ورغم ذلك انضح لي أن الإخوان المسلمين لديهم أفكار حربية وجبهة نوعًا ما، يكفي تعسكرهم خارج غزة ويقتلهم في الحراسة وتكتهم في إخفاء قوتهم الحقيقية»^(٢).

المطوعون الذين ذهبوا عبر سوريا يخفي الحديث عنهم، حتى لدى الإخوان، ولكن الحديث يجري حوالي ٨٠٠ متطوع كانوا بين غزة والقوات النظامية فهل كان هؤلاء المتطوعون - فعلاً - قادرين على حسم المعركة وكان بإمكانهم إنقاذ فلسطين من الضياع!^{١٩}

(١) د. هيام عبد الشافي: مصر وحرب فلسطين ١٩٤٨، دار العالم العربي، ط ٢٠١٠م، ص ٣٥٣.
(٢) المرجع السابق، ص ٣٥٤.

تترك الإجابة للدكتور ثروت عكاشة، ذلك أنه كان ضابطاً بالمخابرات الحرة الملكية، وكان وقت حرب ١٩٤٨ م مسؤولاً عن القطاع الجنوبي لفلسطين، أي غربي ولم يمنعه ذلك من أن يتابع سير المعارك في كل فلسطين، ويقارن بين أوضاع المقاتلين العرب عمومًا، من متطوعين وجيوش نظامية، والمقاتلين في الجانب الصهيوني. يقول د. عكاشة «سرعان ما تكونت طوائف من التطوعيين أخذت أماكنها المختلفة بفلسطين بقودها ضباط عراقيون وسوريون ومصريون، غير أنها لم تكن للأسلحة مسلحة التسليح الكافي، هذا غير أن أسلحتها كانت تختلف أنواعها مما يصعب مع إمدادها بالذخيرة اللازمة»^(١). ويضيف د. عكاشة قائلاً: «وفي جنوبي فلسطين كانت قوة التطوعيين الخفيفة وعلى رأسها البكباشي أحمد عبد العزيز أكثر قوات التطوعيين تنظيمًا وتسليحًا على الرغم مما كان ينقصها هي الأخرى من التدريب والأسلحة الحديثة»^(٢). ويتحدث د. عكاشة عن افتقاد التخطيط العسكري الدائم لدى الجانب العربي وغياب «المعلومات الواقعية» بما لدى العدو. وينقل إلى الجانب الآخر ليقول «كان الجيش الصهيوني يربو على أربعين ألف مقاتل على درجة عالية من التدريب فضلاً عن عشرين ألفاً دون ذلك المستوى الأول، ثم قوات أخرى مدربة للمحاربة والمطالب الأولية مما يطلق الحرية للقوات النظامية للقتال»^(٣). ثم يضيف «وكان بين أيدي القوات النظامية وفرة من الأسلحة الثقيلة والآلية والمدرمات والعتاد الحربي، منها المستورد ومنها المصنوع محلياً، الأمر الذي وفر لجيوشهم قوة النيران وخفة الحركة، هذا إلى ما كان لديهم أيضاً من قوات المظلات ومعدات تدمير تفوقوا في تنفيذه، وكانت تحت أيديهم كثرة من المطارات التي أنشؤوها واستولوا عليها بعد جلاء الإنجليز عنها»^(٤).

(١) ثروت عكاشة: مذكراتي في الثقافة والسياسة، دار الشروق، ط ٣، سنة ٢٠٠٠ م، صفحة ٤٣.

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٤) المرجع السابق، ص ٤٣، ٤٥.

هل كان متطوعو الإخوان الستة بتدريبهم المحدود وتسلحهم الخفيف لديهم القدرة على هزيمة الجيش المعادي، بما لديه من أسلحة وإمكانات، فضلاً عن سابق اشتراك معظم المقاتلين الصهاينة في عمليات الحرب العالمية الثانية. بل هل كان كل المتطوعين العرب والجيوش النظامية العربية، وعددهم جيئاً كان أقل من ١٢ ألف مقاتل قادرين على القيام بهذه المهمة؟!

لا ينفي ذلك وجود بطولات فردية قام بها بعض المتطوعين، أو بعض رجال الجيوش النظامية، والواقع أن المقاتلين العرب مع ضعف التسليح وازدياد الحراس الوطني والديني لم يكن لديهم سوى البطولات الخارقة التي قام بها بعضهم، سواء كانوا من الإخوان أو من غيرهم، وجدنا بطولة فذة من اللواء محمد نجيب وقد أصيب في إحدى العمليات، وبطولة خارقة من الضابط عبد الحكيم عامر الذي نال بسبب ذلك ترقية استثنائية بالجيش المصري، فضلاً عما قام به جمال عبد الناصر.. ولا يجب أن ننسى «الضبع الأسود» وطلوته في العمليات الحربية، وأن تكون هناك بطولات خارقة لبعض متطوعي الإخوان المسلمين، شيء لا يمكن إنكاره، أما أن يقول عدد من كتاب الإخوان إنهم كانوا على وشك إبادة إسرائيل ولكن لقرار الحل حال دون ذلك، فهو الكذب والتدليس أو الساذجة والتسطيح في تناول الأمر، والغريب أن يستمر هذا الكذب ويتواصل التدليس بعد مرور أكثر من ستين عامًا على ضياع فلسطين وتكشف الكثير من الحقائق والوثائق.

القصاص والسياسة

القصاص ودولة عم حسن

كان الشيخ حسن البنا حريصاً على أن يبدو هو وجماعته على وفاق مع الأقليات الدينية في مصر، وأنه وجماعته لا يعملون تجاه أفراد الأقلية إلا الود والتقدير.. وتستشهد الجماعة على ذلك بالصلة الطيبة التي جمعت حسن البنا بالزعيم مكرم عبيد، صحيح أننا لا نجد مظاهر لتلك الصلة، لكن الثابت أن مكرم عبيد سار في جنازة حسن البنا سنة ١٩٤٩م، ويستغل محبو البنا وأنصاره حضور مكرم عبيد للتدليل على ما ربطه بشيخهم من مودة وصداقة، وقد يكون ذلك صحيحاً وقد لا يكون، فالشاركة عندنا في الجنازات لا تخضع لمعايير الصداقة والود أو انعدام الود، ذلك أن الموت عند المصريين له معنى خاص، وحضور جنازة الميت أو المشاركة في العزاء واجب أخلاقي، يصبح المرء أكثر حرصاً عليه، حتى إذا لم تربطه صلة حميمة أو خاصة باليت، بل إذا لم تكن النفوس صافية والقلوب عامرة بالحب في الحياة، يصبح واجباً المشاركة في العزاء اعتباراً للقيمة «الموت» وعبرته عند المصريين جميعاً. وبغض النظر عن هذا كله فصلات مكرم عبيد وحسن البنا لا تنسحب على جميع الأقباط ولا على معظمهم.

موقف مكرم عبيد بحسب عليه وحده، وهو موقف مرتبط بظروف صاحبه، ذلك أنه منذ انشقاقه على الوفد وموقفه العدائي من النحاس (باشا) بعد سنة ١٩٤٢م، كان حريصاً على ألا يبدو زعيماً قبطياً ولا معبراً عن الطائفة القبطية، بل زعيم مصري؛ لذا

حرص على الاعتماد على الأزمات والخلافات القبطية، خاصة تلك التي كانت بين الكنيسة والجلس المحلى، ولم يقترب من الجمعيات أو الهيئات القبطية، وفي الوقت نفسه حرص على أن يبدى تقديراً واحتراماً بالثأ للرموز الإسلامية، ففي سنة ١٩٤٣م وفي مناسبة الذكرى الألفية لتأسيس الأزهر يبعث برفقة إلى شيخ الأزهر جاء فيها «وإذا كان لي - كمصري له عقيدته الوطنية - أن أفتخر بالأزهر الشريف معهداً مصرياً، فإن لي كرجل له عقيدته الروحية أن أشهد به معهداً دينياً..». ويقول أيضاً في البرقية نفسها «لقد أدى الأزهر رسالته للدين والدنيا معاً»^(١). وفي إطار حرصه هذا كان يقوم ببعض الفئات الودودة تجاه جماعة الإخوان، وربما لا يخلو الأمر من رغبته في مكابدة الوند والنحاس (باشا)، الذي لم يكن يحب جماعة الإخوان؛ لذا نراه في الكتاب الأسود يتد بموقف حكومة الوفد سنة ١٩٤٢م من الجماعة في أثناء فرض الأحكام العرفية. يقول «أغلقت الحكومة فرع جمعية الإخوان المسلمين في قنا بأمر عسكري، قتلتم لعل النحاس باشا قصر أمره على قنا لأنها قنا»^(٢)، ولكن علمت أن الحاكم العسكري قد أصدر أمره - والأمر لله - بإغلاق عدد كبير من فروع الجمعية وهي تربو على الخمسين في شتى بلاد المملكة المصرية»^(٣).

من هنا فإن موقف وعلاقة مكرم عبيد بالجماعة، يظل أمراً شديداً الخصوصية يرتبط بحال وتكوين مكرم عبيد، لكنه لا يعبر عن موقف عام للأقباط، كما أنه لا يعكس ولا يكشف موقف الجماعة كذلك من الأقباط، خاصة في زمن حسن البنا، فتحت ألبينا من الأوراق والشهادات ما يؤكد وقوع القلق والفرع بين أعداد كبيرة من أقباط مصر من جراء بعض دروس وكلمات حسن البنا، على النحو الذي سنكشفه الصفحات القادمة، وقد ازداد هذا الفرع بعد وقوع أعمال إرهابية تجاه

(١) راجع في ذلك د. مصطفى الفقي: الأقباط في السياسة المصرية .. مكرم عبيد ودوره في الحركة الوطنية، طبعة دار الشروق، سنة ١٩٨٨م، صفحة ١٤٩.

(٢) كانت قنا بلد مكرم عبيد وموطئ الأصل.

(٣) مكرم عبيد الكتاب الأسود، ص ٢٦٢.

بعض منشآت اليهود ونجاة اليهود أنفسهم في مصر، وكانت أصابع الاتهام تشير إلى الجماعة، كما جرى إحراق كنيسة في الزقازيق وأخرى في السويس وكانت أصابع الاتهام تنجيه نحو الجماعة، واتهم بعض رموز الأقباط حسن البنا نفسه.

في الكتابات النظرية وخطب البنا لا تجده يقف بالتفصيل عند هذه القضية، وإتجاهه يشير إليها إشارات عابرة «سريعة» وهناك رسائله «نحو النور» تعرض في فقرة منها إلى أوضاع الأقليات، بعنوان «الإسلام يحمي الأقليات ويصون حقوق الأجانب» ونعترف من «مقدمة الرسالة» أنه كتبها في رجب سنة ١٣٦٦ هجرية وبمثل بها إلى كل من الملك فاروق وإلى رئيس الحكومة وقتها مصطفى النحاس باشا، وإلى عدد من ملوك وأمراء وحكام بلدان العالم الإسلامي، فضلاً عن عدد من كبار الشخصيات في هذه البلدان^(١٩).

يقول الشيخ حسن «يظن الناس أن التمسك بالإسلام وجعله أساساً لنظام الحياة ينافي وجود أقليات غير مسلمة في الأمة المسلمة، وينافي الوحدة بين عناصر الأمة»^(٢٠) وهي دعامة قوية من دعائم النهوض في هذا العصر. ولكن الحق غير ذلك تماماً، فإن الإسلام الذي وضعه الحكيم الخبير الذي يعلم ماضي الأمم وحاضرها ومستقبلها قد اختار لتلك العقبة وذلكها من قبل، فلم يصدر دستوره القلوس الحكيم إلا وقد اشتمل على النص الصريح الواضح الذي لا يحتمل لبساً ولا غموضاً في حماية الأقليات، وهل يريد الناس أصرح من هذا النص:

﴿لَا يَنْتَهِكُوا آلَ اللَّهِ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَبِّلُواكُمْ فِي الَّذِينَ وَلَعْتُمْ خِيَارَكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنَّ كَرِهْتُمْ وَيَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الممتعة ٨] فهذا نص لم يشتمل

على الحماية فقط، بل أوصى بالبر والإحسان إليهم^(٢١).

(١٩) راجع عمومة الرسائل للإمام حسن البنا، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ط ١، سنة ٢٠٠٥ م، ص ١٩٢.

(٢٠) لاحظ الحديث هنا عن عناصر الأمة وليس عنصري الأمة كما نقول نحن، وقتها كان اليهود لا يزالون عنصراً من عناصر الأمة، لكنهم فيما بعد هاجروا إلى إسرائيل أو إلى أوروبا.

(٢١) المصلو السابق، ص ٢٠٤-٢٠٥.

وعلى هذا النحو يستشهد بالآيات القرآنية الكريمة، مثل قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (المحجرات ١٣) وهذه الآية تكشف عنه أن «الإسلام سعى إلى تحقيق الوحدة الإنسانية العامة، بل قدسها» ويقول أيضا «ثم قدس الوحدة الدينية العامة كذلك، ففُضي على التعصب وفرض على أبنائه الإيمان بالرسالات السماوية جميعا في قوله تعالى ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (فإن آمنوا بموحد مآ أمتهم به، فقد أعتدوا فإن تولوا فإنما هم في شقاقٍ فَنسُكُفِيهِمْ عَنْهُمْ اللَّهُ وَهُوَ الْعَسِيمُ الْعَلِيمُ﴾ (صيفة الله ومن أحسن من الله صيفة... [البقرة: ١٣٦-١٣٨] ويستشهد حسن البناء بسورة الحجرات مرة ثانية ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَعْيُنِكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ تَعْلَمُوا تَزَكُومُونَ﴾ (الحجرات: ١٠) والآية عنده تعكس أن الإسلام «قدس الوحدة الدينية الخاصة من غير حلف ولا عدوان»^(١) وينتهي من ذلك كله إلى القول «هذا الإسلام الذي بنى على هذا الزواج المتعدل والإنصاف البالغ لا يمكن أن يكون أتباعه سبيلا في تزييق وحدة متصلة، بل بالعكس إنه أكسب هذه الوحدة صفة القداسة الدينية بعد أن كانت تستمد قوتها من نص مديني فقط»^(٢).

ويستغل حسن البناء في رسالته إلى الجانب الآخر أو من قال عنهم إن الإسلام قد حده «تحديدا وقتيا من يحق لنا أن نناوئهم ونقاطعهم ولا نتصل بهم»^(٣). ويستشهد

(١) راجع مجموعة الرسائل للإمام حسن البناء، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ط ١، سنة ٢٠٠٥ م، ص ٢٠٥.

(٢) نفس المرجع، نفس الصفحة.

(٣) نفس المرجع، نفس الصفحة.

بالآية ﴿ إِنَّمَا يَهْتَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلْتُمْ فِي الَّذِينَ وَأَخْرَجُواكُمْ مِنْ دِينِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [النح: ٩] ويعقب بالقول «وليس في الدنيا منصف واحد يكره أمة من الأمم على أن ترضى بهذا الصنف دخيلاً فيها وفساداً كبيراً بين أبنائها ونقضاً لنظام شؤونها»^(١)، ثم يقول «ذلك موقف الإسلام من الأقليات غير المسلمة واضح لا غموض فيه ولا ظلم معه، وموقفه من الأجانب موقف سليم ووفق ما استقاموا أو أخلصوا، فإن فسدت ضمائرهم وكثرت جرائمهم فقد حدد القرآن موقفنا منهم بقوله ﴿ يَأْتِيهِ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِلِقَائِهِمْ دِينَكُمْ ۚ لَا يَأْتِيكُمْ خَيْلًا وَلَا دُونَ مَا عَنِينُمْ قَدْ بَدَتْ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ كَثِيرٌ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ هُنَالِكَ أَوَّلَآءُ يُخِيَّبُكُمْ وَلَا يُخَيَّبُكُمْ ۚ ﴾ [ال عمران: ١١٨-١١٩]^(٢).

وسوف نلاحظ أن حسن البناء هنا لم يحاول أن يتوقف عند تفسير الآيات القرآنية، التي استشهد بها، ولا ذهب إلى الأحاديث النبوية، فضلاً عن تجاهله للتاريخ الإسلامي وما جرى فيه من مواقف إيجابية أو سلبية بخصوص الأقليات، فضلاً عن أنه لم يشأ أن يتوقف عند تاريخ مصر تحديداً، في هذا الجانب، هو اكتفى بالمرور عابراً عند بعض الآيات القرآنية. والواقع أنه يصير على تجنب أو إهدار التجربة الإسلامية كلها، فالبدائية والنهاية عنده بالنصوص القرآنية. وبالتالي لا اعتراض على النصوص القرآنية، وهذه النصوص فيها ما يكفى لضمان حقوق غير المسلم، بل حتى حقوق من يقرر الكفر، ولكن كيف تفاعلت هذه النصوص وتفاعل معها الفقهاء والقسرون والخلفاء والحكام؟ وكيف انعكس ذلك كله على المجتمعات الإسلامية عموماً والمجتمعات العربية تحديداً؟ أما المجتمع المصري خاصة فتجربته تستحق التوقف عندها، لكنه لم يفعل.

(١) نفس المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٢) نفس المرجع السابق، نفس الصفحة.

حين كتب حسن البنا رسالته «نحو النور» كانت مصر تحكم بدستور سنة ١٩٢٣م، الذي ساوى بين المواطنين بغض النظر عن الديانة التي يعتنقها كل منهم، صحيح أن الدستور أقر بأن دين الدولة هو الإسلام، ولكنه أقر كذلك حرية الاعتقاد وعدم التمييز بين المواطنين بسبب الدين؛ ولذا وجدنا وزراء كانوا من المسيحيين واليهود المصريين، بل في أثناء ثورة ١٩١٩م وقبل صدور دستور ١٩٢٣م كان هناك رئيس وزراء قبطي وهو يوسف وهبة باشا، ويجب القول إن أوضاع الأقليات الدينية في مصر كانت تشهد تطوراً منذ القرن التاسع عشر، فقد ألغى الوالى محمد سعيد باشا «الجزية» عن «أهل الذمة»^(١)، وذلك حين قرر أن يتم تجنيد أبناء المصريين جميعاً، وكانت مصر أول بلد من البلاد العثمانية يتم فيه إلغاء الجزية، إذ سبقت «الخط الهايوينى» الذى أصدره السلطان العثمانى بعام. وكان تجنيد المصريين وإلغاء الجزية قد فتح الباب على مصراعيه ليعامل أبناء مصر جميعاً كمواطنين بلا تمييز، وضح ذلك أكثر في عهد الخديو إسماعيل، حيث تسابق الجميع من مسلمين ومسيحيين ويهود ليلعبوا دوراً في النهضة التى أراد إسماعيل أن يقوم بها في مصر. ومن ثم فإن ما جرى في ثورة ١٩١٩م من مظاهر الوحدة الوطنية، لم ينشأ من فراغ، وشعار «الدين لله والوطن للجميع» لم تختزعه الثورة اختراعاً، بل كان تعبيراً عن حالة قائمة بالفعل، ومنحقة داخل المجتمع.

طرح الشيخ حسن البنا بعد ذلك، أفكاراً تناقض هذا الذى تحقق في مصر منذ القرن التاسع عشر، ففى رسالة المؤتمر الخامس الذى عقد سنة ١٩٣٧م، يقول عن الخلافة وعن الوطن «فالإسلام لا يعترف بالحدود الجغرافية ولا يعتبر الفوارق الجنسية الحدودية، ويعتبر المسلمين جميعاً أمة واحدة، ويعتبر الوطن الإسلامى وطناً واحداً مهما تباعدت أقطاره وتناهدت حدوده.. وكذلك الإخوان المسلمون يقدسون

(١) راجع في ذلك: أيمن محمود: الجزية في مصر ١٧١٣م/ ١٨٥٦م، رسالة دكتوراه قدمت سنة ٢٠٠٨م إلى قسم التاريخ بآداب القاهرة، ونشرت بالمجلس الأعلى للثقافة، سنة ٢٠٠٩م.

هذه الوحدة يؤمنون بهذه الجامعة، ويعملون لجمع كلمة المسلمين وأعزاز أخوة الإسلام، وينادون بأن وطنهم هو كل شبر أرض فيه مسلم يقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله^(١). وينتقل إلى الحديث عن الخلافة بالقول «إن الإخوان يعتقدون أن الخلافة رمز الوحدة الإسلامية. ومظهر الارتباط بين أumm الإسلام، وأنها شعيرة إسلامية يجب على المسلمين التفكير في أمرها والاهتمام بشأنها، والخلافة مناط كثير من الأحكام في دين الله؛ ولهذا قدم الصحابة رضوان الله عليهم النظر في شأنها على النظر في تجهيز النبي ودفنه^(٢)». ثم يقول «والأحاديث التي وردت في وجوب نصب الإمام وبيان أحكام الإمامة وتفصيل ما يتعلق بها لا تدع مجالاً للشك في أن من واجب المسلمين أن يهتموا بالتفكير في أمر خلافتهم منذ حورت عن مناهجها ثم ألغيت بتأثير إلى الآن...^(٣). ونصل إلى بيت القصد حيث يقول «والإخوان المسلمون لهذا يعملون فكرة الخلافة والعمل لإعادتها في رأس مناهجهم، وهم مع هذا يعتقدون أن ذلك يحتاج إلى كثير من التمهيدات التي لا بد منها...^(٤). ويجدد هو تلك الخطوط من تعاون تام بين الشعوب الإسلامية ثم تكوين الأخلاف والمعاهدات وعقد المؤتمرات بين هذه البلاد، وعندها يتم تكوين ما يسميه «عصبة الأمم الإسلامية»^(٥). وأخيراً «إذا تم ذلك للمسلمين نتج عنه الاجتماع على الإمام الذي هو واسطة المقعد، وجميع الشمول ومهوى الأفتدة وظل الله على الأرض^(٦)»، نلاحظ هنا أن البنا يذكر إن الخليفة هو ظل الله على الأرض، وهذا يعني قيام الدولة الدينية، التي لا مجال فيها لحريات عامة أو خاصة، من أي نوع، ليس هناك سوى ظل الله على الأرض.

(١) الرسائل، ص ١٢٨.

(٢) الرسائل، ص ١٣٠.

(٣) الرسائل، ص ١٣٠.

(٤) الرسائل، ص ١٣٠.

(٥) الرسائل، ص ١٣٠.

(٦) الرسائل، ص ١٣٠.

وفي دولة الخلافة لا مكان للحزبية ولا للأحزاب^(١) الإخوان المسلمون يعتقدون أن الأحزاب السياسية المصرية جميعها قد وجدت في ظروف خاصة ولدواع أكثرها شخصي لا مصلحي^(٢)، ويضيف: «ويعتقد الإخوان كذلك أن هذه الحزبية قد أفسدت على الناس كل مرافق حياتهم، وعطلت مصالحهم، وأتلفت أخلاقتهم، ومرتوت روابطهم، وكان لها في حياتهم العامة والخاصة أسوأ الأثر^(٣)». ثم يقول «الحجة القاتلة بأن النظام البرلماني لا يتصور إلا بوجود الأحزاب، حجة واهية وكثير من البلاد الدستورية البرلمانية تسير على نظام الحزب الواحد، وذلك في الإمكان^(٤)» ويغاضبنا بأن الإخوان اتخذوا خطوات عملية في هذا الاتجاه.. «طلبوا من جلالة الملك حل هذه الأحزاب القائمة حتى تندمج جميعاً في هيئة شبيهة واحدة تعمل لصالح الأمة على قواعد الإسلام^(٥)». ثم يقول «سيواصل الإخوان جهودهم في هذا السيل، وسيصلون إلى ما يريدون بتوفيق الله وفضل يقظة الأمة، ويتولى فشل رجال الأحزاب في ميادينها وسيحقق قطعاً تاموس الله^(٦)».

هذا كله سنة ١٩٣٧م، حين كان الملك فاروق ما زال في بداية حكمه، وكانت تداعب خياله - كما داعب خيال والده من قبل - فكرة أن يكون خليفة وإمام المسلمين، وكان بعض المحيطين والمقربين منه يثيرون فيه ذلك، ومن ثم فقد كانت أفكار البناء في هذا الجانب تسير وفق هوى الملك الشاب، ولم يكن ذلك الملك مستريحاً للأحزاب، تحديداً حزب الوفد... حزب الأغلبية، وكان الهجوم على الأحزاب والمطالبين بالغائها أو حلها يجد هوى لدى الملك، فسيرجه ذلك من عنا

(١) الرسائل، ص ١٣١.

(٢) الرسائل، ص ١٣١.

(٣) الرسائل، ص ١٣١.

(٤) الرسالة، ص ١٣٢.

(٥) الرسالة، ص ١٣٢.

الوفد وزعيمه العنيد مصطفى النحاس، لكن هذا كان يثير القلق لدى بعض المراقبين والمتابعين من الأقليات.. خاصة أن حسن البناء لم يتوقف عند هذا الحد، فنراه في الرسالة نفسها يقول «إن الوطن الإسلامي جزء لا يتجزأ وإن العدوان على جزء من أجزائه عدوان عليه كله، هذه واحدة، والثانية أن الإسلام فرض على المسلمين أن يكونوا أئمة في ديارهم، سادة في أوطانهم، بل ليس ذلك فحسب، بل أن عليهم أن يحملوا غيرهم على الدخول في دعوتهم والاهتداء بأنوار الإسلام التي اهتموا بها من قبل»^(١).

«حملوا غيرهم» المقصود بها غير المسلمين، ويحملوهم بمعنى يدفعونهم دفعاً أو يضغظون عليهم ضغطاً وغير ذلك.. وهذا لا بد أن يثير قلق غير المسلم، ويجعله يشعر بأنه غير آمن على دينه وعقيدته.. ثم يجعله يتساءل عن مكانه داخل «الوطن الإسلامي»، خاصة أن حسن البناء كرر هذه المعاني مرات أخرى، وراح يجذر من «الوطنية» بالمعنى الذي طرحه به في عصره، فقد راح يتحدث في رسالته «نحو النور» عن المبررات التي اتخذها بعض المسلمين الذين سلكوا سبيل الغربيين، أنهم أخذوا يشهرون بمسلك رجال الدين المسلمين من حيث موقفهم المناوئ للنهضة الوطنية.. ثم يقول «تلك إذن مزايع لا يجب أن تتخذ ذريعة لتحويل الأمة عن دينها باسم الوطنية المجردة»^(٢). أي أن الحديث عن الوطنية المجردة، هو ذريعة وهدف لتحويل الأمة عن الدين، باختصار الوطنية عند حسن البناء تساوى اللا دين، أو التحول عن الدين الإسلامي.. والمعنى أنه لا يمكن الجمع بين الوطنية والدين، وإذا كانت الوطنية تعنى اللا دين، فهل نستنتج أن الدين والتدين يعنى اللا وطنية أو خيانة الوطن؟!

(١) الرسالة، ص ١٣٤.

(٢) رسالة نحو النور، ص ٢٠٧.

ويستعمل حسن البنا مصطلحات ومفاهيم لم يعد لها مدلول ولا ذات معنى في الدولة المدنية والوطنية الحديثة، يتحدث إلى الشباب مرة عن مفاهيم الإسلام فيقول: «... كي أوصي بإنصاف الدمين»^(١) وحسن معاملتهم - لهم ما لنا وعليهم ما علينا - نعلم كل هذا فلا ندعو إلى فرقة عنصرية ولا عصبية طائفية، ولكننا إلى جانب هذا لا ننسرى هذه الوحدة بإيماننا ولا نساوم في سبيلها على عقيدتنا ولا نهدر من أجلها مصالح المسلمين»^(٢).

وهنا أيضًا يتوارى التساؤل هل الوحدة بين عناصر الأمة وانتهاء العصية الطائفية يؤدي أو يعنى المساومة على العقيدة الإسلامية والإيمان؟ وهل أدت تلك الوحدة - من قبل - إلى إهدار مصالح المسلمين؟ وماذا يعنى ذلك؟ ألا يحمل في ثناياه تعريضًا بنصرية ونموذج ثورة ١٩١٩م؟ ففيها كانت الوحدة بين عنصرى الأمة، وتحقق تجربة رائدة في الوثام والوحدة الوطنية، فهل تم ذلك بالمساومة على إيمان الأمة أو حدث بالتحول عن الدين الإسلامى؟! بالتأكيد لا...

وفي نوفمبر ١٩٤٧م يتحدث حسن البنا إلى أنصاره ومريديه عن «الجزية»، مدافعًا عنها وعبدًا إياها، فيصفها بأنها «أبلغ معانى الإنصاف والرحمة التى جاء بها الإسلام»^(٣). ويشرح باستفاضة معنى الكلمة وتاريخ ظهورها، ثم يقول «وإنما سلك الإسلام هذه السبيل ولجأ إليها مع غير المسلمين من باب التخفيف عليهم والرحمة بهم وعدم الإحراج لهم حتى لا يلزمهم أن يقاتلوا في صفوف المسلمين، فيتهم بأنه إنما يريد لهم الموت والاستئصال والفناء والتعريض لمخاطر الحرب والقتال، فهى في

(١) أصدر الشيخ يوسف القرضاوى كتابًا عن المواطنة سنة ٢٠١٠م طالب فيه بحذف عبارة أهل الذمة والمؤمنين لأنها تسيء إلى غير المسلمين في الوطن.

(٢) رسالة إلى الشباب، ص ٣٢٥

(٣) رسالة إلى الشباب، ص ٢٨٧

الحقيقة (امتياز في صورة ضريبة) وفي الوقت نفسه احتياط لتفقي صفوف المجاهدين من غير ذى العقيدة الصحيحة والحماسة المؤمنة البصرية^(١).

ورغم غرابة التفسير الذى بطرحه، أو التشكيك في عقيدة غير المسلم، فإن هذا يمكن أن نلتصس له بعض العذر أو يمكن تفهمه لو أننا يازاء باحث يحاول أن يعد دراسة فقهية أو يعد دراسة تاريخية حول «الجزيرة» والمراحل المختلفة لتطبيقها، ومع ذلك سوف نلاحظ أن حسن البناء يتجاهل، وربما يجهل، أن صلاح الدين الأيوبي أسقط الجزية عن أقباط مصر في أثناء الحروب الصليبية، نظرًا إلى أن الأقباط تقدموا للدفاع عن مصر وحمايتها من الحملات الأوروبية، ولم يشكك صلاح الدين في عقيدة غير المسلمين (المسيحيين)، كما لم يشك في وطنيتهم، وسوف نلاحظ أن أحدًا لم يتهم صلاح الدين بأنه يريد أن تتم إباداة الأقباط في الحرب، هو لم يدفع بهم، بل هم الذين تقدموا، وانتهت هذه الحملات على النحو المعروف بهزيمة الصليبيين ورجوعهم إلى بلادهم، ولم يهتز الإسلام في مصر سواء بسبب مشاركة الأقباط في القتال والجهاد ولم ينهار اقتصاد الدولة الأيوبية بسبب إسقاط الجزية عن الأقباط.. وبغض النظر عن هذا كله، فإن الذى يقول هذا الكلام ليس باحثًا أكاديميًا ولا يلقبه في مدرج جامعى، بل هو زعيم أو مرشد له أنصار وأتباع في الشارع، وهؤلاء الأتباع يتنهم من يمارس العنف تجاه الآخرين، كان أنصاره قد اغتالوا من قبل أحمد ماهر، وفي نوفمبر ١٩٤٧م حين تحدث عن الجزية كان قرار التقسيم قد صدر، مما هيج المشاعر الدينية وأربك العلاقة بين المسلمين واليهود في مصر وفي معظم بلاد المنطقة، لكن قبل قرار التقسيم، كانت قد جرت واقعة خطيرة في مارس ١٩٤٧م، حيث تم إحراق كنيسة في الرقازيق، إثر شائعة انتشرت في المدينة عن قيام شاب مسلم بالتحول عن دينه إلى

(١) رسالة إلى الشباب، ص ٢٨٨.

المسيحية وأن الكنيسة كانت خلف هذا التحول، وكان ذلك العمل يأتي على النقيض من الروح التي أحدثتها ثورة ١٩١٩م في العلاقة بين المسلمين والأقباط. وكان إحراق الكنيسة عملاً مفاجئاً للكثيرين، ومحيقاً بالتأكيد للأقباط، خاصة أن رجال الأمن في مدينة الزقازيق لم يعتبروا على متهم في حادث الإحراق، ولم يكن هناك عزم بعينه، لكن التابعين لهذا الشأن اتهموا مباشرة حسن البنا، واعتبر خطابه وحديثه عن الجرية وعن الدمين وأهل الكتاب خطاباً تحريضياً يشكل مباشر ضد غير المسلمين. وخاصة المسيحيين واليهود، وجاءت أحداث العنف سنة ١٩٤٨م ضد المنسارن اليهودية لتؤكد هذا الشك، فقد كان رجال البنا وراء هذه الأعمال، وكانوا يتفخرون بها، ولكن تداخلت هذه الأعمال مع حالة الاحتقان العامة لتقسيم فلسطين وإنشاء دولة إسرائيل وهزيمة الجيوش العربية في حرب ١٩٤٨م، مع وجود ثقافة لم تميز كثيراً بين اليهود واليهودية من جانب والصهيونية وإسرائيل من جانب آخر. لكن بالنسبة إلى الأقباط كان الأمر مختلفاً، وكان القلق بادياً مما يقوم به حسن البنا من إثارة الاحتقان الطائفي، وضح ذلك في مقالات سلامة موسى والقمص سرجيوس.



كان لدى سلامة موسى موقفاً مضاداً من حسن البنا وجماعته، فهو من دعاة فصل الدين عن الدولة، وكان البنا يريد العكس تماماً؛ لذا تعددت انتقادات سلامة موسى للبنا، ولكن كان جانب من هذه الانتقادات يتعلق بما يمكن أن نسميه «الموقف الطائفي» الذي رآه سلامة موسى في دعوة وأفكار حسن البنا، ونشر سلامة موسى هذه المقالات في جريدة مصر، وفي جريدة الشعلة، لسان الوفد الأسبوعي.

جرى حادث إحراق كنيسة الزقازيق في عهد وزارة محمود فهمي النقراشي سنة ١٩٤٧م، وكان النقراشي متهماً من بعض القوى السياسية والحزبية أنه «يدلل» حسن البنا والإخوان، وقد وجدها سلامة موسى فرصة ليصب غضبه على النقراشي جراء

ما حدث، فيكتب بالشعلة، في باب «من أسبوع لأسبوع» عدد ١١ أبريل سنة ١٩٤٧م تحت عنوان «حادث الزقازيق».

قال سلامة موسى في مقاله «يومان في تاريخ النقراشي باشا هما أشأم الأيام في تاريخ مصر، ويومان في تاريخ الوزارة النقراشية هما يوما النحس ونذيرا الحوان لمستقبل هذا الوطن المعوس بأبنائه، اليوم الأول هو يوم ٤ أكتوبر حين هجم الإخوان المسلمون وغوغاؤهم على المئاجر اليهودية وتهبوا ودخلوا الكنيس وحطموا كراسيه وداسوا الكتب المقدسة فيه وكان هذا الحادث في ١٩٤٥م في وزارة النقراشي».

واقعة سنة ١٩٤٥م التي يتحدث عنها سلامة موسى بخصوص الاعتداء على المئاجر اليهودية، سقطت من الذاكرة التاريخية، لا يشير إليها أحد، وكأنها لم تحدث، ويفسر النوقف - فقط - عند الاعتداءات التي قام بها الإخوان تجاه اليهود المصريين سنة ١٩٤٨م، أئى في أعقاب قيام إسرائيل، لكن واقعة ١٩٤٥م تكشف أن هناك موقفاً طائفاً وعدائياً من الجماعة تجاه اليهود المصريين، حتى قبل اشتعال أزمة فلسطين.

ويستغل سلامة موسى إلى الواقعة الطارئة، التي جرت وقت كتابة المقال أو بسببها كتب مقاله يقول «اليوم الثانى هو يوم ٢٧ مارس الماضى حين هجم الإخوان المسلمون وغوغاؤهم أيضاً على كنيسة الأقباط في الزقازيق، فضربوا سيدات الأقباط وطاردوهم ثم حطموا الكراسى وكسروا النوافذ. وحلوا الكتب المقدسة وداسوها ومزقوها وهدموا سور الكنيسة وفرت النساء، وكلنا يعرف ماذا يحدث حين تفر النساء وخلفهن غوغاء من الإخوان المسلمين» ثم يقول سلامة موسى «وحدات الزقازيق يجب أن تنشر تفاصيله وتعين أسبابه لجمهور المسلمين المتدينين قبل جمهور

الأقباط المندوبين حتى يعملوا جميعاً على نحو التوحش والخسة والشدالة»^(١)

(١) كانت جريدة الشملة أرسلت محرريها إلى الزقازيق ليحقق الواقعة، ونشر التحقيق في نفس العدد الذي نشر به مقال سلامة موسى، وبدأ المحرر تحقيقه بأن التقى كاهن الكنيسة، ودار بينهما حوار ينضح منه الكثير، فقد يادر الكاهن المحرر قائلاً «إنها فرصة طيبة لتبجحها لي الشملة لكي يظهر لمؤي يوضح أننا لم ننس مواطنينا وإخواننا في دينهم.. كما توهم البعض وأشاع كذباً» فسأله المحرر «أليس صحيحاً أن أحد الإخوان المسلمين قد تحول إلى الديانة المسيحية؟» ورد القس غاضباً: «أبداً لم يحدثن شيء من هذا وكل ما هناك أنه حدث في أثناء اجتماعي في إحدى الليالي مع أعضاء الجمعية أن دنا علياً شاب يبدو أنه من العمال فحياناً وجلس بيننا ثم عبر لنا عن رغبته في تغيير دينه، ولقد عرفنا في الحال أن الشاب مدسوس علينا فزجرناه بلطف وقلت له: إن كل إنسان يجب أن يحافظ على دينه ودين آباءه، وأن كل من يغير دينه وعقيدته إنما يغيرهما لمصلحته». ويقول القس كذلك «انصرف الشاب بعد أن أدرك أن سره قد افضح والحقد بدلاً صدره.

وعاد المحرر ليسأل الكاهن: ولكني سمعت أن هذا الشاب قد أبرز صليلاً دق حديثاً على يده وقال إنكم وضعت له هذا الصليب دلالة على أنه صار مسيحياً.

يكتب المحرر «وضحك الكاهن طويلاً وقال: إن هذه القصة المخترعة بالذات هي التي كشفت الغراء الشاب، وذلك لسببين، أولهما: أن اعتناق الديانة المسيحية لا يتطلب دق صليب على اليد أو غير اليد وتلد من المسيحيين من يحمل صليلاً على يده، وإن اعتناق هذا الدين يتطلب إجراءات طويلة وصولوات تجرى في داخل الكنيسة وهذا ما لم يحدث مطلقاً للشباب المذكور.. كما أن العادة جرت أن الذي يثق صليلاً على يده فإنما يثق على يده اليعنسى.. وقد بلغ من بلاهة الشاب، أو قل إن الله هو الذي أراد أن يظهر الحق فجعله يثق الصليب على يده السري».

ولم تتوقف تساؤلات المحرر عن نتيجة التحقيقات وهل أثبتت أن الشاب هو الذي دق الصليب بنفسه ليهم الكنيسة بذلك.. ويجب الكاهن قائلاً وليس من حق أن أتعرض للتحقيق، ولكن كل ما في وسعي أن أقوله لك هو أن التحقيق أثبت بصفة قاطعة أن الشاب المذكور لم يغير دينه، وأن أحداً لم يثاقه في ذلك أو يجرض عليه أو يلوح له بالمال.. أو بالفتنة التي يهاها كما قيل كذباً.

وكان السؤال الأخير للمحرر: هل أفهم من هذا أن الشاب كان من محركي الفتنة؟ وأجاب الكاهن «أنه على الأقل كان الآلة التي استعملها اللاعنون بالنار.

وهنا توقف تحقيق محرر الشملة، ولم يمتد بالأسئلة والبحث من بالضبط الذي هاجم الكنيسة.. من فعل ذلك ومن حرض ومن خطط...؟ واكتفت الشملة بالقول «إنه حادث فردى كالذي وقع في الزقازيق لا يمكن أن يؤثر في وحدة أمة اخططت دماء المجاهدين فيها ببعض على اختلاف أديانهم»

ويتناد سلامة موسى بحكومة النرشى قائلاً «الإخوان المسلمون دعاة الماضى الذين يهدمون الكنائس يحدون التشجيع . ولم يقبض على أحد منهم بعد هدم كنيسة الزقازيق» . ثم يقول «الوزارة النرشية ارتضت سلوكهم وأذنت لهم بإخراج جريدة يومية، فأصبح لهم نشاط يتزايد، بل يتفاقم كل يوم ونحن نقرأ عن «الجزيرة التى يجب أن يؤدها الأقباط»، فى إشارة إلى حديث حسن البنا السابق عن الجزيرة، ويتذكر سلامة موسى ويتألم «إنه لأسف يحزن الصدر، هذا الأسف الذى نحسه حين نذكر شبان المسلمين يخطبون فى سنة ١٩١٩م من فوق المنابر فى الكنائس وشبان الأقباط يخطبون من فوق المنابر فى المساجد، ثم نذكر ما انتهت إليه الحركة الوطنية التى يتسلط عليها الآن الدراويش الذين يهدمون الكنائس وينهبون التاجر ويطلقون بالجزيرة من اليهود والأقباط».

ورغم ما حدث هناك لمحة نقاؤل لدى سلامة موسى «إننا ما زلنا ترى بصيصاً من النور فى أولئك الطلبة الجامعيين من المسلمين الذين شاركوا إخوانهم الأقباط فى سخطهم على حادث الزقازيق واشتمزازهم من الإخوان المسلمين الذين قاموا به وحرصوا عليه».

لم تكن مقالات سلامة موسى حول حسن البنا كثيرة، هناك مقال له نشر فى «مصر»، عدد ٢ أبريل ١٩٤٨م، حمل عنوان «حزب حسن البنا وفضيخته» يقول فيه «ولم تكثف هذه الجماعة بإيجاد حزب سياسى ينهض على التفريق الدينى، بل عمدت إلى إيجاد هيئات اقتصادية أيضاً تقوم على هذا التفريق . كما رأينا مثلاً فى شركة تسمى المعاملات الإسلامية».

وينقل سلامة موسى فقرات كاملة من مقال كتبه أحد حسين زعيم مصر الفتاة، ضد حسن البنا وجماعته، الفقرات باللغة القسوة والحدة نقرأ منها «قشموذة الشيخ نائى إلا أن تصور لأتباعه أنهم هم المسلمون حقاً وأن بقية الناس كفار . وشموذة الشيخ نائى إلا أن تصور لعلمائه أنهم رهبان الليل وفرسان النهار وأنهم السابقون

المقربون لدى الله. وشعوة الشيخ ودجله بأبواب إلا أن تحدث الغلمان عن الخمر العين...^{١١}

وينقل أحمد حسين فيما نقل سلامة موسى إلى الحديث عن جرائم الإخوان فيقول «الإخوان المسلمون قد أصبحوا خطراً على أمن مصر وسلامها الداخلي والخارجي، وقد حان الوقت لوضع حد لهذه المهزلة وهذه السخيرة، فقد طالحت حتى باخت وتحولت إلى خطر داهم». ثم يعده أحمد حسين مظاهر هذا الخطر، فيقول «لقد سمع الناس بمقتل الخازندار بك لأنه رجل عظيم شهير ولأنه أول رئيس حكماً في كل تاريخ مصر يقتل بهذا الأسلوب الوحشي، ولكن هناك جريمة لا تقل هولاً عن هذه الجريمة إلا من حيث شخصية المجني عليه، ولم يسمع بها الناس أو سمعوا ولم يعبروها كل ما تستحق من الأهمية». ويحكى رئيس مصر الفتاة، الواقعة بتفاصيلها «منذ ثلاثة أسابيع في مدينة كوم النور، ذهب نفر من مصر الفتاة ليؤثّر شعبة في كوم النور^(١) فيها كان من الإخوان المسلمين إلا أن يجمعوا جموعهم وينفذ فيهم الخطيب عدداً إياهم عن غزوة بدر وحرب المشركين وضرورة إباداة الكفار من وادي النيل، فينطلق هؤلاء المجرمون الحمقى وهم مسلحون فيقتلون أول من يصادفهم في القرية وقد كان شاباً في ريعان الشباب لم يعض على زواجه عشرة أيام إلا وهو شهيد...».

ويواصل أحمد حسين فيما ينقل عنه سلامة موسى بالقول «لو أن الجرائم التي يرتكبها الإخوان المسلمون كانت موجهة ضد أعداء البلاد من أى نوع كان، لالتمسنا لهم العذر ولكنها كلها موجهة إلى أبناء البلاد، أولم يأتك هذا النبأ عندما التقى طلبة أغرار قبيلة في مدرسة الزقازيق الثانوية فأصاب من أصابت من الطلاب». ثم يقول أحمد حسين «أولم يأتك نبأ حرقهم لكنيسة من الكنائس». موقف

(١) كوم النور، قرية كبيرة تقع في مركز ميت غمر بمحافظة الدقهلية، وهي على الطريق بين مدينتي ميت غمر والسيلابيين، وتتميز بارتفاع نسبة التعليم فيها.

سلامة موسى من حسن البناء وجماعته يتضح أكثر في مقال له بعنوان «تشجيع التحزب الديني لمنع التطور السياسي» نشره في كل من «الشعلة» ، وفي «مصر» ٤ يونيو ١٩٤٧م. وفكرته الأساسية في ذلك المقال أن «المستعمرون الأجانب والمستبدون الوطنيون» يشجعون الحركات الدينية، التي تهتم بالتنمير الديني وليس بمكافحة الفقر وبناء المدارس والجامعات وإقامة الديمقراطية والحياة الحزبية، وقد برع الإنجليز في ذلك ... فعلوه في الهند وفي مصر وفي فلسطين وفي السودان، يقول «يفرح الإنجليز لهذه الدعوة إلى التحزب الديني حتى أنهم أجازوا للإخوان أن ينشئوا فرعاً في السودان وفلسطين وشرق الأردن. ويفرح أيضاً المستبدون لهذه الدعوة لأن كل ما يحفظ للمستعمرين امتيازاتهم واحتكاراتهم يحفظ أيضاً للمستبدين امتيازاتهم واحتكاراتهم».

★★★

شخصية القمص سرجيوس تختلف كثيراً عن شخصية سلامة موسى.. القمص رجل دين في المقام الأول، وهو أحد رموز ثورة ١٩١٩م، شارك فيها، وحضر العديد من المؤتمرات في الأزهر وغيره من المساجد الكبرى، وصعد منبر الأزهر يخاطب منبراً الحماس للثورة والمطالبة بالاستقلال، حتى أن هناك من أطلق عليه «خطيب الثورة»^(١). نحن إذن بإزاء رجل دين لديه اهتمام بالشأن الوطني والشأن العام، هو كذلك كان متحمساً لما يؤمن به، وهذا ما جعله يدخل في صراعات عديدة، وكان من الذين اصطلم بهم القمص سرجيوس، مرشد الإخوان حسن البناء، وكان البناء هو الذي بدأ الصدام، من المؤكد أنه كان لسرجيوس موقفاً من الإخوان، هو - بمعنى ما - ابن لثورة ١٩١٩م وأحد رموزها، وجاءت الإخوان من البداية تعلن العداء لحزب الوفد، وترفض مبدأ الوطنية المصرية داعية إلى دولة الخلافة الإسلامية، وكان ذلك مصدر قلق لدى كثيرين، خاصة أبناء ثورة ١٩١٩م،

(١) حول شخصية القمص سرجيوس راجع د. محمد عفيفي: الدين والسياسة في مصر المعاصرة. القمص سرجيوس، دار الشروق، ط١، سنة ٢٠٠١م.

وكان القمص سرجيوس واحدًا من هؤلاء، والذي حدث أنه في مطلع مايو ١٩٤٧، دُعي سرجيوس من الجمعية القبطية الأرثوذكسية بمعسكر التل الكبير لإلقاء بعض العظات الدينية في الكنيسة بالمعسكر، ولبي هو الدعوة يوم ٧ مايو، وزار الكنيسة وألقى عظاته، فإذا بجريدة الإخوان المسلمين تثنى هجوعًا قاسيًا على سرجيوس وقد وجهت إليه العديد من الكلمات والانهامات القاسية، كتبها حسن البنا عن النحو التالي «علمنا أن القمص سرجيوس يجتمع بمواطنينا الأقباط في التل الكبير (...) وأن هذا الاجتماع يتم في كنيسة داخل إحدى المعسكرات البريطانية (...) ثم وراء هذه الاجتماعات؟ وهل هناك تدبير مبيت للاعتداء على كنيسة أخرى مثل كنيسة القازيق؟» وتقول المجلة أيضًا «إن إصبع المستعمر في إثارة الفتنة بارز ملموس وإن كان للإنجليز أن يطبقوا سياستهم التي استعمروا بها العالم، وهي التفريق بين أبناء الوطن الواحد (...) فكيف يسمح رجل من رجال الدين لنفسه أن يكون مطية لأعداء الوطن والدين».

واتهم كهذا بالغ القسوة في حق الرجل الذي عرف بعدائه للإنجليز، فقد كان في بعثة كنسية للسودان وأعادته الإنجليز من هناك إلى مصر سنة ١٩١٥م إذ وجدوا أنه يخوض المواطنين عليهم، وفي أثناء ثورة ١٩١٩م نقوه إلى رفح في فلسطين وفي خطبه في أثناء الثورة كان شديد النقد والسخرية من الإنجليز، وإذا هو بعد ذلك يتهم من مرشد الجماعة أنه صار مطية للإنجليز، ولم يتوقف أمر الاتهامات عند هذا الحد، بل امتد الأمر إلى تحريض الجهات الرسمية عليه بضرورة «لنقت نظر الحكومة لهذه المؤامرة الجديدة حتى تقضى على الفتنة في مهدها، فما في كل مرة تسلم الجرة». ويخوض المرشد كذلك الأقباط عليه .. «الاتجاه إلى مواطنينا الأقباط ليبرؤوا من هذا القمص وليثبتوا إخلاصهم للوطن الذي يجمعنا والذي يجب أن نفتديه بدمائنا وأموالنا».

أعاد القمص نشر ما نشرته عنه جريدة الإخوان، وبدأ في الرد بجملته قاسية وموجعة تجاه حسن البنا نفسه وجماعته، وصلت ردوده إلى أكثر من عشرين مقالاً، كان

الأول منها بعنوان «الموت ولا حكم دولة عم حسن البنا» نشره في مجلته التي كان يصدرها «النارة المصرية»، فقال مطول، جاء فيه «ها نحن قد عشنا وشفنا ووقفنا مع الذين سبقونا ورددوا هذا القول لأننا ما كنا نحلم أو نتصور أنه في القرن العشرين وفي عهد الدستور والديمقراطية والقبيلة الذرية يقوم في مصر (...) هنا في عروس الشرق وقودته، يقوم عم حسن البنا يجمع حوله رهطاً هم أعلم الناس بحقيقة أنفسهم يتطلعون إلى الحكم في مصر وإخضاع البلاد وإذلال العباد، ولم يبقوا عند حد التطلع، بل أخذوا يعملون على الوصول إلى أغراضهم، فجيشوا جيوشاً عرمرم وحشدهوها في كل بلد وفي كل مكان كما جمعوا من الأسلحة ما جموه، وها هم ينشرون إرهابهم في البلاد وإن كانوا بدؤوا بالمسيحيين واليهود فحرقوا الكنائس وهجموا على الجمعيات وأقاموا المظاهرات...» ثم يقول «ولما استمرؤوا المرحى ولم يجدوا من يردعهم هجموا على رجال الحكومة في مركز هيا وضربوهم لأنهم تصدوا لهم وأرادوا أن يمنعوهم عن المظاهرة لنزعة مسيحي أكرهوه على الإسلام...»، ويتخلل سر جيوس النحاس باشا وهو يدعو المسلمين والمسيحيين واليهود ليتوجهوا بالدعاء إلى الله «خدها يا رب ما تخضر هاش حكم هذه الدولة قبل أن يحكم فيها زعيط ومعيط ونطاط الحيط. فالموت ولا حكم دولة عم حسن البنا». ويقدم القمص تبريراً لموقفه أو رأيه الأخير بالقول «نحن إذا قلنا هذا لا نفتري على عم حسن ورهطه، فهو ذا عم حسن ورهطه كانوا في بادئ أمرهم من القوم الذين يحشدهم المرشحون لعضوية النواب والشيوخ ليعطوهم أصواتهم أو ليقوموا لهم بعمل الدعاية في أوساطهم فلما تكرر حشدهم واستخداهم لأغراض مماثلة داخلهم الغرور فقالوا في أنفسهم: إذا كان الزعماء والشيوخ والنواب لا يصلون إلى كراسيهم إلا بواسطتنا فلماذا لا نأخذ نحن هذه المراكز لأنفسنا (...) ولماذا لا تكون نحن الإخوان نواباً وشيوخاً ووزراء وكبيرنا رئيساً للوزراء؟» وتوالت مقالات القمص، كان عنوان إحداها - ٢٨ يونية ١٩٤٧ م - «اليوم تدل وغداً تذلل يا حسن البنا!». وفي ١٢ يوليو كان عنوان مقاله «حسن البنا يخنق نفسه بيده». وردت جريدة الإخوان تدافع عن المرشد، وحاول البنا أن يدافع عن نفسه، ويبدو أنه لم يكن

يترفع حدة القمص، الذي بدا أنه متابع جيد لمسيرة البنا وجماعته وبارك الكثير من أعماله عن التوظيف السياسي الذي قامت به الحكومات المختلفة للجماعة، وفضلاً عن ذلك كان القمص يتخذ بعق كتابات ومقالات البنا، وأثبت القمص أن لديه إلمام واسع بالثقافة الإسلامية وعلى دراية كاملة بالآيات القرآنية وأقوال كبار المفسرين حولها، فقد اتهمه أنه يقدم «تفسيراً ملتوياً للقرآن الكريم»، وكان البنا يقدم «تفسيرات» القرآن الكريم، وحاول أن يفسر الآيات القرآنية التي تتعلق بالمسيحيين وبأهل الكتاب، والحقيقة أنه لم يكن مفسراً ولا كان ملتماً بخبايا وأسرار علم التفسير، وكذلك كانت ثقافته المعاصرة محدودة، لذا راح يطلق أحكاماً بالكفر على أهل الكتاب، مما أثر عليه ليس القمص سر جيوس فقط، بل آخرين غيره وكشف سر جيوس في ردوده عن ثقافة واسعة وإحاطة بالثقافتين الإسلامية والمسيحية، فضلاً عن إلمامه بالأنكر الحديث، وهذا ما افتقده البنا، الذي أخاف غير المسلمين، وترصده سر جيوس بالبحث والرد، متفداً كل ما يقول به في سلسلة أخرى من المقالات حملت عنوان «حسن البنا يحرص على قتال الأقليات».

وكان البنا قد توقف أمام الآية القرآنية الكريمة ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ الآية ٩١ وجاء في تفسير البنا لها وقد وصفت الآية أهل الكتاب وهم في عرف الإسلام اليهود والنصارى بثلاث صفات بأنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وبأنهم لا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله، وبأنهم لا يدينون دين الحق وذلك معلوم من سيرتهم وكتبتهم. ١ وقال أيضاً: «أهل الكتاب وثقاتلون كما ثقاتل المشركون ثقاتاً إذا اعتدوا على أرض الإسلام أو حالوا دون انتشار دعوته». وقال في سياق آخر: «وأما أهل الكتاب فقد ترحص الإسلام في أمرهم وأجاز الاكتفاء بأخذ الجزية منهم، فنتى لهموا بأمانتها ورضوا بها فقد وجب أن يرفع عنهم السيف، ومثلهم في ذلك

المجوس والصابئون والمشركون من غير العرب والوثنيون كذلك في أرجح الأقوال. وراح القمص يرد على هذه الآراء بعبارات غاية في الانفعال والقسوة. فأطلق على حسن البنا «شيخ سوء» وبدلاً من لقبه المرشد العام قال عنه «الفسد العام» والواقع أن الآية القرآنية الكريمة لم تدن «أهل الكتاب» عموماً، لكن فئة منهم هم الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر... ولذا راح سرجيوس يستشهد بأقوال مفسرين آخرين وبآيات أخرى من القرآن الكريم تشيد بأهل الكتاب وتغني ما ذهب إليه البنا، وكان عدد من علماء الأزهر ومن هيئة كبار العلماء، قد ردوا على البنا، واستشهد بهم سرجيوس «ولعل في فتاوى حضرات علماء المسلمين التي نشرت ضدك في الصحف ما يجعل المسلمين في بلاد الشرق أن يضربوا بأقوالك عرض الحائط (...) لا شك أصبحت غير ذى ثقة في أمور الدين بعد أن اتخذت الدعوة إلى الخير وسيلة لارتكاب المحرمات وهو من أشد ما يهتكمه الدين، الأمر الذى فيه تسخير الظاهر الدينى للحصول على الشهوات، وهو باب في الوقت نفسه من أبواب إساءة الأخلاق، كما جاء عنك في رأى فضيلة الأستاذ محمود شلتوت عضو هيئة كبار العلماء».

هل كان القمص سرجيوس مبالغاً في مخاوفه ومتحاملأ على حسن البنا؟

الواقع أن بعض كلمات القمص في مقالاته يمكن أن تدخل اليوم في باب «السب»، لكن هكذا كانت الممارك والحملات الصحافية في ذلك الزمان - ديسمبر ١٩٤٧م - لكن تفسيرات البنا كانت مثقلة وخفيفة، وإذا كان عدد من علماء الأزهر، أصابهم القلق من آراء البنا وراحوا يرددون عليه، وقلق أيضاً من هذه الأفكار الليبراليون واليساريون المصريون.. فما بالنا بغير المسلم؟

من الناحية العلمية والفقهية فإن أفكاره ليست ذات وزن، ولو أنها صدرت عن أستاذ متخصص بعد كتاباً مع نفسه لفات الأمر، لكننا بإزاء رجل هو قائد جماعة ويميز مبادئه المسلحة «التنظيم الخاص» وكانت بعض أعمال العنف من هذا

وسواء كان حسن البنا يقصد أم لا... فإن أحاديثه عن الحرية وأهل الكتاب أثارت الفزع، وقيام المليشيات الخاصة به (التنظيم الخاص) بأعمال إرهابية، أكدت ذلك الفزع والقلق، لكن يجب أن نراعى عدة أمور، منها أن فكرة حسن البنا ومشروعه كان يعلن من البداية مناهضته للمشروع الوطني الذي قامت عليه ثورة ١٩١٩م، كان هو من أنصار ودعاة دولة الخلافة، وليس الدولة الوطنية، بكل مفرداتها وأدواتها، ولم يكن هذا المشروع يثير المخاوف حين كانت الجماعة ناشئة وكان المشروع الوطني قوياً وناهضاً، ولكن بتراجع هذا المشروع وانكشافه، خاصة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بدأ مشروع البنا يتمدد، وقد تراجع المشروع الوطني بسبب عنيحية المستعمر البريطاني وإصراره على عدم الجلاء عن مصر، وكانت آخر محاولة في هذا الصدد، تلك التي قام بها النقراشي باشا سنة ١٩٤٧م بعرض القضية المصرية على مجلس الأمن في سنة ١٩٤٧م؛ لذا لم يكن هناك بد أمام النحاس باشا أن يعلن إلغاء معاهدة ١٩٣٦م في سنة ١٩٥١م، وبدأت أعمال الفدائيين.

وفي العادة تظهر المشكلات الطائفية حين يتراجع المشروع الوطني، وإذا كانت الحرب العالمية الأولى انتهت بقيام ثورة ١٩١٩م وانتصار الحركة الوطنية والدولة المدنية الحديثة، مما أشاع حالة من التفاؤل العام، نجد الحرب العالمية الثانية انتهت بنتيجة عكسية، حيث ظلت بريطانيا تصر على رفض الخروج من مصر وتفاقت المشكلات الاجتماعية، التي عرفت باسم الفقر والجهل والمرض، ولم يكن هناك أي أفق واعد بانقراج في هذه القضايا، وتفاقم الأمر مع احتدام الصراع على فلسطين والدفاع المشروع الصهيوني فيها بمساندة إنجليزية كاملة، هذا كله أضعف الأحزاب المدنية، وجعلها تتراجع، بينما تتقدم القوى والسيارات المضادة، وعلى رأسها جماعة الإخوان المسلمين، ما فعله حسن البنا أن استغل هذا الفراغ وراح يوظفه لصالح فكرته ومشروعه، وأخذ الغرور بقوته وأغراه ضعف الآخرين من أحزاب وقوى سياسية، فكان أن دفع حياته ثمناً لحملات مليشياته وغروره الشخصي.

الفصل الثاني

الجميل السعودي

في نهاية عام ٢٠٠٢م شن وزير الداخلية السعودي الأمير نايف بن عبد العزيز هجوماً ضارياً على جماعة الإخوان المسلمين اتهمهم فيه «بخيانة العهد وإنكار الجميل» وتجاوزت الاتهامات الحدود السلوكية والأخلاقية للجماعة عامة أو بعض أفرادها، إلى حد اعتبارهم مسؤولين عن «إفساد الأمة واستخدام الدين لتحقيق مآرب سياسية صغيرة»، كان البيان والنصريحات التي أطل بها الوزير السعودي غريبة، ليس في قوتها فقط، ولكن في أن المسؤولين الكبار بالمملكة لم يعتادوا التعبير بهذه الطريقة الصريحة، إذ غالباً ما يكفى هؤلاء بالتلميح فقط، فالخطاب السعودي الرسمي محافظ ويحرص أصحابه على التزام التقاليد العربية التي لا تميل إلى الانتقاد الجارح، وفضلاً عن ذلك كان غريباً أن يصدر ذلك في حق جماعة الإخوان، وعلاقة الجماعة بالمملكة قديمة وودودة.. في ذلك الوقت ظهرت تحليلات عديدة لهذا الموقف من وزير الداخلية السعودي، الذي كان يعبر عن موقف المملكة، من بينها أن الجماعة خرقت اتفاقاً قديماً مع المملكة بعدم تجنيد أي من مواطني المملكة، لكن تبين للمملكة أن الجماعة اخترقت في بعض المدن إلى بعض النساء السعوديات وجندنهن^(١).

حين اتهم وزير الداخلية الأمير نايف الإخوان بخيانة العهد وإنكار الجميل، فقد كان مدرّكاً عمق وقدم الصلة بين الجماعة والمملكة، والتي تعود إلى أيام مؤسس

(١) راجع: مجلة المصور، عدد ٢ يناير ٢٠٠٣م، مقال مكرم محمد أحمد «الوقائع الخفية بين السعودية والإخوان المسلمين».

المملكة عبد العزيز بن سعود ومؤسس الجماعة حسن البنا، وهي علاقة وصلة تسبق اعتراف المملكة المصرية، وعلى رأسها جلالة الملك فؤاد، بالمملكة العربية السعودية حين أسسها جلالة الملك عبد العزيز.. وحين أشار الكاتب وحيد حامد في مسلسل «الجماعة» إلى الصلة بين حسن البنا وبعض مسؤولي المملكة غضب بشدة بعض الإخوان وفهموا الأمر أن الكاتب يريد أن يصور البنا أنه تجاوز الدولة والمملكة المصرية، حيث أقام علاقات مع دولة لم تكن مصر قد اعترفت بها، لكن هون البعض من ذلك الأمر باعتبار أن المملكة حينذاك كانت بلا نقط وكانت ظروفها المالية سيئة ولا تمكنها من دعم أحد.. ودار نقاش مكثوم في المجالس والمنتديات الخاصة للمثقفين والسياسيين حول هذه الجزئية.

ويجب القول إن المملكة حين تأسست وأعلن الملك عبد العزيز قيامها لم تجد ترحيباً من الأصوات التقليدية في المنطقة، خاصة أسرة الشريف حسين التي رأى أفرادها أنهم الأحق بحكم المناطق المقدسة، وقد وقفوا مع الإنجليز ضد الدولة العثمانية على وعد أن تمكنهم بريطانيا من حكم هذه المناطق، ولم يرحب بالمملكة الكثير من علماء المسلمين، خاصة علماء الأزهر، فقد كانت الصلة قوية بين المملكة والوهابيين، وكان لدى هؤلاء العلماء موقفاً رافضاً للتشدد الوهابي، كان الوهابيون جلدوا جندياً مصرياً من المصاحيين لكسوة الكعبة سنة ١٩٠٢م لأنه كان يدخن سيجارة^(١).. لكن في المقابل هناك فريق من المهتمين بالشأن الإسلامي رحبوا بقيام المملكة باعتبار أنها دولة قامت على أسس إسلامية خالصة، وهي أقيمت بعد سقوط دولة الخلافة العثمانية، وكان قيامها مبعث آمال لدى هؤلاء، خاصة أنها تضم مكة المكرمة والمدينة المنورة، ومن هؤلاء كان رشيد رضا صاحب مجلة المنار، الذي كتب سلسلة مقالات في «المنار» مدافعاً عن الوهابية وعن الدولة الجديدة، وقد جمع هذه

(١) راجع في ذلك ما بكل كوكب: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الفكر الإسلامي، ترجمة د. رضوان السيد ود. عبد الرحمن السالمى ود. عمار الخلاص، طبعة ٢٠٠٩م، الشركة العربية للأبحاث والنشر

المقالات فى كتاب حمل عنوان «الوهايون والحجاز»، ولم يكن رشيد رضا وحده، كان هناك غيره من أمثال عبد الرحمن عزام، لكن الملك فؤاد لم يعترف بالمملكة لأسباب تخصه، ومع ذلك لم يكن هناك عداء بين الدولتين، كانت التعاملات قائمة وطيبة بين الملكتين، خاصة فى مواسم الحج، لكنها كانت متجمدة عند القمة بسبب الملك فؤاد وليس بسبب الملك عبد العزيز؛ لذا كان تعامل مواطن مصرى مع المملكة العربية السعودية أمراً لا غضاضة فيه ولا يسبب له أى مشكلات فى مصر؛ لذا وجدنا عدداً من المصريين عملوا مبكراً فى المملكة ومع الملك عبد العزيز نفسه، مثل الشيخ حافظ وهبة.

كان حسن البنا على صلة برشيد رضا وفريق المعجبين بالمملكة، وعلاقة البنا بالسعودية قديمة، تعود إلى بداية عمله مدرساً للخط العربى بالإسماعيلية، فقد كان مطروحاً أن يسافر معاراً إلى المملكة بأحد معاهدها الدينية فى مكة المكرمة، وسعى هو إلى ذلك، ولم يتحقق مسعاه لسبب لم يوضحه بالقدر الكافى فى مذكراته، هو يذكر أنه اشترط شرطاً وطلب مطالب لم يتحقق، لكن يبدو أن الأمر لم يكن كذلك، ويمكننا أن نخمن أن مؤهله العلمى لم يكن يسمح له بالعمل فى معهد دينى، وهو خريج «تجهيزية دار العلوم» ويحمل دبلوم دار العلوم ولم يكن هذا الدبلوم يعامل معاملة الليسانس أو البكالوريوس، وهذا الخريج ليس مؤهلاً بالقدر الكافى للتدريس بمعهد دينى، لنلاحظ أنه لم يدرس بالأزهر أبداً، هو كذلك كان يعمل فى مصر مدرساً للخط العربى، لم يكن قد ارتقى بعد ليكون مدرساً للغة العربية، فإنا بالمواد الدينية؟! وفى خطاب بعث به حسن والده من الإسماعيلية بدأ حزيناً ومتألماً أنه لم يتمكن من السفر^(١)، فقد كان يعول على ذلك كثيراً، وهذا مفهوم الشباب فى مستقبل العمر، خاصة من ينتمى إلى أسرة فقيرة.

(١) نشر جلال البنا خطابات حسن البنا إلى والده فى كتاب مستقل.

عدم تمكّنه من السفر لم يهز إعجابه بالملكة، فنراه يقول عنها في مذكراته «هى أمل من آمال الإسلام والمسلمين. شعارها العمل بكتاب الله وستة رسوله وشجرى سيرة السلف الصالح». وهو في مقابل هذا الإعجاب لا يتردد فى أن ينتقد ويدبّر حكومة بلاده - الحكومة المصرية - فى طريقة تعاملها مع المملكة وعدم اعترافها بها ويذهب إلى حد أن حكومة بلاده منصاعة فى ذلك للإنجليز، إذ يقول «كانت الحكومة المصرية لم تعترف بعد بالحكومة السعودية تنفيذًا للسياسة الإنجليزية التى تفرق دائماً بين الأخوين». وهذا القول يعتمد على استسهال الاستنتاج والانفعال وراء المواطن متجاهلاً الواقع، فلم يكن للإنجليز دور فى هذا الأمر، وهناك ما يشير إلى أنهم كانوا يتمتعون الوثام بين الملكتين، باعتبار أنهم يحتلون مصر وهم أيضاً يساندون ابن عبد العزيز ويدعمونه، حتى أنهم دبّروا موقع حكم لأبناء الشريف حسين الذين يحملون بحكم الجزيرة العربية، كانت المشكلة تتعلق بالملك فؤاد، كما سبق القول، كان فؤاد يطمح إلى أن يصبح خليفة المسلمين بعد إسقاط دولة الخلافة فى تركيا، وكان قيام دولة إسلامية فى المناطق المقدسة يضعف ذلك الطموح، بل يقضى عليه، إذ أن أهم واجبات خليفة المسلمين حماية مكة المكرمة والمدينة المنورة، أى يكون «خادم الحرمين الشريفين» وقد جاء الملك عبد العزيز ليقوم بتلك المهمة، وهناك سبب آخر شرح ملائحته الملك عبد العزيز بنفسه فى لقاء مطول مع د. محمد حسين هيكل وقد ذكره هيكل فى كتابه «فى منزل الوحي»^(١)، ففى بداية الأمر بعث الملك عبد العزيز برسالة تطمين إلى الملك فؤاد يؤكد له فيها أن هدفه ليس الحكم ولا الملك، بل إنه لا يبايع فى أن يتولى الملك فؤاد ملك الحجاز، كانت رسالة شفوية، تطمينية، إن صححت التسمية من رجل منكم، يسمّى إلى اكتساب ود حاكم مصر، ولعله يريد بذلك أن لا يساند الملك فؤاد أحدًا من خصومه، وربما أراد أن يقول له بذلك الشديّد أن ماضى الأجداد، أى محمد على وابنه إبراهيم باشا مع الدرعية

(١) راجع التفاصيل كاملة فى كتاب د. محمد حسين هيكل «فى منزل الوحي»، الفصل الذى يحمل عنوان «مع ابن السعود»، الطبعة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٠م.

والدولة السعودية الأولى، في طي النسيان بالنسبة إليها ولن يؤثر على العلاقات والأوضاع الجديدة بين البلدين، لكن فيها يبدو أن ذكاء الملك عبد العزيز لم يصل إلى الملك فؤاد الذي كان «مشتاقاً» بحق إلى الملك وإلى السلطة، ويبدو أن ما قاله الملك من باب المجاملة ترك أثراً أو أمة في نفسه، أيما كان الأمر فلم تكن هناك وقعة قام بها الإنجليز ولا كان الملك تابِعاً للإنجليز في ذلك ولا منساقاً لهم، ينفذ سياساتهم.

ولأن حسن البنا مفتون بالمملكة، فإنه يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك، فيضيف في مذكراته منذاً بالملك فؤاد دون أن يذكره بالاسم ومكتفياً بكلمة الحكومة ليقول «كان الشعب المصري بأسره يستكر هذا الوضع الشاذ وكانت الطبقة المثقفة ترى في نهضة الحجاز الجديدة أملاً من آمالها وأمة من أمانيتها»، وهذا أبعد ما يكون عن الحقيقة، ويقرب من الكذب الصريح، لم تكن العلاقة بين الملكين أمراً شاغلاً للشعب المصري، ولا كان عدم اعتراف مصر بالسعودية مثار استنكار الشعب المصري بأسره، كانت الأحزاب المصرية وقتها مشغولة بقضيتين أساسيتين.. الاستقلال وحكم الدستور، وكانت الأحزاب والقوى الرئيسية في مصر متوقفة عند حدود علاقتنا ببريطانيا، وما كان يشغل المصريين - في المقام الأول - علاقة مصر بالسودان أو وحدة وادي النيل، أما الاعتراف بالسعودية، فلم تكن قضية عند الأحزاب ولا في الشارع المصري، لسبب بسيط، هو أنه لم يكن هناك عداء بين الدولتين ولا كانت هناك حروب كلامية بينهما، كان هناك موقف خاص لدى الملك فؤاد، وأظن أن الجميع في مصر وفي المملكة العربية السعودية كانوا يتفهمون ذلك، مثلاً حين أقام الملك عبد العزيز احتفالاً بقيام المملكة ذهب وفد صحافي كبير من مصر لتنطية الاحتفال، وعاد الصحافيون وكتبوا - لم تحذف الرقابة لهم كلمة - وأما إن نهضة الحجاز كانت أملاً وأمية لدى الطبقة المثقفة فهو أيضاً كلام بلا معنى وغير صحيح، الصحيح أنها كانت كذلك لدى بضعة أفراد، من أبرزهم رشد رضا وحسن البنا وآخرون.

هذه الميالات حتى لا نقول الأكاذيب التي قالها حسن البنا من قبيل الافتتان والإعجاب بالدولة الوليدة، وبالتأكيد فإن ما قام به الملك عبد العزيز من بناء دولة كبيرة وقوية في منطقة الجزيرة العربية تجمع أشتاتها من قبائل متناحرة، أمر يدعو إلى الإعجاب، لكن حسن البنا لم يكن ذلك في هذه الدولة رهاها فقط دولة تقوم على كتاب الله وسنة رسوله. والمؤكد أن إعجاب البنا لم يكن من طرف واحد، كان هناك من يتابعه داخل المملكة ويقدّر ما يقوم به في مصر، كان والده الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا يقوم بشرح كتاب «الفتح الرباني» في مسند الإمام أحمد بن حنبل وينشره بمعاونة محيي الدين الخطيب، والإمام أحمد بن حنبل هو الفقيه الأكثر تشدداً بين فقهاء المذاهب الأربعة؛ لذا كان أتباعه في مصر عددهم محدوداً، لكن الفقه الحنبلي وابن حنبل نفسه هو الإمام الأكبر والفقيه الأعظم لدى الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه؛ لذا كانت أجزاء الفتح الرباني تطبع هنا وترسل إلى الأراضي الحجازية، ومن ثم كانت للوالد صلات بعدد من مشايخ وعلماء السعودية، وكانت الرسائل تصله منهم، حول الكتاب، وبين هذه الرسائل نجد في إحداها تحيات مزجاة من إحدى الهيئات السعودية إلى الشيخ حسن البنا وجماعته، وتكشف أن نشرات جماعة الإخوان كانت تصل إليهم في المملكة وكانت رسالته «نحو النور» محل تقدير وإعجاب عدد منهم.

في العام ١٩٣٥م توجه د. محمد حسين هيكل إلى المملكة العربية السعودية، وكان يقصد أداء فريضة الحج والقيام برحلة إلى الأماكن المقدسة وبعض الأماكن الأخرى المحيطة بها لإعداد كتابه «في منزل الوحي»، ركب هيكل الباخرة من السويس إلى جدة، وكان معه على الباخرة عدد من الشخصيات العامة وإحدى الأميرات من الأسرة العلوية، كانت الباخرة مملوكة لمعبد باشا، الذي حرص على أن يودع بنفسه الباخرة بمن عليها، وبعد أن تركت الباخرة فوجي د. هيكل أن حسن البنا على الباخرة نفسه، وذهب إليه البنا مقدماً نفسه، وأخذ يجده عن جماعته التي

اسمها وأن هدفها «تهذيب الناس تهذيباً إسلامياً صحيحاً»، ولم يكتفِ بهذا، بل قدم عرضاً محدداً إلى محدثه وهو أنه يطمع في أن «يعضد مؤلف حياة محمد هذه الجماعة، بل يطمع في تولي رئاستها»^(١) ويشكره. هيكمل معتزلاً عن عدم قبول رئاسة هذه الجمعية متعللاً بانشغاله بالكتابة والعمل السياسى. فيما بعد وحين يصبح د. هيكمل وزيراً للمعارف ويصدر قراراً بنقل المدرس الابتدائى حسن البنا من القاهرة إلى قنا، سوف يقول الإخوان إنه فعل ذلك انتقاماً من الإخوان لانتقادهم كتاب «حياة محمد».. وفيما بعد أيضاً سوف يحاول التنظيم الخاص التابع لحسن البنا اغتيال د. هيكمل، وبالفعل يتم إلقاء قبلة على سيارته فتصيب سقفها فقط، ولكن كان بداخلها زوجة د. هيكمل بدلاً منه، فأصبحت بصدمة عصبية، قال لى أحمد هيكمل نجل د. هيكمل إن والدته ظلت شهوياً تعالج من آثار ذلك الحادث، وبعد حوالى ٣ أشهر من الواقعة اتصل أحد الإخوان بمنزل د. هيكمل ليقول لهم إن الجماعة لا علاقة لها بالعملية.

المهم إن الباخرة وصلت إلى جدة وتوجه الحجاج إلى الأراضي المقدسة لأداء مناسك الحج، ولفت انتباه د. هيكمل ما يقوم به حسن البنا هناك، إذ وجده «يقف في كل جمع خطيباً واعظاً، يتلو آيات القرآن في مناسباتها». ويبدو أن ما لفت انتباه د. هيكمل ليس فقط أن الشيخ حسن ليس من كبار العلماء، ولا يعد من العلماء أصلاً، بل إن رجال الوهابية ما كانوا يسمحون لأى من العلماء أن يقف هكذا خطيباً بين الحجاج، وأمام أى جمع متحدثاً فيهم، تلك كانت مسألة حساسة للغاية، وتخضع لتدقيق وانضباط شديدين من جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن يقف في الحجاج ينبغي أن يكون موضع ثقتهم حتى لا يطرح أفكاراً مغايرة لأفكارهم، أو يعلن آراء مخالفة لأرائهم.. ويبدو أن د. هيكمل لم يترك الأمر يمر عابراً، بل استفسر

(١) راجع تفاصيل هذا العرض في مذكرات د. محمد حسين هيكمل، الجزء الثانى، هيئة الثقافة الجماهيرية،

وتساءل ، وجاءت الإجابة؛ لذا نراه يكتب في مذكراته بالحرف الواحد عن حسن التليلا « قبل لي وأنا بالحجاز إن له صلة بالحكومة السعودية وإنه يلتقي منها عطفاً ومعمونة». باختصار كانت هناك صلة وعلاقة مع الحكومة السعودية، ومن ثم فأراه وكتاباته عن السعودية وعن موقف الحكومة المصرية منها، لم يكن رأياً بريئاً ولا خالصاً، كان بناء على علاقات خاصة له ، وأنه يجد من الملكة عطفاً ومعمونة، والذي قال ذلك كاتب، يزن الكلام بذكاء، ويميز بين العطف والمعمونة، أما العطف فقد يعبر عن المساعدة المعنوية، أما المعمونة فهي الأمور المادية، أى الأموال.

د. هيكمل كان سياسياً ولذا لم يشأ أن يذكر تفصيلات ولا أن يخرج أحداً، فلم يعلن من قال له ذلك، وبالتأكيد قبل له ذلك بشكل خاص وشخصي، ولكن لا بد من معرفة الذين التفاهم د. هيكمل في تلك الرحلة. هو كان ضيفاً على صديقه وزير المالية بالملكة وحل ضيفاً في بيته، هو كذلك التقى عدداً من أمراء الأسرة السعودية وعدداً من المسؤولين عن السياسة الخارجية للملك عبد العزيز، قابل كذلك بعض أفراد حاشية الملك، وأخيراً فقد التقى الملك عبد العزيز ثلاث مرات في تلك الرحلة، المرة الأخيرة كانت لقاء خاصاً وجلسة مطولة بينهما وحدهما، فتش له الملك عبد العزيز قلبه تجاه مصر وتجاه الملك فؤاد وتحدثا أيضاً في أمور أخرى. تلك مصادره في المعرفة والمعلومات، وبين هؤلاء سمع ما قبل له عن صلات وعلاقات حسن التليلا والمعمونة التي يلقاها من الملكة.

لا الدكتور هيكمل ذكر تفصيلات أخرى ولا الملكة تعلن عن مثل هذه الأمور، فهناك الخلق الإسلامي.. إنك إذا أعطيت حسنة بيدك اليمنى فلا يجب ليدك اليسرى أن تعلم بها، ورغم أن هذه الفضيلة خاصة بالأفراد فقط وما يقدمونه من مالهم الخاص حسنة وصدقة لغير القادرين أو للفقراء، لكنها تنتقل أحياناً إلى المال العام وإلى الدول، تجاه الجماعات والشخصيات التي من هذا النوع.

ولدينا شهادة أخرى تكمل شهادة د. هيكل وتؤكددها، وتضيف إليها بعض التفاصيل، صاحب هذه الشهادة هو السفير هيرسمان آيلنس، أول سفير للولايات المتحدة في مصر بعد عودة العلاقات بين البلدين في أعقاب حرب أكتوبر ١٩٧٣م، هو كذلك عمل فترة سفيراً لبلاده في المملكة العربية السعودية، وخدم فترة من عمله في السفارة الأمريكية بطهران زمن الشاه، يفاجئنا آيلنس بأنه عرف شخصيًا حسن البناء، في شبابه كان آيلنس يعمل بالسفارة الأمريكية في المملكة العربية السعودية، وهناك رأى البناء والتقاءه، ويقول آيلنس عن نفسه إنه «عرف البناء حق المعرفة». وقال آيلنس أيضًا «اعتاد البناء في الواقع أن يأتي إلى السعودية للحصول على المال» ثم قال «التقى في منزل نائب وزير المالية السعودي آنذاك وكان رجلًا ورجلًا وثقًا ويتعامل مع البناء. كان اسمه الشيخ محمد سرور صبحان وكان عبدًا وأعتق. كان مسرور هو المسؤول عن الأمور المالية مع الإخوان المسلمين». ويقول آيلنس أيضًا «كان البناء زائرًا منتظمًا لرؤية السعودية التي كانت مصدر المال له»^(١).

قال آيلنس ما عفا د. هيكل عن أن يقوله، والكلام واضح، كان نائب وزير المالية السعودي هو من يتولى الدفع وكان الدفع يتم بالنظام، ولم يتوقف، ذلك أن آيلنس ذكر في شهادته أن آخر مرة التقى فيها حسن البناء كانت في أواخر العام ١٩٤٨م أي قبل اغتياله بشهور.

قد يرى البعض أن السعودية في الثلاثينيات والأربعينيات لم تكن قد أصبحت دولة نفطية ومن ثم لم يكن لديها المال الطائل، وهذا صحيح، لكن لتذكر أن مبلغ خمسة جنيه حصل عليها حسن البناء في بدايته من شركة قناة السويس جعلت الجماعة تتوازن ماليًا وتبنى مسجدًا ومدرسة. لكن لعل شهادة آيلنس ومن قبلها شهادة د. هيكل تفسر لنا لماذا كانت صورة الملك عبد العزيز داتما ما تغطي غلاف

(١) ترد شهادة آيلنس ضمن كتاب روبرت ديفوس «المبة الشيطان تزحف» أشراف توفيق، سنة ٢٠١٠م.

مجلة الإخوان، وكذلك أخباره وأخبار الأمراء وكبار المسؤولين بالملكة كانت صورهم تنشر أكثر من صور المسؤولين المصريين.

ولعل الافتتان بالملكة من جانب البنا والدفع من جانب نائب وزير المالية السعودى يقصر لنا اقتراب شعار الإخوان من شعار الملكة، حين تأسست الجماعة كان شعارها المصحف فقط، وصدرت اللائحة الأولى للجماعة وبها نص حول أن المصحف هو الشعار وكذلك فى اللائحة الثانية، ثم اختفى ذلك النص فيما بعد من اللائحة، وتغير الشعار ليصبح سيفين وبينهما المصحف.. وهو أقرب ما يكون إلى شعار الملكة.. حدث ذلك التعديل فى الشعار دون نص فى اللائحة وفى صممت تام، ودون أن يثير الكثير من التساؤلات.

الطريف فى كل هذا أن البنا كان يتحدث دائماً إلى الإخوان عن أن الجماعة لم يدخلها ملهم واحد من غير اشتراكات الأعضاء، ومن جيوب الأعضاء. كان يقول ذلك ويكرره باستمرار، وكانت زيارته أيضاً للملكة العربية السعودية تتم بانتظام وباستمرار من بداية الجماعة وإلى شهور قبل وفاته، وأظن أن وزير الداخلية السعودى الأمير نايف بن عبد العزيز حين اتهم الجماعة بكران الجميل فذلك لأنه يعلم ويعرف، عن «الجميل» الذى قدم من أيام والده الملك عبد العزيز، أما الجمائل الأخيرة التى قلعتها الملكة للإخوان بعد ذلك، فهى كثيرة.. كثيرة، لكن لا يحتمل هذا الكتاب تناول فترة ما بعد حسن البنا.

إلى السفارة الأمريكية

علاقة وتعاملات حسن البناء مع بريطانيا مؤكدة، بدأت في نفس لحظة تأسيس الجماعة، وطبقاً لما رواه حسن البناء في مذكراته بدأت العلاقة من جانبه هو وبسمى منه، إلى شركة قناة السويس للحصول على معونة أو تبرع لبناء المسجد، هو الذي ذهب مختاراً ومبادراً إليهم، طالباً المبلغ، وأخذ يساومهم ويفاوضهم، دفعوا مبلغ خمسة جنيه، وهو كان يريد ويتنظر المزيد.. المبلغ كان ضئيلاً بمعيار وعملة ذلك الزمان، لتتذكر أن ثمن متر أرضي المباني في حي مصر الجديدة وقتها - على أطراف القاهرة - كان بمبلغ مليونين.. وحين استهول بعض أنصار الشيخ أن يأخذ أموالاً من الإنجليز الذين يحتلون البلاد كان رده حاضراً: إنها أموالنا نحن، هم يتهون أموالنا وخيراتنا؛ لذا لا ضير أن نسترد بعض هذه الأموال، أى بعض من حقوقنا لديهم، كان هذا التبرير منه، يعنى أن لا مانع لديه من قبول أموال أخرى من الإنجليز والسعى إلى الحصول عليها.. في الجهة الأخرى لم يكن الأمر بهذه السهولة، الإنجليز لم يكونوا كرماء إلى هذه الدرجة كى يقدموا تبرعاً إلى شاب مغمور، ولا هم من أهل الخير حتى يساهموا في مساعدة جماعة ناشئة، لكن كل شيء لديهم بحساب ويقدر، في الوثائق البريطانية أحاديث كثيرة عن أن هذه الأموال، كانت أموال مخبرانية، في المقام الأول، دفعت لهدف سياسى عظيم لديهم، فقد رأوا في البناء خصماً لدوداً للوفد، يمكن الاستفادة منه في إضعاف الحركة الوطنية المصرية وهز صورة الحزب النازى لهم والمطالب باستقلال مصر؛ ولذا دعموا حسن البناء وجماعته، ولم تتوقف المبالغ المالية المدفوعة، وهي كما قلت أموال مخبرانية بالأساس.

وبسبب ذلك يذهب بعض الباحثين إلى أن المخابرات البريطانية هي التي كومت الجماعة وأستتها لهذا الهدف، حتى إن أحدهم أطلق على الجماعة اسم «إخوان الإنجليز»^(١) وإن الجماعة صناعة بريطانية تمامًا. وأظن أن الذين يرددون هذا الكلام مأخوذون بما قامت به المخابرات البريطانية في المنطقة، سواء في بلاد الشام والعراق أو الجزيرة العربية وحتى إيران. لكن يصعب القول إن حسن البنا وجماعته صناعة إنجليزية تمامًا، لكن المتصور أن الجماعة نشأت ووجدت بريطانيا أنه يمكن توظيفها لتحقيق أهدافها من إضعاف الوفد والفكرة الوطنية والقومية في مصر - ويجب القول إنه كان هناك خصوم للفكرة الوطنية منذ بداية ظهورها، أنصار الدولة العثمانية. دولة الخلافة كانوا معادين للفكرة الوطنية، والتباكين على دولة الخلافة حين سقطت كانوا كذلك معادين للفكرة الوطنية والقومية، وإلى اليوم ما زال هذا التيار موجوداً أو قائماً، حسن البنا كان واحداً من المتباكين على دولة الخلافة، وكان من الساعين إلى استعادتها، وهذا يعني بالضرورة العداء للفكرة الوطنية والقومية التي جعل لواءها حزب الوفد - وكان الوفد وغيره من الأحزاب تدعو إلى دولة مدنية حديثة. لكن كان هناك من يريد الدولة الدينية، وكان حسن البنا واحداً من هؤلاء، لذا فإن ظهور حسن البنا كان نتيجة ظروف وأحوال موضوعية في المجتمع المصري، وقد وجد الإنجليز فيه طبعاً يجب تقويته وتغذيته ليأخذ الجهد الوطني والمصري في طريق آخر، وهذا ما فعله حسن البنا باختيار واقتدار.

علاقات حسن البنا الإنجليزية ليست موضع شك، هي مؤكدة، هو اعترف بها واعترف بطلب الأموال، لكنه اعتبرها تبرعات وجزء من حقنا الذي يغتصبونه، وهم قالوا إنها أموال غبارانية دفعت لأغراض سياسية، وأدوار أرادوه القيام بها، وقد قام بها فعلياً. وعموماً في عالم المخابرات تدفع الأموال - غالباً - تحت مسميات عديدة، ويبدو أن تسمى الأشياء بمسمياتها، ولنتذكر أن إسرائيل حين كانت تجند عملاء لها

(١) راجع في ذلك كتاب: روبرت دريفوس لعبة الشيطان، ترجمة أشرف توفيق، سنة ٢٠١٠م.

في مصرنا، كانت تدفع لهم الأموال تحت مسمى السعى إلى السلام ومساندة منظمات دولية تدعو إلى السلام في المنطقة، وفي حالة حسن البنا والإنجليز، يبدو الأمر مختلفاً في بعض الشيء، فقد كان كل منهما يتصور نفسه أذكي من الآخر ويوظفه لصالحه، كل منهما تصور أنه (جند) الآخر لحسابه.

الدراسات والوثائق كثيرة وعديدة حول الدعم البريطاني للإخوان طوال سنوات حسن البنا وحتى حسن الحضيبي - المرشد الثاني - وبعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ م. لكن الجديد هو علاقة حسن البنا بالولايات المتحدة الأمريكية، والتي بدأت مبكراً. وهنا نقيدنا شهادة هيرمان آيلنس الذي عرف حسن البنا والتقاء مراراً في المملكة العربية السعودية، وقال إنه «وجده ودوداً» وإنه «لا يتردد في الالتقاء بالشخصيات الغربية»، وذكر آيلنس كذلك أنه تحجب أن يتحدث مع البنا في موضوع الإخوان، والواقع أنه لم يكن يريد أن يتدخل في غير اختصاصه، فضلاً عن أنه لم يسلأ أن يتدخل في عمل زملاء له بالقاهرة، إلى أن قال «أعرف أن أحد زملائي في السفارة الأمريكية بالقاهرة كان يلتقي مع البنا بانتظام». ورغم أن الجماعة جنتحت إلى العنف في الأربعينيات وكان ذلك مصدر قلق لدى السفارة البريطانية ولدى الملك فاروق، كل لأسبابه الخاصة، لكن الدبلوماسيين الأمريكيين في المنطقة، وفي القاهرة تحديداً حافظوا على اتصالاتهم بحسن البنا وجماعته، فقد جذبهم إلى الجماعة ما تبديه من العداء للشوعية.

وثائق السفارة الأمريكية بالقاهرة تكشف الكثير والكثير، ففي ٢٩ أغسطس ١٩٤٧ م يلتقى حسن البنا والسكرتير الأول بالسفارة الأمريكية، ودار الحديث بينهما في الوضع العام بمصر والمظاهرات التي جرت .. كان حسن البنا قادمًا لمظاهرات تأييد للقراشي باشا رئيس الوزراء الذي سافر إلى مجلس الأمن لعرض مطالب مصر .. وكان هناك قلق من أن تمتد المظاهرات وتنشط لتتقلب إلى فوضى، ويجاول البنا تهدئة مخاوف المسؤولين الأمريكي بالقول «لن يكون هناك مزيد من الاضطرابات وبوسعي

بدؤها وإنهاؤها». فبرد عليه المسؤول الأمريكي مستظراً له أو مشككاً فيها يقول «من المشكوك فيه أن تتمكن من إنهاء الفتنة بعد اشتعالها». لكن المرشد يرد مستعصماً بنفوذه وقوته بالقول «ازداد الإخوان قوة ونفوذاً في الشهور الأخيرة بعد أن انضم إليهم المنشقون عن الوفد. وأصبح عدد الإخوان ٦٠٠ ألف، وتوجد مجموعة عمل يتراوح أعضاؤها بين ٢٥ و ٣٠ ألفاً من الجواله وهم منظّمون عسكرياً ويتلقون تدريباً عسكرياً إجبارياً مستخدمين أية أسلحة أو معدات يمكن الحصول عليها».

ولا يترك السكرتير الأول بالسفارة الأمريكية عبارة حسن البنا تغفلت هكذا فيرد عليه مذكراً إياه بأنهم يعرفون حجم ما لديهم ونوعية الأسلحة بالقول «في مناسبات عديدة اتصل أعضاء من الجماعة بمكتب الملحق العسكري الأمريكي طلباً لكتيبات تتعلق بالأسلحة الصغيرة والتدريب العسكري»^(١).

القائم بالأعمال في السفارة الأمريكية «جيفرسون باترسون» أكد ما قاله البنا «الإخوان ازدادوا قوة ونفوذاً في الشهور الأخيرة» وقال أيضاً عن البنا «نظراً إلى سجله الماضي الخافل بالانتهازية يمكن أن نستنتج أنه سيواصل تأييده لهذه السياسة - يقصد سياسة النقراشي - ما دام ذلك يناسبه شخصياً».

وكان لدى السفارة البريطانية تفسير لازدياد قوة الإخوان في تلك الفترة وهو أنها تعارض الوفد بضراوة؛ الأمر الذي «يضمن للجماعة قدراً من التأييد وتسامح الحكومة والقصر معهم».

ولا بد من القول إنه مع انتهاء الحرب العالمية الثانية كانت الولايات المتحدة تستعد لإزاحة بريطانيا من مستعمراتها القديمة لنحل محلها وتأخذ دورها، كانت الولايات المتحدة هي التي تدخلت في الحرب وحسمت النصر لصالح الحلفاء، وانتهت الحرب بتدمير ألمانيا واليابان وإضعاف بريطانيا وفرنسا، وصعدت مع

(١) راجع حسن محمد: من قتل حسن البنا؟، دار الشروق.

الحرب قوتان جديدتان هما الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، كانا حليفين في أثناء الحرب، لكن بعد الحرب كان واضحاً أن التنافس والصراع سوف يكون بينهما هما، وهذا ما كان طوال الحرب الباردة، كان الاتحاد السوفيتي يملك الفكرة الاشتراكية أو الماركسية التي بدأت تبهر قطاعات واسعة من شباب ذلك الجيل، خاصة بعض أبناء الأرستقراطية المصرية، وكان لدى الملك فاروق «فوبيا الشيوعية»، كان يتخوف منهم على عرشه، رغم أنه لم يكن لهم قوة يمكن أن تهدده.. وكانت الولايات المتحدة تسمى إلى إزاحة بريطانيا وإلى مواجهة الإعجاب بالسوفيت ومنهم من الوصول إلى المنطقة، في المقابل لم يكن هناك عداء تجاه أمريكا في مصر ولا رفض لها، كانت قوة جديدة.. صاعدة، وهي - آنذاك - بنظر الكثيرين قوة ليست استعمارية، على الأقل ليست مثل بريطانيا، وكان الملك فاروق يوطد علاقته بالسفير الأمريكي والسفارة في القاهرة، وكان يجد فيهم ملاذاً من الغطرسة البريطانية، وكانت الولايات المتحدة تحاول تأسيس تواجد قوى لها، وفتحت قنوات اتصال مع كثيرين وعلى رأسهم الإخوان.

بلغت النظر في لقاء البناء مع السكرتير الأول للسفارة الأمريكية أنه يصارح السكرتير الأول بالحجم الحقيقي لقوته العسكرية وتسليحه، وتفاعلاً بأن رجال من الإخوان يلجؤون إلى الملحق الأمريكي بالقاهرة، والواضح أن البناء كان يعرف ذلك جيداً، فلم يفتأجأ بما سمعه ولم يكذبه.. وتكتمل الصورة بلقاءات أخرى للبناء مع «فيليب إيرلاند» حيث سيذهب إليه بمشروع كامل للتعاون أو للتحاليف المالي والعسكري ضد الشيوعية والشيوعيين.

ذهب المرشد إلى منزل السكرتير الأول بالسفارة، ولم يكن متفرداً هذه المرة، كان معه محمود عساف مدير إعلانات جريدة الإخوان والقائم بعمل السكرتير الخاص للمرشد لشؤون المعلومات - سوف يستقبل من الجماعة زمن حسن المضيمي - وكان

معهم أيضاً محمد الحلوجي من الجماعة.. وطالما أنهم ذهبوا إلى بيت المسؤول الأمريكي، وكان المرشد هو من طلب اللقاء، لذا بدأ هو الحديث، ودخل في الموضوع بشكل مباشر قائلاً «الشيوعية في الشرق الأوسط خطر داهم على جميع الشعوب، والإخوان المسلمون يحاربون الشيوعية بكل الوسائل الممكنة. ومن الطبيعي أن يترك أعضاء الجماعة. عملهم الأصلي لدخول الخلايا الشيوعية للحصول على المعلومات وعندما يفعلون ذلك فإنهم يتركون وظائفهم، وبذلك يفقدون مرتباتهم. وإذا أمكن تعيينهم على أساس أنهم محققون وباحثون فإن هذه المشكلة يسهل حلها»^(١).

عمود عساف كتب عن هذا اللقاء في مذكراته، التي صدرت سنة ١٩٩٣م، ويذكر أن اللقاء تم بناء على طلب رجل السفارة الأمريكية، وأن اللقاء كان مقرراً أن يتم في مقر المركز العام للجماعة، لكن المرشد هو الذي طلب أن يتم في منزل رجل السفارة، فقد تخوف المرشد أن يرصد رجال القلم السياسي دخول المسؤول الأمريكي إلى مقر الجماعة، وكأنهم لن يرصدوا اللقاء في الزمالك، وأظن أن المرشد لم يكن يريد لأعضاء الجماعة أن يروا مرشداهم مع هذا المسؤول، ويذكر عساف أن الحلوجي حضر اللقاء للترجمة الفورية بين المرشد ورجل السفارة، وقد فوجئوا بأنه يعرف العربية جيداً، والمفاجأة لنا نحن، فقد سبق للمرشد أن التقى هذا المسؤول معرفته بالعربية، وطبقاً لما ذكره عساف فإن رجل السفارة هو الذي بدأ الحديث بأنه يعرف موقف الجماعة من الشيوعية، وأنها إلحاد يجب محاربتها، وينفي عساف تماماً أن يكون المرشد طلب أموالاً أو إعانات من رجل السفارة، بل إنه رفض عرضاً بهذا الخصوص من «إيرلاند».. تساءل إيرلاند «لماذا لا يتم التعاون بيننا وبينكم في محاربة هذا العدو المشترك وهو الشيوعية؟» أنهم يروجوا لكم ومعلوماتكم ونحن بمعلوماتنا وأموالنا. فرد المرشد قائلاً «فكرة التعاون فكرة جيدة، غير أن الأموال لا تمل لها،

(١) عساف محمد: من قتل حسن البنا؟

لأننا ندافع عن عقيدتنا، ولا نقاضى أجراً عن ذلك»^(١). غير أن حسن البناء عاد كي يبدى عدم عمانته في الأموال، بل يطلبها بأسلوب آخر، يقول، طبقاً لرواية عساف «لا مانع لدينا من مساعدتكم بأن نمدكم بالمعلومات المتوافرة عنها. وحذا لو فكرتم في إنشاء مكتب لمحاربة الشيوعية، فيجئنا نستطيع أن نبركم بعض رجالنا المتخصصين في هذا الأمر، على أن يكون ذلك بعيداً عنا بصفة رسمية، ولكم أن تعاملوا هؤلاء الرجال بما ترونه ملائماً دون تدخل من جانبنا غير التصريح لهم بالعمل معكم»^(٢).

محمود عساف لا يتنكر في تقرير المسؤول الأمريكي شيئاً سوى أنه هو الذى طلب المقابلة وليس المرشد، والواقع أن هذه ليست القضية، بل القضية هى ما دار في المقابلة.

وتشير هذه المقابلة وما دار فيها وحرص المرشد على طابع السرية بدءاً من رجال القلم السياسى، أى جهاز الأمن المصرى، وكذلك عن عموم أعضاء الجماعة، وهنا لا بد من التوقف لإثارة العديد من التساؤلات والملاحظات، حول المرشد العام والجماعة، فإذا كان رجل السفارة سعى إلى مقابلة المرشد، فهذا جزء من عمله وواجبه الوظيفى تجاه حكومته التى يمثلها، ومن ثم لا ضير عليه، ولذا وجدناه يرسل تقريراً إضافياً إلى الخارجية الأمريكية (جهة عمله الرسمى) ينقل ما دار في المقابلة، بينما حرص المرشد على أن يخفى ذلك عن الجميع، لم يذكر هو شيئاً عنها في مذكراته ولا ذكر شيئاً للمقربين ولا لكتب عنها أحدهم، ولم يكتب عنها في جينه في صحف الإخوان، بل إن محمود عساف الذى حضر المقابلة - لم يكتب عنها سوى بعد إعلان الوثائق الأمريكية وإثارتها للاطلاع العام طبقاً لقانون تداول وحرية المعلومات - والواضح أن عساف كان يدفع عن نفسه تهمة، لذا ذكر أنه لم يحدث أى اتصال بينه وبين المسؤول بالسفارة بعد ذلك، ولا أى مسؤول آخر غيره.

(١) محمود عساف: ص ١٤.

(٢) نفس المرجع: نفس الصفحة.

ويمكن أن نضع هنا عدة ملاحظات أو تساؤلات:

أولاً: يشير ما دار في هذه المقابلة أمر بالغ الخطورة يتعلق ببيع المعلومات وتوظيفها، كانت الجماعة تزور بعضاً من أعضائها داخل الخلايا والتنظيرات الشيوعية، وهذا تم بعلم المرشد، وكانت هذه المعلومات تستخدم في أغراض عديدة، من بينها أنه كان يتم تقديمها لجهات الأمن في مصر، يقول عساف إنه زرع في عام ١٩٤٦م أحد المتعاطفين مع الإخوان بين اليساريين وكان يدفع له راتباً شهرياً قدره خمسة جنيهات، ولكن لتأمل كيف كان يتعامل مع المعلومات التي يقدمها ذلك العميل. «ما كان يصلح منها للنشر في مجلة الكشكول الجديد» (التي كنت صاحبها) نشرناه ومثال ذلك المسافر التي كانت تحدث في فيلاتهم بشارع القصر العيني ويجمع فيها الأولاد والبنات يسكرون ويعربدون»^(١). أي النشر بهدف الفضح والشهير، فضلاً عن تخويف الآخرين من هذه التجمعات، لكن هذه معلومات عامة، ووقائع قد تحدث من آخرين وبينهم، فالسكر والعريضة إن صحت لم تكن من صميم الفكر الاشتراكي، لكنها سلوك أخلاقي وأمور شخصية، يمكن أن تقع حتى من بعض الإخوان، وقد صدرت اتهامات أخطر من هذه بحق بعض الإخوان، مثل ما نسب إلى عبد الحكيم عابدين سكرتير الجماعة وزوج شقيقته حسن البناء وأحيل إلى التحقيق في فضائح أخلاقية مع بعض زوجات وبنات أعضاء من الجماعة وأدانه التحقيق، وتدخل حسن البناء في اللحظة الأخيرة ليمنع توقيع أي عقوبة على عابدين، بل ويلتمس له الأعذار والمبررات، واعتبر أن ما صدر من عابدين وقع منه هو من قبيل «اللمم»، وحدث أن ارتكب أحد الإخوان في معسكرات الجلالة فعلاً شامئاً، وتوقع الإخوان أن يفصله المرشد من الجماعة أو يوقع به عقاباً قاسياً، لكن المرشد اكتفى بأن فرض عليه صيام عدة أيام.

(١) راجع محمود عساف: ص ٢٢.

بقية المعلومات والأخبار التي كان يجيء بها هذا العميل كان عساف يتعامل معها على نحو آخر يقول «كنا نعرض ما يهم الدعوة منها على الإمام الشهيد، والباقي كنا نخطره به مدير الأمن العام فوكيل الداخلية المرحوم أحمد مرتضى المراغي، الذي حاول أن يعرف متى مصدرى في هذه الأخبار ولكن هيئات^(١)» أي أن الجماعة من البداية قررت أن تقوم بدور الأمن السياسي، تلقائياً، زرعوا العناصر داخل الجماعات الأخرى، ووظفوا العملاء ثم يمدون كبار المسؤولين بالداخلية بما يريدونه، ثم هاهم قرروا أن يصبح نشاطهم دولياً، ويقدموا المعلومات إلى السفارة الأمريكية بالقاهرة، وأن يدخلوا طرقاتاً في لعبة الحرب الباردة، مبكراً جداً، وبالتأكيد لن نساوى تماماً بين التعاون طوعية مع وزارة الداخلية المصرية والسفارة الأمريكية، لكن المعيار الأول عندهم ثابت وهو اختراق الآخرين والتجسس عليهم والمتاجرة بالمعلومات التي يتوصلون إليها، وإذا كان عساف يعترف بأنه كان يمد مدير الأمن العام ببعض المعلومات، ثم شرعوا في التعامل مع الولايات المتحدة، ترى أي الجهات الأخرى تعاملوا معها معلوماتياً أو مخبرياً؟!!

ثانياً: ما قام به محمود عساف واعترف المرشد الأول به من زراعة أعضاء داخل اليساريين والشيوعيين - هل يفسر ذلك ما كان يحدث من تحول بعض اليساريين عن الأفكار الاشتراكية والماركسية وينجهوا إلى التيارات الإسلامية وإلى الإخوان تحديداً؟ هل كان هؤلاء من أعضاء الإخوان أو المتعاطفين معهم، ثم زراعتهم في اليسار ثم حين يتم سجنهم بعد انتهاء مهامهم، يتم نقطة هذا الانسحاب بدعوى العودة ثانية إلى الإسلام، ومهاجمة اليسار وأفكاره؟

ثالثاً : يرتبط بذلك كله ما ورد في بعض تقارير السفارة البريطانية من أن التنظيم الخاص وأن البناء شكل جهاز مخبرات خاص، وأن هذا الجهاز يتجسس على

(١) د. محمود عساف: مع الإمام الشهيد حسن البنا، ص ٢٢.

المتأثرين للجماعة، وعلى كبار الشخصيات وعلى بعض السفارات الأجنبية، بل وعلى الحكومة المصرية نفسها، ولم يأخذ المراقبون الأمر بجديته، واعتبروه مبالغة من كمية التقارير بالسفارة البريطانية، لكن ها هو المرشد يعترف أمام مسؤول السفارة الأمريكية، وسكرتيره الخاص للمعلومات يؤكد، والواقع أن من يتابع عمليات الاغتيالات والأعمال الإرهابية التي قام بها التنظيم الخاص يدرك أن هناك جهوداً مخبرية مهمة، في الاجتماع الذي عرض فيه السندى اغتيال أحمد ماهر، كان من الواضح أن هناك من تابع موكب أحمد ماهر، ويعرف تحركه.. مكاناً وزماناً، ويعرف النقطة التي تتحرك فيها السيارة بيطة، وهي منطقة أذاك قريبة من الصحراء، أي يمكن الحرب منها بسهولة، وهكذا في بقية العمليات، أي أن هناك جهاز مخبرات بالفعل داخل الجماعة، أسسه حسن البنا بنفسه، وقد قدم محمود عساف في مذكراته تحت عنوان «الجواسيس» كيف كان البنا بوسائله يعرف أعضاء الجماعة الذين جندهم القلم السياسي لنقل معلومات عن الجماعة، وكان المرشد يحوّلهم إلى عملاء له داخل جهاز الأمن، فقد كان عساف يكتب الأخبار التي يريدون أن تصل إلى الأمن، ويذهب الجواسيس بها ليسلموها، وكان عساف يدفع لهم راتباً شهرياً مقابل ذلك، ولضمان الولاء التام، كان يراعى أن يكون هناك خبر أو أكثر مشترك بين أكثر من عميل كي يتأكد الأمن أن الخبر صحيح.

والحق : إن المرشد اصطحب معه المترجم ومدير إعلانات الصحيفة الخاصة بالجماعة، ومن الناحية المهنية في عالم الصحافة حين يذهب رئيس مجلس إدارة جريدة أو مالكها القلم إلى أحد المصادر ومعه مدير الإعلانات فهذا يعني أن هناك اتفاق أو رغبة في عقد صفقة إعلانية، بأي صيغة من الصيغ، قد تكون إعلان مباشر أو في حالة السفارات ومسؤوليها يكون الإعلان غير مباشر، أو ما يسمى إعلاناً غير مباشر، أو مواد صحافية تنشر وتقدم للقارئ على أنها مادة تحريرية ومهنية خاصة، بينما هي بالفعل إعلان مدفوع الثمن، وقد يكون المقابل هو التوقف عن مهاجمة أو انتقاد بلد السفارة

في الصحيفة أو أى وسيلة أخرى، المهم أن هناك اتفاق على أو سعى إلى الاتفاق على أموال سوف تدفعها السفارة.

خامساً: المرشد لا يمانع بالمرة أن يعمل أعضاء من الجماعة «عملاء» ويقدمون «معلومات» للسفارة الأمريكية مقابل أجر وأن يتم توظيفهم بمسمى «باحثين».

شرط أن لا يكون ذلك باتفاق رسمي مع الجماعة - أى أن تعامل كل من هؤلاء مع السفارة بشخصه، صحيح أن المرشد حاضراً في العملية، ويقف في الخلفية، لكن دون أن يترك بصمة تدل عليه وتشير إليه، وهنا يثور التساؤل ماذا لو ضبط أى من هؤلاء وانهم بالتجسس أو العمالة والتخابر مع سفارة أجنبية، ساعونها سوف تكون الجماعة خارج الاتهام، ويتحمل التهمة بالكامل الفرد ذاته، وبالتأكيد سوف تنبرأ منه الجماعة نهائياً، كما حدث مع قتلثة التفراشي، الذين قال فيهم المرشد ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين. هو اتجاه في الجماعة منذ حسن البنا إلى اليوم، الدفع بالشباب الصغار إلى الانتحار العملي، ويظل قادة الجماعة ومرشدها العام في صورة البريء... المترفع دائماً.

سادساً: إن المرشد في حديثه مع مسؤول السفارة الأمريكية استعمل المصطلحات السياسية الأمريكية، ولم يستعمل مصطلحاته هو ولا المصطلحات السائدة في مصر، فقد استعمل مصطلح «الشرق الأوسط» وهو مصطلح أرادت به أمريكا أن يكون بديلاً عن كلمة الشرق العربي أو كلمة العالم العربي أو الشرق الإسلامى وهكذا، كان مصطلح الشرق الأوسط يعنى أن تدخل الدولة الصهيونية التى كان يجرى العمل على تأسيسها في خريطة المنطقة بلا تعقيدات وبلا مصاعب، أما المصطلحات السائدة عندنا فكانوا يريدون استبعادها، والواضح أن المرشد لم ينتبه جيداً أو استعملها عابراً وربما مجازاً للمسؤول الأمريكى وليبدو «ودوداً» معهم كما كان يقال عنه.

سابعاً: استعمل المرشد الفكرة التى كان يروج لها الأمريكيون ، وكانت في طريقها للبروز في عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية والحرب الباردة وهى أن الشيوعية

خطر داهم على جميع شعوب الشرق الأوسط، وأنها تسبق ما عداها من أخطار ومشكلات، والحقيقة أن الشيوعية لم تكن وقتها خطرًا داهمًا على مصر ولا على البلاد العربية، رآها الدبلوماسيون الأمريكيون خطرًا على نفوذهم الذي كان يسعى إلى التمدد في المنطقة وفي العالم لكنها لم تكن خطرًا علينا، كان الخطر الأهم بالنسبة إلى مصر هو الاحتلال البريطاني الذي ظل جاسيًا على مصر والمصريين، وكان الخطر هو التفكر والجهل والمرض، وكان الخطر كذلك إعادة رسم خرائط بلاد المنطقة وفق النظام العالمي الذي تقوده الولايات المتحدة، وقد ثبت فيها بعد أن الشيوعية لم تكن خطرًا حتى على الولايات المتحدة نفسها، فقد سقط الاتحاد السوفيتي وحده.. تلقائياً سنة ١٩٩٠م، دون حرب ودون طلقة رصاص واحدة، سقط بفعل عوامل تأكل داخلية. لكن المرشد كان يريد أن يلعب على الأرضية الأمريكية بأفكارها ومصطلحاتها وكذلك بآلياتها وبأموالها.

ثامناً: أن يتجه المرشد إلى زرع عناصره داخل الجماعات الأخرى، أيما كان الخلاف الأيديولوجي معها، يؤكد أن المرشد لم يكن يؤمن بالحوار الفكري والجدل بين التيارات، وتبادل الأفكار والآراء اتفاقاً واختلافًا، ومن ثم لا يؤمن بالتداول بل يؤمن بالعمل التحتي والسري وأكاد أقول «العمل القذر» ضد الخصوم والذي لا يتردد في الوشاية بهم لدى أجهزة الأمن، بل ولدى السفارات الأجنبية. وهذا يعني اغتيالاً معنوياً تاماً ومن ثم يصبح الاغتيال المادي والجسماني شيئاً عادياً ولا غضاضة فيه لديه، طالما أنه سيزيح الخصم من أمامه.. هاجمه الشيوعيون فيمض إليهم بالجواسيس ليظهر بهم ويبلغ عنهم أجهزة الأمن والسفارة الأمريكية. ولا يتردد أن يطلب مقابلاً مالياً لحواء العملاء يدفع لهم، وأن يسموا «باحثين» للنفطية، فهنا يعني أنه يجعل من رجاله هؤلاء، مجرد جواسيس وعملاء ومرترقة لدى دولة أجنبية، على مواطنين مصريين من أبناء وطنهم، فقط يخنقون معهم في الأفكار والتوجهات.

تاسفًا. التساؤل الأهم.. هل أحاط البنا أى جهة مصرية علانيًا بما يعرضه على السفارة الأمريكية؟ نعرف أنه لم يكن هناك وقتها جهاز غابريات في مصر، لكن كان هناك الأمن السياسى وكان هناك الديوان الملكى، هل أحاطهم علانيًا - هل استأذن - هل نسق معهم؟ الواضح أنه لم يفعل، وهى بمعيار اليوم قضية تخابر وجاسوسية باعيازا، وجرت العادة أن تسعى السفارات الأجنبية أو أحد رجالها إلى المواطنين تطلب منهم معلومات أو تجندهم، أما أن يحدث العكس ويتقدم المرشد للسفارة بتقديم عناصر يتولى هو تجنيدها وتدريبها، ويتولون هم التمويل فهو المفاجأة الحقيقية.

وقدم المرشد للمسؤول الأمريكى الإطار أو الغطاء الذى يمكن أن يعمل من خلاله هؤلاء المجندون أو الباحثون، وهو إنشاء مكتب مستقل مشترك بين الجماعة والحكومة الأمريكية لمحاربة الشيوعية.

عاشراً: طلب حسن البنا استثناء واحدًا وهو «أمريكا تؤيد حاليًا الأهداف الصهيونية. ولذلك يجب أن يكون للإخوان حق الاعتراض على أمريكا في هذه النقطة». أى مجرد اعتراض فقط، أما صور التعاون المشترك فستستمر ولن تتأثر بذلك، هو اعتراض لحفظ ماء الوجه، أو كما يقال اعتراض للاستهلاك المحلى..

وجاء دور المسؤول الأمريكى في الحديث، وقد فهم أن المكتب المقترح ستتولى الولايات المتحدة تمويله بالكامل، ولم يبد حماسًا للموضوع، ووضع عددًا من التحفظات، وبدوا أن المرشد شعر أنه اندفع بأكثر من اللازم أو «انزلق» كما يقول التعبير المصرى؛ لذا أراد وضع النقاط على الحروف، لكنها جاءت بطريقة مكشوفة زادت أمره صعوبة، إذ قال «الجماعة لا ترغب في الحصول على سنت واحد من المال الأمريكى وسيكون المشروع بأكمله في يد السفارة الأمريكية، ويسعد الإخوان إعداد السفارة بالأشخاص المناسبين بالقدر الذى نراه السفارة ضروريًا».

وبعد أن استمع المسؤول الأمريكي لكل ما أورده المرشد استفسر كما يخلو له، فجاهه برأيه وهو رفض كل ما عرضه المرشد، ولم يجعل الرفض من جانبه هو، فقال «لن ترحب الحكومة الأمريكية بمثل هذا العرض: إن معوناتنا لا تقدم للمنظمات الخاصة أو المنظمات شبه العلنية. إنها تقدم فقط للحكومات كما هي الحال بالنسبة إلى اليونان وتركيا».

لم يفقد المرشد الأمل وأثبت أنه مفاوض لحوج وعنيد، إذ قال «لا أريد إجابة ولكن أرحب فقط في عرض الفكرة، ويجري محمود عساف معك محادثات تفصيلية»^(١). أي أنه لا يكتفى برأى المسؤول، يريد أن يبعث بالفكرة إلى واشنطن وينتظر الرد منها، والمعنى أنه يتوقع كلاً ما آخر من واشنطن وحدد له اسم ضابط الاتصال الذي سيتابع معه..

في اليوم التالي لهذا الاجتماع نشرت جريدة الإخوان مقالاً بتوقيع «عمر عزيمى» حول أمريكا والعالم العربي، فيه انتقاد لنظام الحياة والمجتمع الأمريكي، جاء فيه: «الشعب الأمريكي خليط من مختلف الأعناس التي هجرت أوطانها واتخذت من أمريكا وطناً لها. وهؤلاء المهاجرون ماديون بنشأهم، أنانيون بطبعهم لا يهتمهم من الحياة إلا التفتيح عن الذهب واتخاذ دولارات منه يضررون بها العالم».. ويبدو أن رئيس تحرير الجريدة لم يكن يعلم بالخطوات السرية التي يقوم بها المرشد، وربما كما ذهب أحد المؤرخين، أراد حسن البنا بهذا أن يضعف على المسؤول الأمريكي، ويظهر لهم إمكانية مضايقتهم والشهير بهم^(٢).. المهم جرى لقاء بعد ذلك بين البنا وفيليب إيرلاند، كان إيرلاند في زيارة صديق، وبينما هما يجلسان دخل حسن البنا ليزور نفس الصديق، ترى هل كانت تلك الزيارة مدبرة؟ هل علم بها البنا فأراد أن يلتقي المسؤول الأمريكي (مصادقة) ليسمع منه؟ هل خجل أن يعاود طلب اللقاء بعد ما

(١) حول هذا اللقاء راجع محسن محمد: من قتل حسن البنا؟، صفحة ٢١٧، ٢١٣.

(٢) د. رفعت السيد: حسن البنا الشيخ المسلح، ص ٢١١.

سمع منه؟ هل استبطأ الرد الذي توقعه أو انتظره من واشنطن؟ هل أراد أن يعرف على رد فعل السفارة على المقال؟! هل أراد المرشد أن يقول لرجل السفارة إنه قادر على مضابقتهم وخلق صعوبات أمامهم؟ عبر إيرلاند للينا عن دهشته الشديدة من أنه عرض عليه «بذل جهود مشتركة بين الإخوان والسفارة» وفي اليوم التالي مباشرة يقرأ مقالاً فيه انتقاد لبلاده وللشعب الأمريكي.. البنا من جانبه حاول التهورين من المقال وقال إنه جاء نتيجة الغضب الذي يحسه الإخوان تجاه سياسة أمريكا في فلسطين.. وقال مطمئناً أو ملوئاً للمسؤول «أترك مثل هذه الأمور لرئيس تحرير الصحيفة وربما سيحل محله شخص آخر. وأمل ألا يؤثر هذا الحادث على اقتراحاتي».

إلى هذه الدرجة كان الرجل مستعداً لترضية السفارة، وهو التلويح بعزل رئيس التحرير نهائياً، والمجيء بآخر... لكن المهم أن يؤخذ الم شروع الذي اقترحه بجدية، المسؤول الأمريكي من جانبه كان محمداً وواضحاً هذه المرة إذ قال: من الصعب اتخاذ إجراءات عملية!

ورغم أن عساف والخلوجي ترددا على المسؤول الأمريكي فيما بعد، لكن يبدو أن الخيط لم ينقطع، فقد سافر فيها بعد - بعد رحيل حسن البنا - سعيد رمضان إلى الولايات المتحدة بتوصية من السفير الأمريكي كافري والتقاء الرئيس الأمريكي في حديقة البيت الأبيض.

ويجب القول إن حسن البنا لم يكن وحده الذي فكر في التعامل مع الأمريكان، في رئيس الوزراء النقراشي باشا كان في مجلس الأمن في تلك الفترة يعرض القضية المصرية، واستغل وجوده في الولايات المتحدة والنقى وزير الخارجية الأمريكي جورج مارشال والرئيس هاري ترومان، حمل النقراشي رسالة محددة إلى وزير الخارجية تقول «الدين الإسلامي يتعارض مع الشيوعية، ولكن استمرار بقاء القوات البريطانية في مصر يثير استياء شعبنا ويوفر أرضاً خصبة للتسلل الشيوعي»

وقال أيضاً «إذا لم تعامل الولايات المتحدة مصر باعتبارها دولة مستقلة فإن التأيد المصري للدول الديمقراطية لن يكون متوقفاً»^(١). وطلب النقراشي مساعدات أمريكية لمصر اقتصادية وعسكرية، ولم تتم الاستجابة لمطالبه.

النقراشي كان يريد تخويف الولايات المتحدة من انتشار الشيوعية كي تساعد في الضغط على بريطانيا لتخرج من مصر، لكن البنا عرض تجنيد عملاء وجمع معلومات عن الشيوعيين في مصر وتقديمها للسفارة الأمريكية.. فضلاً عن ذلك كان النقراشي رئيس وزراء، وتفاوض علناً مع وزير الخارجية والرئيس الأمريكي وليس مع مسؤول في السفارة الأمريكية وبطريقة سرية، باختصار كان التعامل مع الولايات المتحدة - هنا - يسير عبر القنوات الشرعية، علاقة دولة بدولة أخرى، أما البنا فأرادها علاقة تحتية ومخابراتية.

انجاء حسن البنا إلى السفارة الأمريكية لم يكن من فراغ ولم يكن البداية، ولتذكر مجدداً وبإلحاح - قول هيرمان آيلتس إن هناك مسؤولاً بالسفارة كان يلتقي البنا بانتظام، لكننا في نهاية يناير ١٩٤٧م نجد مجلة الإخوان المسلمين تنشر في عديد من متالين ما سمته «حديث خطير لفضيلة المرشد مع مستر سينسر المراسل الحربي الأمريكي»^(٢).

قالت المجلة إن المراسل «قضى جلسة طويلة مع فضيلة المرشد العام تحدثاً خلالها في كثير من الموضوعات التي تشغل الرأي العام العربي والإسلامي وبحث بها إلى صحف بلاده». وقالت المجلة «قد تمكنا من الحصول على صورة من هذا الحديث الشائق القيم». وهذا التقديم يثير العديد من التساؤلات، منها أن المراسل العسكري

(١) راجع في ذلك: محسن محمد، من قتل حسن البنا؟، ص ٢١٠.

(٢) مجلة الإخوان، عدد ٢٦ يناير، وعدد ٢ فبراير.

له اختصاص معين، وهو اللقاء بالشخصيات العسكرية، وتناول قضايا الحروب والجيش، وليس موضوعات سياسية، وقالت المجلة إن المراسل دفع بالحديث «إلى صفح بلاده» ولا يوجد مراسل هكذا يبعث بحديث إلى صفح بلاده، بل عادة يرسل صحيفة بعينها وباسمها، أما متن الحديث فلا تعرف من ترجمه إلى العربية، وهل هي ترجمة بصرف أم ترجمة حروفية، ولا ندرى هل نشر هذا الحديث هناك ولستنا متأكدين هل كان مراسلاً بالفعل، أم شخصاً له هوية وصفة أخرى وجاء بالانطواء الصحافي فقط، ومن ثم لا يكون الحوار صحافياً، بل أي شيء آخر، لأننا نلاحظ أن إجابة السؤال الأول استغرقت صفحتين وعمودين بالمجلة، وهذا صعب صحافياً، خاصة في الصحافة الأمريكية، الأمر الذي يدعونا إلى الاعتقاد أنها كانت جلسة عادية، جرى تحويلها إلى سؤال وجواب عند الصياغة والتحرير.

النص المنشور في المجلة يختلف كثيراً عما دار في جلسات المسؤول الأمريكي، هناك كانت جلسة سرية أما في الحديث فهناك الكلام العلني، ومع ذلك ففي الحوار المنشور كلمات وأفكار يجب التوقف أمامها لأنها ترضى الذوق والثقافة الغربية والأمريكية تحديداً، يقول المرشد «الشرق الأوسط بطبيعة كونه مهبط الأديان ومقر الفلاسفات ديمقراطي بطبعه ودقيق الإحساس وخيالي...» ويقول أيضاً «نحب أن نقرر أنه لا يوجد بين الأمم الإسلامية من يفكر في استخدام الأديان للشعوب ضد مدينة العالم (...) ولكن إذا صح أن روسيا ستجند من أوروبا والبلقان مجموعات تحت سلطانها وأنها ستقوم بيلسقة الدول الأخرى، وفي فرنسا وإيطاليا وأسبانيا مثلاً أحزاب شيوعية قوية. وإذا علمنا أن إنجلترا بعيدة عن القارة الأوروبية وأن أمريكا أبعد منها، إذا صح هذا فمن يقوم بحفظ التوازن الدولي إزاء هذا التجنيد الروسي؟» ولنالاحظ أن الدعاية الروسية محبوبة ومنظمة ويساعد على انتشارها الفقر والظلم المجبان على شعوب الشرق الأوسط، لذلك كان تباطؤ إنجلترا في السماح لهذا الشرق أن ينهض، ليس في صالح العالم، وقد أصبحت روسيا مناخلة له من جهات كثيرة».

في سؤال مهم حول: هل العقيدة الدينية تكفي لمقاومة الثورة البلشفية وحدها بدون عمل سياسي أو عسكري من الخارج؟ يقول البنا «أحب أن يفهم الغربيون أنه إذا أعطيت الحريات لدول الشرق بواسطة الدول الغربية لا غيرها فسوف لا تستغنى هذه الدول عن الغرب في تقوية كيانه، فمن الممكن بإرشاد الدول الغربية أن تتكون جيوش عملية وصناعات عسكرية تتمكن من صد تيار الثورة مؤقتاً حتى يقوم الغربيون بإرسال المدد بمقتضى تحالفات من الممكن عقدها..» وهذه بالذات هي التي دارت حولها المعارك بعد الاستقلال، أي سياسة الأحلاف، فقد رفضتها مصر في الخمسينيات.

ويسأله المراسل عن وضع الأقليات غير المسلمة، وهل يلزمون بدفع الجزية؟ فيرد قائلاً: «إن نظرة الإسلام الأساسية العملية في هذا الموضوع هي نظرة التسامح الكامل والوحدة الكاملة، والرسول عليه الصلاة والسلام أقر المصالحة الوطنية كرباط متين، فقد تحالف مع اليهود في سبيل الدفاع عن المدينة المنورة». وهذا القول مناقض تماماً لحديثه عن الجزية ودفاعه عنها في إحدى رسائله التي صدرت في نفس السنة ١٩٤٧ م.

سوف نلاحظ في الإجابات كلها أنه ينسب الأمريكيين إلى مخاطر الشيوعية وطرق توحيدها ومقاومتها، ويتحدث عن نظرة ورؤية شعوب المنطقة للبلشفية والشيوعية، ولم يذكر شيئاً عن موقف أمريكا مما كان يجري في فلسطين وقتها، لا كلمة تصريحاً أو تلميحاً، وكان الخطر الأوحى على المنطقة هو الاقتراب السوفيتي منها.

نرى هل بسبب هذا الحديث وما أعلن فيه، كان يصبر على أن يحمل سكرتير أول السفارة الأمريكية اقتراحه بتشكيل مكتب لمكافحة الشيوعية إلى واشنطن ولا يتعجل ذلك المسؤول بإبداء الرأي والحكم.. هل كان على يقين أن هناك في الداخل الأمريكي، من يمكن أن يستمع إليه، أم أنه كانت هناك قنوات أخرى له مع الولايات المتحدة لا يعلم عنها مسؤول السفارة شيئاً؟ ربما..

القصر السلطاني

حسن البناء والملك فاروق

من يقرأ «مذكرات الدعوة والداعية» في طبعتها الأولى الصادرة عقب اغتيال حسن البناء، يجد اختلافاً بين تلك الطبعة التي صدرت عن «دار الكتاب العربي بمصر» وبقية الطبعات التي ظهرت بعد ذلك، وهي الطبعات المتداولة بين أيدينا وقرأتها الأجيال الأخيرة.. ولن نتوقف عند كلمة حذف هنا أو هناك، أو تعديلات في جملة أو أكثر، فهذه يمكن أن تدخل في باب «الراجعة» أو تعديل الصياغة، رغم أن أحد هذه التعديلات يقلب المعنى تماماً. لكن هناك جزءاً بأكمله محذوف، وهو الجزء الذي يقع في الطبعة الأولى بين صفحتي ٢٥١-٢٥٥، ويحمل عنوان «المؤتمر الرابع للإخوان والاحتفال بحضور جلالة الملك وتسليمه مقاليد الأمور». ويتضمن دور الإخوان في استقبال الملك فاروق في عودته من لندن عقب وفاة والده الملك فؤاد، ويبدأ هذا الجزء بما يلي «وقد رأى الإخوان بمناسبة حضور جلالة الملك فاروق من الإسكندرية ومباشرته سلطته أن يحتفلوا بهذه المناسبة وأن يعقدوا مؤتمرهم الرابع بالقاهرة، فأصدر المكتب النشرة الآتية: قرر مكتب الإرشاد العام للإخوان المسلمين الاحتفال بحضور جلالة مولانا الملك المعظم فاروق الأول وتسليمه مهام ملكه السعيد وتقديم فروض التهئة والولاء بهذه المناسبة الميمونة. وتألفت لجنة من حضرات...». وتذكر النشرة أسماء أعضاء اللجنة، وتجدد من بينهم «الأستاذ عمر التلمساني المحامي بشبين القناطر ومنسوب الإخوان بها». وهو الاسم قبل الأخير بأعضاء اللجنة.. ثم يتوالى وصف الاحتفال الذي قام به الإخوان والدور الذي لعبوه في استقبال جلالة الملك، وتنقل المذكرات ذلك الوصف عن مجلة الإخوان، وكان

معنوان «احشد لم يسبق له نظير في تاريخ مصر الحديثة» وبين الوصف نجد فقر؛
معنوان «في ساحة عابدين». وفيها بالحرف الواحد «كنت لا تجد في ساحة عابدين
موضعاً لقدم من شدة الزحام وكنت لا تكاد تسمع محدثاً لك من الهتاف الذي يتردد
في صده الأثير. وهكذا انتظم الإخوان على باب القصر رافعين أعلامهم يهتفون (الله
أكبر الله أكبر) - الإخوان المسلمون يبايعون الملك المعظم». وكانت مدرسة النيل
الثانوية بيشبرا قد خصصت لتكون مقراً لاجتماع الإخوان ويتطلقون منها نحو
الترحيب بجلالة «الملك المعظم».

عند عودته من لندن وجد استقبالاً حافلاً في الإسكندرية وعلى طول الطريق
بالقطار من الإسكندرية إلى القاهرة، وكان على ماهر رئيس الوزراء ومعه شريف
صبرى خال الملك ووكيل وزارة الخارجية قد تدخلوا في إعداد ترتيبات الاستقبال
والترحيب بالملك، ومع ذلك فقد فاق الاستقبال كل توقع، وقد رأى السفير
البريطاني مايلز لامبسون من أن ذلك الاستقبال يدل على «امتزاج الشعب بالعرش»^(١).
ورصد لامبسون الهتافات التي كانت تقال ترحيباً بالملك ورأى أنها فاقت الهتافات
المماثلة لسعد زغلول حين عودته من المنفى، وأنها كانت نابعة من القلوب^(٢).

وكانت مشاركة الإخوان في هذا الاستقبال باعتبارهم جزءاً من الشعب ومن
المواطنين المصريين، وربما وجدها حسن البنا فرصة أن يدفع بجماعته خطوة نحو
القصر الملكي ونحو على ماهر رئيس الوزراء، والسياسة المصرية عموماً في مستوياتها
العليا، فضلاً عن أن مثل هذه المشاركة تجعل أجهزة الدولة أكثر اطمئناناً للجماعة
وثقة بها.. وها قد وجدنا مدرسة شبرا الثانوية تنفتح أبوابها كي تكون مركز تجمع
للإخوان القادمين من خارج القاهرة. للمشاركة في الاستقبال الملكي.

(١) راجع تفاصيل ذلك في د. لطيفة سالم: فاروق من الميلاد إلى الرحيل، ص ٢٤، دار الشروق، الطبعة
الأولى، سنة ٢٠٠٥م.

إما كان الأمر لم يكن في استقبال الملك فاروق سنة ١٩٣٦م عملاً مشيناً كي يتم حذفه من المذكرات، غير أن الذى حذف كان ينظر إلى الملك بعين لحظة النهاية والسقوط عن العرش.

وبصيح التساؤل هو: لماذا حذف ذلك الجزء من المذكرات.. ومن الذى حذفه؟ ويجب القول إن المذكرات بها كلمات في مديح الملك فؤاد ولم تحذف، رغم أن فؤاد كان ملكاً طاغية ومستبداً. ترى هل حذف ذلك الجزء، حتى لا تتلطح سمعة الإخوان وحسن البناء تحديداً من جراء علاقتهم ومبايعتهم للملك فاروق، الذى أنقضى عن عرش مصر، وساهموا هم في ذلك الإقصاء، أم حذف ذلك الجزء بسبب ورود اسم عمر التلمسانى المرشد الثالث والذى كان يجرى تقديمه باعتباره ضحية الظلم والقهر السياسى؟ وكان ضرورياً حذف صفحة الخفاف للملك من تاريخه وحياته، وفي عهد ذلك المرشد بدأت طباعة تلك المذكرات سنة ١٩٧٦م، ولم تكن تطبع من قبل وعادت الجماعة لتعمل على السطح وتنتشر في المجتمع بسماح رسمي من الدول ومن الرئيس السادات شخصياً.

عموماً يثير هذا الجزء المحذوف، أمر هذه المذكرات، فهى صدرت سنة ١٩٥٠م، أى بعد اغتيال حسن البناء، وسوف نلاحظ أن الصفحة الأخيرة من المذكرات تحمل توقيع «حسن البناء.. المرشد العام للإخوان المسلمين» ويرد بعدها ما يلى «انتهت مذكرات الدعوة والداعية فحمداً لله وشكراً على ما وفقنا إليه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين»، ترى هل هذه الجملة والدعاء من وضع حسن البناء أو من القائمين على إصدار المذكرات؟ ولكن الثابت أن فصول هذه المذكرات نشرها البناء قبل ذلك في مجلته، يمكن أن تقرأ بعض فصولها في مجلة الإخوان المسلمين سنة ١٩٤٣م، وكانت بعنوان «من مذكراتى». وكان الأنسب أن تطبع بهذا العنوان، وليس بعنوانها الحالى، فضلاً عن أن العنوان «الدعوة والداعية» أقل مما كان البناء يرى نفسه به، في الواقع هو في السنوات الأخيرة

لم يكن يرى نفسه داعية، ربما كان ذلك في البداية، لكنه منذ سنة ١٩٣٨م أخذ نفسه والجماعة إلى طريق أو لنقل مستنقع لم يتمكن من الخروج منه، ولا الجماعة كذلك.. مستنقع المناورات السياسية.

الأمر الآخر الذي يعتبره هذا الجزء المحذوف، هو علاقة حسن البنا بالملك فاروق، وقد يتصور البعض أو يرى أن الاختلاف للملك والترحيب به وصايمته حين تولى العرش مرتبط بتلك اللحظة حيث ساد التفاؤل بالملك، وهي لحظة تختلف عن مسار الملك فيها بعد. والواقع أن مراجعتنا لمجلة الإخوان تكشف أن تعامل حسن البنا والجماعة مع الملك لم يتغير بعد ذلك، نعرف أن حسن البنا سعى عبر يوسف رشاد وأثور السادات، للقاء الملك فاروق، وقت أن كان السادات ضمن «الطرس الحديدى» الذى أشرف عليه يوسف رشاد للتخلص من خصوم الملك، ولم يوافق الملك على أن يلتقى يوسف رشاد مع البنا.. ومراجعة مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية، نجد أن صورة جلالة الملك كانت الأكثر نشرًا على غلاف المجلة.. ولم يكن يتنافس في ذلك سوى الملك عبد العزيز آل سعود وأفراد أسرته، والحققة أن مجلة الإخوان كانت كريمة مع الملوك العرب جميعًا.

كان الملك فاروق موضع تفاؤل كثير من المصريين في بداية حكمه، وارتفع التعاطف معه إلى عنان السماء مع حادث ٤ فبراير ١٩٤٢م، ولكن بعد ذلك، أخذت شعبيته في التدهور، خاصة في أواخر الأربعينيات، لكن صورته لم تتغير عند حسن البنا وجماعته، أو هكذا ما تكشفه مجلة الإخوان، التى كان يرأس تحريرها صالح المشاوى وكان وكيلًا للجماعة، أى الرجل الثانى بعد المرشد، وكانت خطب وأحاديث المرشد وصوره تملأ المجلة، ولم يخل عدد من حديث له أو مقال.. فضلًا عن أخباره وتحركاته.. وهذا يعنى أن السياسة التحريرية للمجلة لم تكن تخرج عما يريده، وأنه كان راضيًا عنها.

ولم تكن المجلة تكفي بتأييد الملك والدفاع عنه، فهذا في النهاية حقها وحق الجماعة، وتلك سياستها ومتهجها، لكنها كانت تلوم الآخرين وتنتقدهم لأنهم لا يفعلون مثلاً، وهذا الانتقاد يرقى إلى أن يكون في بعض المواقع ابتزازاً سياسياً أو بلاغاً رسمياً عنهم... ونجد ذلك واضحاً عندما وقع حادث القصاصين للملك فاروق في أثناء الحرب العالمية الثانية، كان الملك ينطلق مسرعاً بسيارته كعادته، فظهر له في الطريق «لورى» تابع للجيش الإنجليزي واصطدم بالسيارة، وترتب عليها إصابة الملك في عموده الفقري، وتقدم حسن البنا وقفاً من الجماعة ليهنئ الملك بالشفاء، ونشرت المجلة خبراً بعنوان «وقد الإخوان في القصاصين» تنقله بالحرف الواحد «لطف المولى القدير بملك البلاد في هذه الحادثة التي هزت الشعب وآثارت عواطف ولائه الكامنة، ولقد كان الإخوان المسلمون في طليعة الوافدين إلى القصاصين مكان التصادم الأليم، فذهب فضيلة المرشد العام على رأس وفد من المركز العام كما ذهبت الوفود تترى من شعب الأقاليم والمواصم ومن فرق الجواله يمدوهم جميعاً شموورهم نحو ملك البلاد حفظه الله وعجل له بالشفاء وسرعة الشفاء ونحن نعجب على الصحف تغافلها عن تسجيل هذا المظهر الطيبي الذي تشترك فيه كل طبقات الأمة».

★★★

وأريد أن نتوقف هنا عند أعداد المجلة سنة ١٩٤٨م، وهو عام حاسم بالنسبة إلى الملك فاروق، فقد بلغ اليأس بالناس مداه منه وبدأ الحديث بصوت مرتفع عن القتل الذي لحق بنا في فلسطين وتدهور الأوضاع الداخلية، وتفاقم ما اصطالح على سببه بالوث الفقر والجهل والمرض... لكن على صفحات وغلاف مجلة الإخوان كان الأمر مختلفاً تماماً.

عدد السبت ٧ فبراير ١٩٤٨م نجد صورة الملك فاروق على الغلاف ومكتوب تحته «جلالة ملك الودى بمناسبة عيد ميلاده السعيد» (١١ فبراير).

- عدد أول مايو ١٩٤٨م صورة خمسة من الحكام العرب، في الأعلى صورة الملك عبد العزيز ابن سعود، وصورة الملك فاروق.. والملك عبد الله ملك الأردن والرئيس شكري القوتلي والرئيس اللبناني ومكتوب هذا المانشيت «ملوك ورؤساء جمهوريات الدول العربية الذين تتعلق بهم آمال الشعوب العربية اليوم».

- عدد ١٥ مايو صورة ملك الأردن ثملأ الغلاف والمانشيت «حضرة صاحب الجلالة الملك عبد الله ..».

- عدد ٢٢ مايو صورة ضخمة للملك فاروق، والمانشيت «صاحب الجلالة الملك المعظم فاروق الأول بمناسبة انتصار جنوده المظفرين في فلسطين». وهذا المانشيت يستحق التوقف عنده، فسيقول الإخوان نقيضه تمامًا بعد خلع الملك فاروق.

- عدد ٢٦ يونيه ١٩٤٨م صورة للملك فاروق مع الملك عبد الله والمانشيت «حضرة صاحب الجلالة الفاروق ملك وادي النيل يستقبل ضيفه العظيم الملك عبد الله بن الحسين».

- عدد ١٠ يوليو ١٩٤٨م صورة للملك عبد العزيز مع الملك عبد الله والمانشيت «حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز بن سعود مع ضيفه العظيم حضرة صاحب الجلالة الملك عبد الله بن الحسين..» وكان الملك عبد الله قد زار المملكة العربية السعودية.

هذه فقط عينة من صور الغلاف، ولن نجد فيها كلمة واحدة عن ضياع فلسطين ولا عن تخاذل الملك ولا عن فساد وحاشيته والأسلحة الفاسدة، وكل ما رده الإخوان عن جلالة الملك فاروق بعد ذلك، وما زالوا يلوكونه إلى اليوم في أحاديثهم وفي كتبهم ويرده خطبائهم على منابر المساجد والزاويا حتى يومنا هذا.

قبل ذلك وفي عام ١٩٤٧م، نجد غلاف المجلة عدد ٨ فبراير صورة الملك والمانشيت «بمناسبة العيد الملكي السعيد»، وكانت هناك صورتان محجوزتان سنويًا

على غلاف المجلة للملك، الأولى في عيد ميلاده أو ما كانت تسميه المجلة «العيد الملكي السعيد»، والثانية في عيد جلوسه على العرش.

- عدد ١٥ مارس ١٩٤٧م نجد الصفحة الثانية من العدد مجموعة من الصور يعتبر أن «الأسبوع في صور» ومعظمها صور الملك فاروق، ونحركاته العادية خلال الأسبوع.

- وفي شهر مايو ١٩٤٧م نجد عدد ٤ مايو وعلى غلافه صورة للملك والمائنتيت «جلالة الملك يشرف حفل افتتاح نادي المعلمين».

- عدد ١١ مايو (العدد التالي مباشرة) صورة الملك والمائنتيت «في عيد الخلوس الملكي السعيد».

- عدد ١٨ أكتوبر ١٩٤٧م على الغلاف مانشتيت «حاة المروية» وصور كل من الملك فاروق والملك عبد الله والرئيس بشارة الخوري والملك عبد العزيز بن سعود والملك فيصل ملك العراق والرئيس السوري شكري القوتلي وإمام اليمن الإمام

يحيى

وكانت مجلة الإخوان تخرص طوال الوقت على أن تقدم صورة الملك للشعب ليس باعتباره الملك الوطني فقط، بل قبل ذلك الملك المتدين، ففي عدد ٢٧ يوليو ١٩٤٦م نجد صورة مسجد عملاً الغلاف وتحته عبارة «مسجد فاروق الأول يرأس البراء ويدها مباشرة في عدد ١٠ أغسطس ١٩٤٦م نجد صورة الملك وهو يجلس في خشوع والمائنتيت يقول «صاحب الجلالة الملك يستمع إلى آتي الذكر الحكيم في قصر رأس التين العامر» الطريف أن تلك الفقرة هي التي شهدت حديثاً في الشارع عن سهرات الملك فاروق المأجحة ولعب القمار. كانت المجلة ومعها الجماعة تنطع لتقديم الصورة المناقضة لما هو سائد؟ كان الملك فاروق في مرحلة التدهور الشديد.

سواء في حياته الخاصة وسلوكه الشخصي، أو في إدارته لشؤون البلاد، لكن المجلة التي برعاها حسن البنا كانت تقدم العكس.

وبمراجعة المجلات السياسية لذلك العصر مثل المصور وروز اليوسف وآخر ساعة، لن نجد الملك فاروق احتل أغلبها على هذا النحو الذي نجده في مجلة الإخوان، وأظهر أنه لا بد من التساؤل بعد ذلك عن مصدر التمويل، خاصة إذا وجدنا أن مجلة الإخوان كانت أقل المجلات تنشر بها إعلانات، وهناك أعداد كاملة لم يكن ينشر بها إعلان واحد، ورغم ذلك كانت المجلة تطبع على ورق ملون، وكانت تطبع على ورق الكتب وليس ورق المجلات بما يعني أن التكلفة كانت أعلى بكثير من المجلات الأخرى.

لم يكن الأمر قاصراً على صورة الغلاف، ومن الناحية الصحافية فإن صورة الغلاف يجب أن يصاحبها مادة داخل العدد، وتكون - غالباً - هي الأهم، وتكون إدارة تحرير المجلة حريصة على إبرازها، وهكذا مع كل صورة للملك على الغلاف. كنا نجد عموداً أو مقالاً مطولاً، أو حتى كلمة قصيرة داخل العدد، وقد تكون بلا توقيع تعبيراً عن المجلة كلها وأحياناً يوقعها أحد كتاب المجلة، ففى سنة ١٩٤٥م نجد مقالاً على صفحة ٢ بالعدد، بعنوان «عيد الملك عيد الشعب» ويحمل توقيع محمد عثمان نجاني، وهو - فيما بعد - أستاذ علم النفس - يقول فيه «وليس بغريب أن يحب الشعب المصرى ملكه هذا الحب الذى لم يحبه شعب ملك من قبل. فقد كان مولده بداية عهد جديد لمصر وكان مشرق طلعت به بشر خير وسعادة للشرق الإسلامى جميعه وكان الله سبحانه وتعالى قد ربط مصير الأمة بمصيره. وكان إرادته شاءت أن تجعل من شباب القاروق معيناً يحدد فى الأمة شبابها». وكانت المجلة ومن ثم الجماعة اهتمت بعيد ميلاد الملك بشكل خاص سنة ١٩٤٥م، لأن الملك كان قد أتم ٢٥ عامًا «من عمره المديد إن شاء الله» كما قال نجاني.

وإذا كانت جماعة الإخوان حذفت من مذكرات حسن البنا ما يتعلق بترجييه «المليك العظيم» حين تولى العرش، فلن يكون بمقدورهم أن يخدعوا من المجلة ما يحدث به البنا إلى الملك أو عنه.. وسوف نكتفى هنا بتموجين، أظن أن كل منها حال.. ففى مطلع سنة ١٩٤٥م زار الملك فاروق للمرة الأولى المملكة العربية السعودية والتقى بجلالة الملك عبد العزيز الذى سعد به وصعد إليه على البيخت الخاص بالملك والذى سافر فيه عبر البحر الأحمر واستمرت الزيارة عشرة أيام، وكانت زيارة ناجحة غامًا، وقد أرسل المرشد بوقية إلى القصر الملكى بعد عودة الملك.. هذا نصها «حضرة صاحب المقام الرفيع رئيس الديوان العالى:

أرجو أن ترفعوا إلى سدة المليك المحبوب أخلص آيات النيهة والتبريك لسلامة العودة من الأرض المقدسة وكمال التوفيق فى توثيق روابط المودة بين مصر وجاراتها العزيزة مع أسمى آيات الولاء والإخلاص، والله نسأل أن يعز الإسلام والعروبة بالفاروق العظيم».

النموذج التالى يعود إلى أبريل سنة ١٩٤٦م، وقتها كان رئيس الحكومة هو إسماعيل صدقى (باشا) وكانت الحكومة تستعد للتفاوض مع الإنجليز لتعديل بنود معاهدة ١٩٣٦م أو إعادة النظر فيها بما يضمن لمصر مزيدًا من الاستقلال، ولم تكن قيادات الأحزاب تؤيد صدقى، وكانت القوى الوطنية ترى فيه طاعية وتعدده رمزًا للاستبداد، كان يؤيده - فقط - الملك فاروق، فقد أسند إليه رئاسة الحكومة، وكان يؤيده غير الملك، وربما بسبب ذلك جماعة الإخوان المسلمين ومرشدهم حسن البنا، وقد تظاهر طلاب الإخوان فى الجامعة تأييدًا لصدقى، وقاد المظاهرات مصطفى مؤمن، وردد المظاهرون الآية القرآنية ﴿وَأَذْكُرْ فِى الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِذْ كَانُ صَاحِقَ الْأَوْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥٤] وبالتأكيد لم يتحرك طلاب الإخوان بعيدًا عن رغبة مرشدهم المؤسس، لكن المرشد حسن البنا لم يترك الأمر للطلاب، وقرر أن يدخل بنفسه على الخط، ولكن بالتعامل مباشرة مع الملك، فبعث إليه بخطاب نشرته

حملة الإخوان، قدمت له المجلة بالكلمة التالية «رأى فضيلة المرشد العام بمناسبة بدء المفاوضات وحاجة الأمة في هذا الطرف الدقيق إلى الوحدة والائتلاف أن يتوجه بهذه الرغبة إلى الفاروق معقد الأمل والرجاء فأرسل لجلالته الخطاب التالي». ثم نشرت نص الخطاب، وفي هذا السياق لا بد من إعادة نشره كاملاً، فهو كاشف لنظرة البنا للملك وطريقة خطابه، يبدأ الخطاب هكذا:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله ومن والاه.

حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول ملك وادي النيل

حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد،،

فأنت يا صاحب الجلالة موضع الأمل ومعقد الرجاء لوادي النيل ولأبناء العربية ولشعوب الإسلام، عاطفة من الولاء والحب غرسها الله لك في قلوب الناس لإرادة يعلموها وحكمة يريدوا لعملها أن تجتمع بك الكلمة وبرأب الصدع وتلتقي في ساحتك الأمانى والآمال.

ومصر الآن يا صاحب الجلالة تحتاز أدق مراحل تاريخها الحديث وحكومتها في مفاوضة مع حكومة بريطانيا ترجو من وراثتها أن تصل إلى حق الوطن في الجلاء ووحدة الوادي حتى يحيا حياة الحرية والكرامة والاستقلال في ظل عرشك العزيز وتاجك المقدس.

وستلقى نتيجة المفاوضات كائنة ما كانت على كاهل الأمة والحكومة تبعات وواجبات فقال لا يمكن النهوض بها إلا إذا توحدت الكلمة وتضافرت جهود العاملين المخلصين.

وتلك ليس لها إلا نظرك السامي ورأيك الثاقب السديد، فنفضل يا مولاي وأمس بيدك الكريمة هذه الجراح وأنت نعم الطبيب، ووجه دعوتك المستجابة وأمرك

المطاع إلى هذه الأحزاب والهيئات لتلتقى جميعاً عند كلمتك وهي كلمة الوطن العزيز والتذكر مجتمعة في برنامج العمل للمستقبل القريب والطريق إلى تنفيذه على كل الفروض حتى لا تؤخذ على غرة ولا تؤتى من غفلة.

والله نسأل أن يحقق على يديك الآمال وأن يعز بمعهدك السميد عرش وادي النيل

الجبجد

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

القاهرة في ٢١ من جمادى الأولى ١٣٦٥ هـ

٢٣ من أبريل ١٩٤٦ م

المخلص

حسن البنا

المرشد العام للإخوان المسلمين

وجعلت المجلة لهذه الرسالة عنواناً رئيسياً هو : مهمة الائتلاف ليس لها إلا نظر
الشاروق السامي ورأيه الناقب.

★★★

بمخاطب حسن البنا الملك ليحقق خطوة يعلم جيداً أن الملك يجيها ومفضلة
لديه، وهي أن تأتلف الأحزاب وتأمّر بأمره، لم يكن الملك يحب حزب الأغلبية
الوليد، لأسباب عديدة، من بينها أن النحاس باشا في تعامله مع الملك، لم يستطع أن
يخلص من فاروق السن الكبير بينها، وهكذا كان النحاس يشعر الملك بصغر
سنه أو بتعبير السفير البريطاني أنه «صبي» أو «غلام»، كان يقولها السفير هكذا
(The Boy)، وكان الملك لا يحب لحزب الأغلبية أن يحكم أو أن يتحكم، وكان

يفضل عليه التحالف أو الائتلاف الحزبي، وهكذا فإن البناء يقترح على الملك ما يحبه الأخير ويتناه.

ولا يؤخذ على حسن البناء أو غيره أن يبدى تأدياً وهو يخاطب ملك البلاد وأن يظهر له مشاعر الود والتقدير، لكن ما يزيد عن ذلك يصح نقاشاً وتلقاً رخيصاً، وقد يتجاوز الأمر بالتناقض ليؤدي إلى صناعة طاغية، وحينئذ يخاطب المرشد الملك فاروق ويقول له (تاجك القدس) فهذا تحميل للأمور ما لا تحتمل، لم يكن التاج الملكي مقدساً ولا حتى لدى الملك نفسه، أن يكون الجالس على العرش محبوساً ومقبولاً أمر طيب للشعب وللأفراد وكذلك للملك نفسه، أما أن يكون التاج مقدساً، فذلك شيء آخر، ومن قبل قال حسن البناء عنه الخليفة المنتظر، أنه يصح «ظل الله على الأرض». إنها عقلية تأليه الحاكم، التي عرفتها العصور القديمة في بلاد الشرق وعاشتها أوروبا في العصر الوسيط، عصر الظلام، ثم حاولت الإنسانية أن تتحرر من تلك المرحلة، وهذا النمط من الحكم، لكن حسن البناء، فيها يبدو، كان يسعى إلى استعادته من جديد.

وهناك كلمات أخرى في الرسالة تنطوي على المبالغة في النفاق، مثل (أنت نعم الطبيب)... (نظرك السامي)... (عهدك السعيد).

الطريف في الأمر أن حسن البناء، رغم مديحه المبالغ فيه باستمرار للملك، والذي فاق مديح أنصار الملك والملكية بحق، فإن الملك لم يتق أبداً في حسن البناء ولم يطمئن إليه، وهذا ما تكشفه الكثير من الأحداث والوقائع.

القبض على الجاني

تقييد الأفغاني ومحمد عبده

ذكروا أنفسكم أيها الإخوان دائماً بأن
ملاحظة المسلمين في مقدمة خصوصكم
حسن البنا

اعتبر فريق غالب من الباحثين والدارسين المصريين والعرب والأجانب حسن
البنا وجماعته، تحميًا وامتدادًا للمشروع أو حركة جمال الدين الأفغاني، وتساءل د. حسن
حنفي كثيرًا بأسى كيف أن مشروع الأفغاني ومحمد عبده النهضة كان يضعف
ويزداد أنصاره تشددًا أو سلفية من رشيد رضا وحسن البنا؟!

والواقع أنه يصعب علينا اعتبار حسن البنا امتدادًا ولو باهتا وضعيفًا لجمال
الدين الأفغاني وأفكاره، بل إن التدقيق يمكن أن ينتهي بنا إلى اعتبار حسن البنا
وأفكاره تقييدًا لأفكار ومشروع الأفغاني.. وهو كذلك تقييدًا لأفكار ومشروع
الأساتذ الإمام محمد عبده، رغم الاختلاف أو عدم التطابق بين الأفغاني ومحمد
عبده. لقد اختلف الباحثون حول جمال الدين الأفغاني.. مولده ونشأته.. حياته
ومسيرته، السائد أنه ولد قريبًا من «كابل» عاصمة أفغانستان لأسرة مسلمة سنية
ينتهي نسبها إلى الحسين بن علي، أي أنه عربي الأصل، لكن في المقابل هناك من ينكر
ذلك ويؤي أنه ولد في بلاد فارس ونشأ مسلمًا شيعيًا، لكنه تحول إلى السنة أو ادعى
ذلك لسهولة عليه التنازع إلى المسلمين السنة.. وبينما رآه البعض مسلمًا مخلصًا لمبدأ
«الجامعة الإسلامية»، اعتبره آخرون عميلًا للمخابرات البريطانية، وعدة أجهزة

أخرى بحكم كونه «ماسونياً».. وصل إلى درجة متقدمة في المحفل الماسوني الأعظم، لكن لن يختلف كثيرون أن جمال الدين الأفغاني كان خصمًا لدودًا للاستبداد السياسي، أيًا كان مصدره، وكان كارهاً للظلم الاجتماعي، بشى صورته داعيًا إلى إنشاء الدستور والبرلمان، وأنه كذلك كان قلقًا من التدخل الأوروبي في بلاد المنطقة. وبسبب كراهيته ورفضه للاستبداد طرده رياض باشا، ناظر النظار في عهد الخديو إسماعيل ورمز الاستبداد والتسلط من مصر، ودعا شاه إبراهيم إلى القبض عليه، منهيًا إياه بالمشاركة في مؤامرة لاغتياله، وبسبب ذلك أيضًا حبسه السلطان عبد الحميد في القفص الذهبي بالأستانة، عاصمة دولة الخلافة.

كان الأفغاني داعيًا إلى إصلاح وتجديد دولة الخلافة، وإقامة جامعة بين البلاد الإسلامية، لا تربط البلاد بالقهر والغلب كما فعل سلاطين آل عثمان.. فأين من ذلك حسن البنا.. الذى عرفناه مناصرًا للحكومات الاستبدادية في مصر ويسخر أنصاره للتظاهر تأييدًا لها ودفاعًا عنها، كما حدث مع حكومة إسماعيل صدقي، ولم نعرفه مؤمنًا ولا عيبًا للحريات السياسية، ولا مدافعًا عن الدستور، حيث نسبت مظاهرات سنة ١٩٣٥م المطالبة بعودة الدستور واحتجاجًا على تصرفات وزير خارجية بريطانيا «صمويل هور» بشأن استقلال مصر، لم نعرف للبنا دورًا أو حتى تأييدًا لتلك المظاهرات، فقد أنقى بنفسه من البداية في أحضان الديوان الملكي، متمسكًا بالملك فؤاد، الذى عرف بأنه طاغية، ثم الملك فاروق، حتى أنه كان من الداعين إلى أن يصبح الملك فاروق خليفة المسلمين، وهو الحلم الذى طالما داعب الملك الشاب، كما داعب والده، الطاغية المعجوز، من قبله..

لا أريد أن أعتقد مقارنة بين الأفغاني والبنا.. ولا بين محمد عبده والبنا، فذلك أمر بطول، ولكن أكتفى هنا بالتأكيد على أن «البنا» كان تقيضًا لكل منها. والناتق بين البنا ومحمد عبده يفوق تناقضه مع جمال الدين الأفغاني. كان

محمد عبده من أنصار ودعاة الوطنية المصرية^(١)، شارك في الثورة العربية، وصار من دعاة الإصلاح بعدها، لم يكن مثل أستاذه الأفغانى من دعاة الحماة الإسلامية ولا مثل البنا داعيًا إلى دولة الخلافة، ولا بد من القول إن الأفغانى ومحمد عبده كانا - كل بطريقته - امتدادًا لميراث وتجربة إسلامية عمدة في التاريخ، بعمق التاريخ الإسلامى وربما عمق الإسلام ذاته.

نحذنا التجربة الإسلامية في التاريخ إن المدارس أو الفرق الكلامية والمذهبية، نشأت معظمها حول قضية سياسية واجتماعية في المقام الأول، أى بسبب أو رد فعل على خلاف سياسى، وعلى هذا النحو ظهر الخلاف السنى/ الشيعى، فقد نشأت الشيعة والتشيع احتجاجًا من بعض المسلمين على أن ابن عم رسول الله وزوج ابنته فاطمة على بن أبى طالب كان الأحق بخلافة المسلمين إثر وفاة النبى محمد، ورغم اعتراف الجميع بأسبقية على بن أبى طالب ودوره المهم فى الإسلام وقربائه من الرسول، فقد اتجه الرأى الغالب من المسلمين إلى أبى بكر الصديق، الذى كان موضع ثقة الرسول وصديقه من اللحظة الأولى لتلقى الوحي، وظهرت جماعة الخوارج إثر احتجاج نفر من المسلمين على الصراع بين أنصار على وأنصار معاوية بن أبى سفيان، رفض الخوارج مبدأ التحكيم الذى ارتضاه على، وخرجوا وحدهم، ورغم أنهم مارسوا العنف والقتل تجاه خصومهم، فإنهم قدموا ترأثًا فكريًا راقيًا وأدبًا رفيعًا.

ولما بالغ معاوية بن أبى سفيان فى المطالبة بدم عثمان بن عفان، وحمل على بن أبى طالب مسؤولية هذا الدم، وكان فى ذلك يسمى إلى هدف سياسى، هو الوصول إلى السلطة، وكان يصدر فى طلبه عن قرابة الدم من عثمان وليس لأن عثمان قتل مظلومًا. ظهرت جماعة «الرجة» أى إرجاء البت فى هذا الأمر وتركه إلى الله سبحانه ونعالى

(١) عنده مصطفى لبب فصلًا عن الفكرة الوطنية عند الإمام محمد عبده، فى كتابه الذى أصدره عنه الكتاب صدر عن هيئة الكتاب عام ٢٠١٠م

يوم القيامة، وبإزاء هذا ظهر تيار التصوف تعبيراً عن الزهد والرغبة في نجس كل هذه الصراعات والانقسامات التي جرت على المسلمين حروباً أهلية ودماء غزيرة ارتقيت لمسلمين أجلاء، يكفي أن يكون في مقدمتهم الخليفة عثمان والحليفة على بن أبي طالب ثم الحسين بن علي، رضى الله عنهم جميعاً.

ونعرف جميعاً أن فكر المعتزلة شاع إثر الخلاف بين الأمين والمأمون على الأحق بالخلافة. أي أننا في نهاية الأمر بإزاء خلاف ومعارك سياسية تجد غطاء فقهيًا دينيًا لا يحكم أن الثقافة الدينية كانت هي الغالبة والمسيطرة على الجميع..

كان ذلك في زمن بناء الثقافة والحضارة الإسلامية، حيث تعددت وتباينت المواقف الكبرى سياسيًا واجتماعيًا ومن ثم مذهبياً وأكاد أقول عقائديًا، فلما اتسعت رقعة الدول الإسلامية وانتشرت الحضارة الإسلامية باتت المواقف معروفة.. وأنصار الفرق يعرفون أنفسهم، ودعاة كل مذهب محددين، وحتى حين ظهرت حركات احتجاج وتمرد داخل هذه الدول مثل «القرامطة» فإنها نشأت من رحم الإحساس بالظلم أو عدم تحقيق العدل الإنساني والاجتماعي على النحو الذي يطالب به الإسلام، أو حسب فهمهم لهذا الدين..

في زمن الضعف والتراجع، وتعرض الدولة الإسلامية للغزو من الخارج، سواء ما جاء من أقصى الشرق (المغول) أو من بلاد الغرب (الصليبيين) وجدنا حركات وجماعات المقاومة تنشأ حول الفقهاء والمتصوفة، فنحن لا نستطيع أن نفهم فكر ابن تيمية وآراءه ما لم نضع في الاعتبار أنه في زمانه رأى احتياج الغول وتهديدهم للأمة.. والأمر نفسه ينطبق على آخرين من الفقهاء والمتصوفة وإن لم يحققوا شهرة ونفاذ الفقيه تقي الدين بن تيمية.

في عصرنا الحديث لم يختلف الأمر كثيرًا، حيث ظهر التهديد الأوروبي لبلاد المنطقة، جاءت حملة نابليون إلى مصر سنة ١٧٩٨م ورحلت سريعًا في ١٨٠١م، لكن

الحملة كانت فاتحة التهديد، بعدها بقليل وفى سنة ١٨٣٠م تم غزو فرنسا للجزائر واحتلالها، وكان ذلك فاتحة الاجتياح الأوروبى (الاستعمارى) لبلاد المنطقة، وهكذا وجدنا حركات إحياء إسلامية تهدف فى النهاية إلى مقاومة ذلك الاجتياح، ومنعه أو الحد منه، وجدنا فى الجزائر حركة الأمير عبد القادر، وبعد مغادرة الأمير للجزائر متجهاً إلى مصر ثم إلى الشام لم تحمد المحاولات، ولدينا نواجز مثل عبد الحميد بن باديس، وفى ليبيا كانت السنوسية، ورغم أنها حركة صوفية بالأساس فقد تحملت مقاومة الإيطاليين وفى السودان كانت الحركة المهدية، التى كان من بين أهدافها مواجهة الغزو البريطانى لمصر وزحفه على السودان.. وفى مصر كان الأفغانى يدعو إلى مقاومة الاستبداد والتصدى للنفاذ الأوروبى فى المحروسة وكان الشيخ محمد عبده أحد قادة الثورة العربية، لرد البريطانيين عن مصر والحد من الاستبداد والسلط السياسى الذى يمارسه رياض باشا ومعه الخديو محمد توفيق.

عموماً كانت الحركات الدينية الإسلامية تسمى إلى أهداف تكاد تكون واحدة، هى الحد من التدخل والعدوان الأوروبى على البلاد، والحد من الاستبداد الذى يمارسه الحكم ويرزح تحته المواطنين، وفى النهاية السعى إلى تحقيق النهوض العام..

منذ نهاية القرن السابع عشر وطول الثامن عشر نجد ظهور حركات دينية تسمى إلى أهداف أخرى وبوسائل جديدة وترى أزمة المسلمين بشكل آخر.. إنها ترى الأزمة فى الإسلام ذاته أو فى المسلمين أنفسهم من حيث علاقتهم بدينهم ومعرفتهم به.. من الفرق التى رأت المشكلة فى الإسلام ذاته القاديانية أو الأحمدية فى الهند والبابية التى تطورت إلى البهائية، هذه الفرق أو الجماعات أحدثت بعض التعديلات فى الديانة الإسلامية ذاتها، حتى باتت تعد ديانات جديدة مستقلة بذاتها، لى النهاية مثلاً تم إسقاط قاعدة أو مبدأ «الجهاد» وهذا ما دعا باحثاً فى وزن أحد أشهر بطلان الإنجليز وقتوا وراء البهائية ودعموها، لأن مبدأ الجهاد يزعجهم.

تقد كان سبباً رئيسياً في مقاومة الشعوب والبلاد التي دخلوها، خاصة في الهند وفي مصر وفي العراق.. وهناك العديد من الدراسات حول القاديانية وحول البنية والبهائية يمكن الرجوع إليها والوقوف عند تفصيلاتها وجذورها.

أما الحركات التي رأت الأزمة في المسلمين أنفسهم، فيقف على رأسها محمد بن عبد الوهاب وجماسته التي حملت اسمه «الوهابية».. وقد أطلق التسمية الأخيرة عليهم خصومهم، أما أنصار ابن عبد الوهاب فيطلقون على حركتهم اسم جماعة التوحيد، ولد ابن عبد الوهاب سنة ١٧٠٣ ميلادية في بلدة «المدينة» التابعة لمنطقة «نجد» بالجزيرة العربية، وتلقى تعليمه الأولي بها على يد عدد من شيوخ المذهب الحنبلي، ثم سافر إلى المدينة المنورة ومنها انتقل إلى البصرة وبغداد ثم رحل إلى عدة أماكن داخل بلاد فارس، أنهاها بمدينة «قم» ثم عاد إلى موطنه وخرج على أهله بدعوته وأفكاره الجديدة، التي ركزت على محاربة البدع، مثل زيارة قبور وأضرحة بعض الأولياء والتصوفة، وهو بالتأكيد رأى ذلك على نطاق واسع في المناطق الشيعية التي مر بها وعاش فيها فترة سواء في العراق أو في بلاد فارس (إيران).. ثم طالب أتباعه بدم الأضرحة والقبور، ثم قال إن المسلمين ابتعدوا عن التوحيد وأصابهم الشرك بالله وكان ذلك هو المخيف في دعوته..

نارنجياً كان يظهر بعض الشيوخ بين حين وآخر يدعون إلى ترك البدع والمودة إلى أصول الدين، وتحذثنا تواريخ المقرئزي وابن تغري بردي وابن إلياس والخيرتني عن كثير من هذه الشاذج، لكن لم يتهم أحد من هؤلاء عموم المسلمين أو من يزورون الأضرحة بالشرك أو الكفر بالله سبحانه وتعالى.. وفي زمن الاحتلال الأوروبي أو سمي أوروبا إلى المدينة على المنطقة، فضلاً عن الاستبداد والتمسك والمظالم السياسية والاجتماعية، رأى ابن عبد الوهاب المشكلة بعيداً عن ذلك كله، رآها تنحصر في زيارة الأضرحة والقبور والاحتفال بالموالد، بما فيها المولد النبوي، وسار خلفاءه على هذا النهج. المعجبون بمحمد بن عبد الوهاب قالوا إنه يريد العودة إلى التوحيد

في نقائه الأول وبعثناه المجرّد، أما الخصوص فقد اتهموه، وقالوا إنه صنعة المخابرات الإنجليزينة واستندوا في ذلك على مذكرات «هيمفري» ضابط المخابرات البريطانية الذي التقى ابن عبد الوهاب في البصرة؛ لذا أطلق هؤلاء على حركته اسم «الوهابية الحفرية».. والتفصيل في هذه الجزئية يحتاج معالجة مستقلة.

وحين ظهر حسن البنا وبدأ يمارس نشاطه في نهاية العشرينيات، كان هناك مشروع الأستاذ الإمام محمد عبده سواء في جناحه المدني الذي كان يمثلّه سعد زغلول ولطفي السيد وطه حسين، وجناحه الديني الذي تقدّمه الشيخ مصطفى عبد الرازق... وكانت هناك بقايا الحزب الوطني، حزب مصطفى كامل ومحمد فريد.. وكان هؤلاء جميعاً مشغولين بأمور أساسية، في مقدمتها تحقيق الاستقلال بإنهاء الاحتلال البريطاني لمصر وإقامة دولة مدنية تحمى الحريات العامة، أي دولة بلا استبداد سياسي، يكون فيها دستور يتم احترامه، وكانوا يدعون إلى تجديد الحياة العقلية والتفكير الديني، لكن البنا لم يشأ أن يسير في أي تيار أو جناح من هذه الأجنحة، لقد اختار عملياً وفعالياً أن يسير على نهج ومدرسة محمد بن عبد الوهاب، حتى وإن لم يقصد ذلك أو لم يذكر اسم محمد بن عبد الوهاب نهائياً، هو رأى أن الأزمة في مصر، تتركز في أن المصريين أصابهم الشرك بالله أو الكفر... وأن دوره هو أن يجارب ذلك الشرك ويعيد المصريين إلى التوحيد من جديد.

جاء حسن البنا إلى القاهرة من المحمودية والتحق بكلية دار العلوم سنة ١٩٢٣م، أي في أجواء ثورة ١٩١٩م وما جرى بعدها، في عام وصوله كان دستور ١٩٢٣م قد صدر وجرّت انتخابات نيابية حرة، جاءت برلمان سنة ١٩٢٤م، حيث نسل في الانتخابات رئيس الحكومة الذي أجراها وأشرف عليها، وصار سعد زغلول زعيم الأمة، رئيساً لمجلس النواب، وكان الواقع السياسي يموّج بتيارات وأنكار عديدة، وتخرج البنا سنة ١٩٢٧م عام رحيل سعد زغلول، أي مجتمع عفى، ملأ بالأحداث والشخصيات الكبيرة... ومع ذلك دعونا نتأمل ما في ذاكرته عن

تلك الفترة، يقول في «مذكرات الدعوة والداعية».. (وعقب الحرب الحرب الماضية ١٩١٤م/ ١٩١٨م، وفي هذه الفترة التي قضيتها بالقاهرة، اشتد تيار موجة التحول في النفوس وفي الآراء والأفكار باسم التحرر العقلي، ثم في المسالك والأخلاق والأعمال باسم التحرر الشخصي، فكانت موجة إحياء وإباحية قوية جارفة طاغية، لا يبين أمامها شيء، تساعد عليها الحوادث والظروف) والواقع أنه بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى لم يعرف المجتمع المصري موجة إحياء جارفة.. لم نجد دعوات أو جماعات تتبنى الإحياء، ولا حتى جماعة واحدة، ولم نعرف كذلك أن هذا المجتمع شهد موجة انحلال وإباحية جارفة وطاغية.. لم يحدث شيء من ذلك، لكن الذي حدث بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى أن شبت ثورة شعبية جارفة، قادها سعد زغلول وعدد من رموز الحركة الوطنية، وملأت هذه الثورة أقاليم مصر كلها، وكان مركزها في القاهرة، كشفت هذه الثورة عن غماسك اجتماعي قوى، وأثبتت التضحيات التي قدمها المصريون عن قوة أخلاقية ورغبة في الفداء والاستشهاد من أجل استقلال وطنهم.. بدا هذا التماسك في التلاحم بين المسلمين والأقباط.. الرجال والنساء.. أبناء الحضر وأهل الريف.. الباشوات وعموم المواطنين وشارك في هذه الثورة عدد من علماء الأزهر ولعبوا دوراً مهماً، واستقبل الأزهر النازحين وخطب على منبره الوطنيون من مسلمين ومسيحيين^(١)، لكن الغريب أن لا يجد حسن البنا في ذلك أي شيء يستوقفه، في باب الشعرية بالقاهرة سقط شهداء وشهيدات برصاص الإنجليز، وقامت المظاهرة النسائية التي تصدى لها جنود الإنجليز بالبنادق.. ومع ذلك يحدثنا حسن البنا عن موجة إحياء وإباحية قوية وطاغية، لم يكن هناك شيء من ذلك، لكنه لم يكن قادراً على أن يرى الواقع جيداً، كان يتخيل ويتوهم أن المسلمين أصابهم ضعف العقيدة والشرك!

(١) راجع في ذلك مذكرات الشيخ عبد الوهاب النجار «الأيام الحمراء» سلسلة مصر النهضة ٢٠١٠م، تقديم د أحمد زكريا الشلب.

وهذا التفهم لا یغادره، ینکب حسن البنا فی مجلة الفصح - عدد ٢٤ یونیو ١٩٢٨م مقالاً بعنوان «الدعوة إلى الله». تحدث فیہ عن واقع الأمة وما تحتاج الیه، جاء فی «لست فی حاجة إلى أن أقول: إن أمتنا المصرية - بل الإسلامية - بها تقلبت دواءه من طوار، وما مر علیها من حوادث سياسية واجتماعية استخفت ببدینها وأحلافها فترکها کالمعلقة، لست فی حاجة أن أقول إن هذه الأمة فی أشد الحاجة إلى دعوة قوية فعالة تردها إلى رشدها، وتستعيد بها هدی نبیها، وترشدنا إلى معالم دینها، وتنقذنا مما هی فیہ من الانحلال الأدبی والفساد الخلقی. أی أن الأمة لم تعد تعرف معالم دینها وهی بحاجة إلى من یرشدنا إلیه ویدعنا علیه، ثم یرقول مؤکداً نفس المعنی «فأنت أیها وجهک لا تجد إلا فساداً ظاهراً، وغميکاً مزمراً، بل الفوضى فی المعتاد والنخبط فی الآراء والمذاهب». وعلى هذا النحو یواصل الکتابیة إلى أن یرقول فی سخریة بالغة من دعاة التجدید والمادین بالحریات العامة.. «ولا یغرنک قوم من الکتاب یرقولون: هذا عصر مدنیة وتجید، ورفی فی المذارک والأفکار، وثقافة حررة وحرية شاملة لشخصیة و غیر شخصیة، و غیر ذلك من الألفاظ التي یوصونها رضا، ویستوفونها تمقیماً، یجدعون بها البسطاء ویغلبون بروائها الضمفاء».

بعد ثلاث سنوات من ذلك المقال ینکب حسن البنا مقالاً آخر، لكنه أشمل، بعنوان «واجب العالم الإسلامي أمام ما نزل به»^(١). بدأه بالقول «توالى الاعتداءات اخیراً على المسلمین فی کل قطر من أقطار الأرض، وكثر أعداؤهم عن ناب المعطاء، وأدتوهم بحرب بعيدة المدى...» ویحاول أن یقدم تشخیصاً للمواضع التي «دعت للعالم الإسلامي إلى تلك الحال، وطريقة المواجهة والخروج من ذلك الموقف یقول «فاذکروا دائماً أن أول جان على الإسلام هم أبناءه الأغرار المفتنون، الذین لم یأوا مظاهره ونددوا بها، وأوروبا ترفیهم عن کتب، وتمدهم فی طلبانهم، وتستعملهم علیه بالأساليب الخفية، فقاتل الله اللادینیین من أبناء الأمة الإسلامية،

الراجح کتب فقه الواقع، مقالات تنشر لأول مرة للإمام حسن البنا، مرکز الکلمة للدراسات والبحوث، ط ١ سنة ١٩٩٩م.

«الذين أذلوا الإسلام وأسقطوا هيئته بما انتهكوا من حرمة الخلافة، وبما أقدموا عليه من انتهاك محارم الله، فذكروا أنفسهم أيها الإخوان داتما بأن ملاحدة المسلمين في مقدمة خصوصكم، وأن على رؤوسهم قسطاً كبيراً من تبعة ما يقع الآن في مختلف بلاد الإسلام..» ثم يقول «ومن الواجب أن نحول دون نفثي أفكارهم الموبوءة بيسا وأن نصرب على يد من يريد أن يحسن الظن بأعدائنا»^(١).

وفي ميراث الأستاذ الإمام محمد عبده لن نجد أبداً تعبير «ملاحدة المسلمين». واتهام الآخرين في عقائدهم، صحيح أن حسن البنا، هنا، كان يقوم بالملاسة على مصطفى كمال أتاتورك ومن معه، وهؤلاء أسقطوا الخلافة، حين وجدوا أن وطنهم قد تعرض للاحتلال، ولكن لم يثبت أنهم كانوا ملاحدة، ولا أنهم أعلنوا الاتحاد، لكن حسن البنا عموماً الاتهام، ولم يقصره على جماعة أتاتورك، بل نقله إلى الواقع المصري، والقاهرة تحديداً. أين من ذلك الإمام محمد عبده، الذي وقف بصرامة ضد تكفير المسلم، وهو الذي عمد إلى إحياء مقولة الإمام مالك - رضي الله عنه - لو أنه امرئ حمل على الإيمان من وجهة واحدة، وحمل على الكفر من مائة وجه، لحملناه على الإيمان. ولم يقل بما قال به حسن البنا من أن الأمة فقدت رشدتها، هكذا ببساطة ينهم الأمة بأكملها، لذا يصعب القول إن حسن البنا تلميذ أو امتداد لمدرسة محمد عبده والأفغانى، ليس فيه شيء منها بالمرقة، هو امتداد لمدرسة محمد بن عبد الوهاب.

وما فات حسن البنا أن الاحتلال الأوروبي للبلاد الإسلامية حدث واكتمل في ظل وجود دولة الخلافة، لكن المهم في هذا الرأي أن المشكلة عنده ليست في المحتل، ولا في شيوع الاستبداد والنظام العامة، والقضية عنده لا تبدأ بمواجهة المحتلين والمستعمرين. بل أن تواجه بعضنا بعضاً، وأن أول خصوصنا هم الذين تركوا مظاهر الإسلام!!

(١) القصد السابق، ص ١٦٦

ويبدو عنده، أن ما قام به الاستعمار في بلادنا هو عقاب إلهي لنا «إن الله يبدئه الأمر كله والأرض له يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين»، وإن الله قوى قهار لا يعجزه أن يتزعج أرض من أبدى أقوى دولة فيستخلف فيها أضعف دولة لينظر كيف يعملون، والتاريخ كفيل بذلك وشاهد عليه: فبنو إسرائيل ورثوا الأرض التي بارك الله فيها بعد أن كانوا أذل من الدل وأقل من القلة». ثم يقول «وبناكيد واضح أقسم لكم أيها الإخوان لو علم الله في المسلمين من يصلحون أن يكونوا خلفاء الله في الأرض لأرسل على مضطهديهم عدائًا من فوقهم ومن تحت أرجلهم، ولبعث عليهم جنودًا لم تروها. وما يعلم جنود ربك إلا هو، وخلص الأرض من أيديهم وأورثكم إياها». نفس المعنى وهو أن المسلمين لم يعودوا مسلمين. ثم يقول «ولسنا نقصد بذلك القعود عن العمل، وإنما نريد تجديد النفوس، وتطهير الأرواح وتقوية العقائد، حتى تملغ النفوس بالأمل والإيمان، وحتى تندفع إلى العمل بقوة وثبات». والخلاص عنده في هذه الجزئية «من واجبتنا أن نتعرف إلى الله بما يرضيه منا، وأن نسير مع أوامره ونواهيه، فإذا رضى عنا أعاننا بنصره، وأوضح لنا سبيل الخلاص، وكان معنا على أعدائنا فأخذوا من مأمهم، وزلزلوا في مساكنهم، وذاقوا وبال أمرهم»^(١).

وقدم حسن البنا اقتراحًا للخروج من الأزمة موزجه على النحو التالي: «من الأحكام الشرعية أن الفتوت سنة في كل الصلوات بعد الركوع الأخير إذا نزلت نازلة بالمسلمين، وبما أن المسلمين في هذه الأيام يواجهون كل يوم نازلة جديدة تكسرت الاتصال على الاتصال، فيلوح لي جواز تطبيق هذا الحكم في كل المساجد الإسلامية، وفي كل الصلوات فيفتن الأئمة في كل صلاة بالدعاء للمسلمين بالنصر والخلاص، وبالدعاء على أعدائهم بالضعف والخزيمة، فما رأى سادتنا العلماء في ذلك»^(٢).

(١) المرجع السابق، ص ١٦٩.

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

ويتكرر ذلك الفكر لديه في الكثير من رسائله وخطبه إلى أعضاء الجماعة، تأمل مثلاً هذه سبيلي « والتي يقدم فيها ما يجب للأخ أن يعتقد فيه «ومن بينها» أعتقد أن السر في تأخر المسلمين ابتعادهم عن دينهم، وأن أساس الإصلاح العودة إلى تعاليم الإسلام وأحكامه. وأن ذلك ممكن لو عمل له المسلمون»^(١).

لن نجد في كل تحليلات حسن البناء حديثاً عن التأخر العلمي، خاصة في مجالات العلوم الطبيعية والكيمياء وغيرها، وتأخرنا في مجال الاختراعات العلمية والنهضة الصناعية، فالذين طوروا الأسلحة الأوروية لم يكن كلهم من التدينين، فضلاً عن أنه لم يكن بينهم مسلم واحد.. ولن نجد في أحاديث البناء ومقالاته شيئاً عن الاستبداد والتسلط السياسي الذي مارسه الحلفاء، خاصة خلفاء الدولة العثمانية، فقتلوا باستبدادهم الإحساس بالكبرياء داخل المواطن واعتزازه بنفسه، ولن يقول حسن البناء كما قال جمال الدين الأفغاني عجبت للفلاح المصري حين لا يجد قوته مثلاً يخرج بفأسه ليشق رأس ظله، والواقع أن واقع المسلمين وتأخرهم كان شاعراً رئيسياً لدى الكثير من المصلحين والرواد، بدءاً من الجبرتي الذي شاهد التجارب العلمية الحديثة التي أجراها علماء الحملة الفرنسية، إلى الشيخ حسن المطار ثم رعاة الطهطاوي وعلى مبارك وغيرهم، وتعددت تشخيصاتهم وتحليلاتهم للأزمة، كما تعددت اقتراحاتهم ونبايت للخروج من الأزمة، لكن لم يكن بينهم من قال بما قال به حسن البناء، وهو أن المسلمين ابتعدوا عن دينهم، وأن الملاحدة زادت بينهم، وأهم هجروا معنى التوحيد الديني.

وحين تكون مشكلة المجتمع وقضايا الوطن محصورة في المواطن ذاته، أو الإنسان المسلم، الذي لم يعد مسلماً بالمعنى الصحيح، يصبح من الطبيعي أن تسعد سلطات الاحتلال بهذا التفسير، فالمشكلة هنا لا تنسحب في الاحتلال ولا في المحتل.

(١) المرجع السابق، ص ١٥٥.

بل في المواطنين ذائعهم (المسلمين)، وهذا ما كان يراه لورد كرومر نفسه، ولكن بطريقته هو... ولذا ليس غريباً ما تردد عن مساندة الإنجليز والسلطات البريطانية لحسن البنا وجاعته في البداية، لا نقول إنهم كانوا عملاء للاحتلال، لكن فكرة البنا من الناحية العملية تدعم الاحتلال وتبقى عليه، أو على الأقل تصرّف الجهد والفكر عن مقاومته والتصدى له، بل تجعل هذه الفكرة - عملياً - خصوم الاحتلال ومقاوميه، خصوصاً لها، فهي تعتبرهم علمانيين، ومن ثم لا تصبح مقاومة المحتل بطولية ولا فضيلة.. وحين نتحدث الوثائق البريطانية عن مساعدات وأموال بريطانية دفعت إلى البنا وجاعته، فلا بد أن تصدقها بضمير مستريح.

وحين تكون المشكلة في المواطن ذاته، أنه ابتعد عن دينه ويجب إعادته إليه، وليست في الاستبداد السياسي ولا في الظلم الاجتماعي، فإن السلطة المستبدة تسعد بمن يقول ذلك وتفتح له ذراعيها، ويرحب به رموز القهر الاجتماعي من محكرين وكبار الملوك، وفي الأغلب فإن من يقول ذلك لن يتخذ موقفاً من السلطة، أقصد موقفاً متائماً أو معارضاً، ولا حتى موقف الجدل معها على أرضها؛ ولذا يجد مساندة من السلطات الحكومية، ولعل هذا يفسر لنا أن حسن البنا لم يتخذ موقفاً رافضياً ولا حتى ناقداً لأي حكومة حتى اغتياله سنة ١٩٤٩م، كان مؤيداً ومناصرًا للجميع، لقد توقف الباحثون عند تأييد جماعة البنا لرئيس الوزراء إسماعيل صدقي سنة ١٩٤٦م وهتاف طلاب الإخوان بالجامعة له، مرددين الآية القرآنية الكريمة التي تحدثت عن سيدنا إسماعيل ابن أبي الأنبياء إبراهيم، وفي الحقيقة هم لم يؤيدوا صدقي باشا وحده، أيدوا كل رئيس حكومة، سواء كانت حكومة القصر أو حكومة الأقلية أو الوفد. أيد البنا على ماهر ومصطفى النحاس ومحمد محمود والنقراشي وصدقي ولا يمنع الأمر من الانقلاب على رئيس الحكومة بمجرد أن يغادر موقعه؛ لذا ليس مصادفة أن البنا استفاد وكسب من كل رئيس حكومة، وليس غريباً ما تحدث عنه د. محمد حسين هيكل في مذكراته من أنه وهو وزير المعارف حين نقل

حسن البنا من القاهرة إلى قنا، وهو أمر بسيط، نقل مدرس ابتدائي من محافظة إلى محافظة، يحدث يسر وسهولة في الوزارة، كما يقول د. هيكل، لكن في حالة البنا فوجئ بنواب الأحرار الدستوريين في البرلمان (الحزب الذي يتشتم إليه د. هيكل) يتحدثون مع وزير المعارف في ضرورة إعادة المدرس إلى القاهرة ثانية. لم يوضع د. هيكل دوافع هؤلاء الدستوريين، لكن صحف ذلك الزمان تكشف السر، فقد كان أعضاء الجماعة يتحدثون ويحشدون لمساندة هؤلاء النواب في الانتخابات البرلمانية، كل في دائرته إنها حالة من الانتهازية السياسية مغطاة بغلاف من العمل على نصره الدين.. فحين يكون الهدف رد الناس إلى دينهم، فإن السلطة ورجالها تنظر بارتياح وعدم قلق إلى من يقول بذلك، والقاتل نفسه لن يجد غضاضة في التصفيق لأبي سلطة.. وأن يستفيد منها قدر النجاح ولا يدخل في صدام معها، وهكذا كانت حال حسن البنا؛ لذا انتشرت جماعته وأنشأ جيشاً مسلحاً، دون اعتراض من أحد.

وإذا كان الهدف رد الناس إلى صحيح العقيدة الدينية، فلا مجال للحديث عن تعددية سياسية ولا عن سيادة القانون والدستور، ويصبح الحديث عن الحريات العامة، فضلاً عن الحريات الخاصة، ومنها حرية الاعتقاد نوع من المهرطقة يدان المطالب بها ويدان من يسمى إلى عمارستها، ذلك أن رد الناس إلى العقيدة يقتضي نوعاً من الضغط والعنف، ومن ثم لا معنى لحرية التفكير هنا وحق الاختيار، بل الترحيب كل الترحيب بالسلطات التي تمارس القمع على هؤلاء المواطنين؛ لذا لا غرابة في أن حسن البنا وجماعته، حرصوا - حتى اغتيال البنا - على تقديم صورة الملك فاروق، باعتباره الملك المتدين... التقي الورع... الذي يجلس مستمعاً في إنصات وتواضع لقراءة القرآن الكريم، خاصة في شهر رمضان.

لذا كله يصعب مرة ثانية أن نعتبر حسن البنا امتداداً لجمال الدين الأفندي، ولا هو نجلًا من نجلبات أفكار الأستاذ محمد عبده، بل هو نقیض كامل لهم، هو

امتداد لمدرسة ومنهج محمد بن عبد الوهاب، مع فارق مهم، هو البعد الكائن
واللحظة التاريخية، ربما كان المجتمع النجدى في منتصف القرن الثامن عشر يسمح
لابن عبد الوهاب بطرح أفكاره، يتحدث البعض عن شيوع نقديس بعض الأنسجار
وبعض المقابر هناك، ويتحدثون عن أن ظاهرة الظلمان كانت شائعة ومنتشرة في ذلك
المجتمع، على نحو مستفز ومهين لأبسط معاني الإنسانية، ناهيك عن البعد
الإسلامي، ويقولون إنها كانت تتم بصورة شبه عليية، لكن مكونات المجتمع
المصري، في الربع الثاني من القرن العشرين تختلف كثيرًا. مجتمع البادية يختلف تمامًا
عن المجتمع النهري الزراعي وعن المجتمع الحضري والمدني. وحين جاء حسن البنا
من الحمودية إلى القاهرة ثم إلى الإسمايلية لم يتمكن من استيعاب وفهم المجتمع
القاهري، ولم يكن لديه الاستعداد لذلك، ولم تكن لديه الثقافة الدينية المتعمقة التي
تجعله يريث في إطلاق الاتهامات والطعن في معتقدات الآخرين، كما لم تكن لديه
الثقافة الحديثة التي تجعله يهتم بدراسة المجتمع وتعمق مشكلاته.. وكان من العيب
في بلد الأزهر أن يخرج من تشكك في مدى إيمان ومعتقدات أهل هذا البلد. لكن
هذا ما فعله حسن البنا ومن تبعه.

الْقَصْدُ الْجَائِزُ بِكَتَبِينَ

أَنَا الدَّعْوَةُ وَالِدَعْوَةُ أَنَا

«يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْإِيمَانُ بِالْفِكْرَةِ وَصَاحِبِهَا مَقْدًا»

حسن البنا

«مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ

وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ»

أبو بكر الصديق

تباينت الآراء في شخصية حسن البنا تباينًا شديدًا، حدث ذلك في حياته وبعد موته، رفعه إخوانه ومريدوه إلى عنان السماء، ومنحوه من الصفات والألقاب ما لم يبل بعضها كبار صحابة رسول الله، نجد كلاً من الصحابة حمل صفة عرف بها وميزته، أول الراشدين أبو بكر هو «الصديق» وعمر بن الخطاب هو «الفاروق»، أما عثمان بن عفان فهو «ذو النورين»، وابن عم الرسول علي بن أبي طالب هو «الإمام» هذا ما منحته جماعة المسلمين الأولى لأشخاص لازموا رسول الله، هم رموز الإسلام، أما حسن البنا فهو العالم الرباني .. الرجل القرآني .. اللهم الموهوب.. لسادة الجميع في كل شيء.. إمام أتقذ أمة.. وهكذا تتوالى الصفات والألقاب.

أما خصومه فقد منحوه الألقاب مقابلة، منها: الدجال المشعوز .. بلا مبدأ يخالف مع الكل .. وحين انشق عليه أحد السكري رفيق دربه لم يردد في أن يصفه - الكذاب. وقال عنه عدده من الكتاب الوفدين، وبينهم كتاب لا يستهان بهم بأنه الرسولين مصر. أما العقاد فقد انهال عليه بطريقته الحادة والعتيقة ليجرده من كل

شيء، حتى من جذوره الإسلامية. إذن أين حسن البنا بين هذين الفريقيين؟ وكيف نفهمهم؟ أقصد نفهم شخصيته وبناءه النفسي والإنساني ورؤيته لذاته.. وبحاول البعض أن يفهم حسن البنا وبجاسيه وفناً لفاهيم لم يعتنقها حسن البنا نفسه ولا آمن بها، مثل التساؤل أو القول هل كان ديمقراطياً؟!، فلنحاول أن نفهمه في إطار ظروفه الخاصة وقناعاته التي ارتضاها لنفسه وعمل عليها طوال حياته.

حسن أحمد البنا، ابن أسرة مصرية بسيطة، ولد في مطلع القرن العشرين، وقد روى والده وهو يرثيه أنه دخل البيت مرة، حين كان حسن لا يزال طفلاً صغيراً، بنام بجوار والدته، ووجد حية قريبة من رأسه، لعله كان يقصد ثعباناً، وظهور حية على هذا النحو يكشف المدى المتواضع في البيت، ونال قسطاً محدوداً من التعليم، لم يتمكن من دخول الأزهر لأنه لم يتمكن من حفظ القرآن الكريم، وكان ذلك هو الشرط الوحيد لدخول الجامع والجامعة العريقة، ثم درس في تجهيزية دار العلوم، في ذلك الوقت كان هناك ثلاثة مستويات للدراسة بدار العلوم، أداها أو أضعفها علمياً كان التجهيزية التي درس بها حسن البنا، وهو كذلك لم يهتم بجمع الحياة العادية من مأكول وملبس ومسكن، حكى محمود عساف إنه كان عائداً معه ذات مساء من مقر المركز العام، وكان بيت عساف قريباً من بيت المرشد، فساراً معاً وما أن اقترب من بيت المرشد، حتى قال له إن زوجته وأولاده ذهبوا إلى الإسكندرية لزيارة خالهم وأنه بيت وحده الليلة، ودعا إلى المبيت معه، فتوجه عساف أن المنزل مفروش بالحصير، ليس فيه سجاد، وارتدى واحدة من بيجامات المرشد، ولما تمياً للنوم قال له الأخير إن هناك غرفة بالميزل فيها سريران، يبدو أنها غرفة الأطفال، وقال له إنها مليئة بالبق، ولذا الأفضل أن بنام إلى جواره في سريره، وهكذا حياة بسيطة وفقيرة إلى أقصى حد.. وكان تحت تصرفه أموال الجماعة التي ازدادت وريت وكان يدفع رواتب وإعانات ثابتة للبعض، مثلاً ذكرت مرة السيدة جيهان السادات في حوار معها إن حسن البنا كان يرسل مبلغاً ثابتاً كل شهر إلى «إقبال» أي زوجة السادات الأولى، وقد ذكر

السادات، نفسه، هذه الواقعة بعد قيام ثورة يوليو، وذكر محمود عساف إنه كان يدفع مكافآت ثابتة لعدد من المخبرين الذين كان يزودهم بمعلومات يقدمونها لجهات الأمن، ومع ذلك لم يقترب حسن البنا من هذا المال في حياته الخاصة، صحيح أن أحد السكري تسأل ذات مرة كيف ينفق حسن البنا على ثلاثة بيوت. ومن أين له ذلك.. «يه هو» فضلاً عن بيت الوالد والوالدة ثم إخوته. لكن الواقع أن السكري قال ذلك تحت الغضب، فهناك بعض إشارات إلى أن أسرة زوجته، «عائلة الصولي» بالإسماعيلية كانت تساهم مالياً في بيت ابنتهم زوجة حسن البنا.

وفي إدارته للجماعة كان قابضاً على كل شيء، وينشغل بكل كبيرة وصغيرة، حين انشق عليه جماعة شباب محمد، وكذلك أحمد السكري وجهوا إليه اتهامات بأنه لا يعمل بمبدأ الشورى، وأنه يعلن أن الشورى اختيارية للمحاكم أو القائد، يعملها أو لا يعملها، أي ليست ملزمة له، وأنهم ضجوا من أسلوبه، ولكن يبدو أن الأمر كان أكبر من ذلك ويمتطئ آخر لديه، يكشفه محمود عساف في مذكراته، حيث يقول «كان الإمام الشهيد إذا وقع اختياره على شخص ما ليكون مساعداً له أو أميناً على سر من أسرار الدعوة، يختبره أولاً في إخلاصه وصدقه، ثم يبين له بالتجربة معه ما إذا كان صالحاً أو غير صالح للعمل الذي يوكل إليه، فإذا نجح يختبر مرة أخرى ليتعرف على قدرته على تحمل المسؤولية وعلى الإخلاص والصدق في النصيحة»^(١).

ثم يقدم عساف تفاصيل الاختبار «كان يسأل الشخص المرشح سؤالاً: هل إذا حدث انقلاب في الإخوان وأبعد حسن البنا، هل تظل تعمل في الجماعة؟» ثم يقول عساف «كان هذا السؤال يلح عليه حيث انشق بعض الإخوان من قبل معارضين فكر الجماعة، مثل شباب محمد وغيرهم». ويعلق محمود عساف على موقف هؤلاء المنشقين بالقول: «لم يحس أمثال هؤلاء بمدى تجسيد الدعوة في شخص حسن البنا وما أتم به خلقه الرفيع وسلوكه السوى المتزن. ومن كان مثلهم فإنه يجيب بأن

(١) محمود عساف، مرجع سابق، ص ٦١.

الدعوة باقية، وحسن البنا زائل ولعل هذا يكون ردًا معقولاً لصاحب الشكر السلطحي. فيقول له الإمام: وماذا لو حدث ذلك في حياة حسن البنا؟».

والواضح، من كلمات محمود عساف، أن حسن البنا كان يتخوف من حدوث انقلاب عليه من داخل الجماعة.

ترى هل يمكننا القول إن ذلك التخوف الذي داخله، هو ما جعله يبالغ في سرية التنظيم الخاص، حتى أنه أخفى أدق أموره عن كثيرين داخل الجماعة، بمن فيهم بعض المقربين منه، وأن اختبارات السرية والولاء الشخصى له، كان من ورائها الاطمئنان التام لهم، وأنهم يمكن أن ينفذوا ما يأمرهم به، ذات يوم، حتى لو كان ضد أقرب المقربين، هل خطر في بال حسن البنا أنه قد يضطر يومًا أن يستعين برجال التنظيم وعملياته الإبراهيمية ضد من يمكن أن يتمرّد عليه داخل الجماعة وخصيصًا له، وأنه لم يستبعد ذلك، وأن مهام التنظيم لم تكن تصفية خصوم الداعية والدعوة خارج الجماعة وفى الحياة العامة فقط، بل تصفية الخصوم داخل الجماعة، إذا ظهروا يومًا ما..

عمومًا يبدو أن ذلك التخوف الذى يشير إليه محمود عساف صراحة، هو ما جعل المرشد العام، بكل ما لديه من قدرة على التحدى والمراوغة يسلم بكل مطالب جماعة شباب محمد، حين هموا بالانفصال عن الجماعة، إذ وافق على إعطائهم «مجلة التذير»، كان يريد أن يتخلص منهم سريعًا، حتى لا يتحولوا إلى عدوى تنتشر داخل الجماعة، خاصة أن ملاحظاتهم عليه كانت مخيفة، ولم يكن بمقدوره الرد عليها، كانوا يرون ويعرفون كل ما يقوم به، خاصة فى تعاملاته وعلاقاته السياسية، ولم يستطع الرد عليهم أو مواجعتهم، كانت الوقائع كاملة لديهم، وكانوا شهودًا عليها.

غير جماعة شباب محمد كانت هناك مشكلة أخرى مع أحمد السكرى الذى كان الرجل الثانى فى الجماعة، وكان شخصية قوية، وله أنصار داخل الجماعة، ولم يكن موافقًا على «العداء الصليبي» الذى يجمّله حسن البنا للوفد، وكان يرى أن هذا العداة لصالح أطراف أخرى مثل الملك والإنجليز، وكان رأيه أن يتفرغ البنا للدعوة

والجماعة ويرك له هو المجال السياسي، وهذا ما لم يكن يقبل البناء مجرد التفكير فيه؛ لنا نرى به البناء واقعة عبد الحكيم عابدين، كان السكركى على رأس المطالبين بطرد عابدين من الجماعة، لكن البناء يفصله نهائياً من كل مستويات الجماعة، ويبدو أنه قرر أن يجعل الولاء له جزء من الإيمان والولاء للجماعة، ويشرح محمود عساف تجربته في هذه التجربة، حين قرر حسن البناء أن يختاره معه «أميناً للمعلومات ومظلتاً على أسرار النظام الخاص». فطرح عليه السؤال نفسه، حول ماذا لو حدث انقلاب على حسن البناء وكانت إجابة عساف «إن دعوة الإخوان المسلمين بغير حسن البناء ستكون شيئاً آخر غير دعوة الإخوان التى تعلمناها وعرفناها وتربينا فيها». ولم تكن الإجابة كافية للمرشد، لكنها لم تكن سلبية، لذا راح يشرح له وجهة نظره أو يقدم نظريته في ذلك «انظر يا محمود... إن الإيمان بالإسلام يقوم على شهادتين: لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ولا تصلح الشهادة الأولى وحدها ليصير الشخص مسلماً. ذلك لأن النبى صلى الله عليه وسلم يتجسد الإسلام فى شخصه، ويمكن الإحساس به فى خلقه وسلوكه ﷺ. فإذا آمن الشخص بالآله إلا الله، ولم يؤمن بأن محمداً رسول الله، فهو كأهل الكتاب الذين يؤمنون بالله فقط، ولا يعترفون برسول الله ﷺ».

وما ينطبق على الإسلام ينطبق على الجماعة أو الدعوة كما كان يسميها، وما يتعلق برسول الله ﷺ فى الدين يتعلق به هو أيضاً فى الجماعة، إذ يقول «يجب أن يكون الإيمان بالذكورة وصاحبها معاً، فلسنا جمعية ولا تشكيلاً اجتماعياً. إن كنا كذلك فلا أهمية للقائد، ويمكن أن يكون أياً من أعضاء الجماعة أو الجمعية أو التشكيل. أما ونحن دعوة فلا بد من الإيمان بها والسير على نهج داعيتها والعمل على تطبيق أفكاره حتى نشقنا به عن رضا»^(١٦).

(١٦) محمود عساف، ص ٦٢.

(١٧) المسار السابق، نفس الصفحة.

ولعل هذا يفسر لنا إصرار حسن البنا على رفض الحزبية والأحزاب، فللمحزب رئيس ينتخب لفترة محددة، ثم يعاد انتخابه وقد يتقدم غيره عليه، وهو معرض لأن يختلف معه الأعضاء، أما حين تكون المسألة دعوة وداعية، فلن يكون خروج عليه دون الكفر، ولذا أطلق على مذكراته «الدعوة والداعية» وربط بينهما تمامًا وجعل كل منهما مكتملة للأخرى، فلا دعوة بلا داعية، ومن الناحية العملية تصبح الدعوة هي الداعية أو مجسدة فيه، وهذه الفكرة من الناحية الإسلامية تنتمي إلى الفقه والفكر الشيعي في القام الأول، وما قاله البنا للصباغ يذكرنا بما كان سائدًا في الحزب الشيوعي السوفيتي زمن ستالين تحديدًا، فقد كان الإيمان بزعامة ستالين تساوي الإيمان بالنظرية الماركسية والعكس صحيح.

والواقع أن حسن البنا لم يكن رجل فقه ولا فكر، بل كان رجل عمل وحركة في القام الأول، هو في الميدان دائمًا، وما يقوله عن تجسد الدعوة في شخص الداعية تكشفه في مذكراته، حين قرر أن يختار نائبًا له في الإسمايلية يحمل محله إذا ما انتقل إلى القاهرة، وكان الإخوان يلحون عليه في ذلك، يقول «أريت الفكرة وجهه، فشفقت حينًا، وأخيرًا رشحت لهذه المهمة أحدهم، وهو الأخ الشيخ علي الجداوى، وهو من أفضل الإخوان خلقًا ودينًا وعلى قدر مناسب من العلم والمعرفة، حسن التلاوة لكتاب الله، جيد المشاركة في البحث، دائم الدرس والقراءة، مع أنه من أسبق الناس استجابة للدعوة ومن أقربهم إلى قلوب الإخوان»^(١).

والواضح أن هذه الصفات كلها حددوها وقرروها البنا نفسه، لكن كان هناك من لم يسترح لهذا الترشيح والاختيار، فالشيخ الجداوى «نجار» وطلب إليه المرشد أن يترك مهنته ويتفرغ ليكون إمامًا لمسجد الإخوان. «فيقول المرشد» أؤمن بفائدة التفرغ للعمل «وتقرر أن يمنح مكانة شهرية تكفيه من «مال الدعوة».

(١) راجع مذكرات الدعوة والداعية، ص ١٥١.

المُرشد يختار ويقرر وحده ويهاجم من يعترض، وكان هناك من أبدى اعتراضاً على اختيار المُرشد، أتى على الشيخ الجداوى ويقول هو عن ذلك الذى اعترض «هو يرى نفسه أكفأ وأعلم وأقدر وأكثر أهلية لهذا المنصب من هذا التجار؟ وأبى الشيخ على الجداوى فى علمه وموهبته من فضيلته، وهو يحمل شهادة العالمية من جهة ويجسّن قرض الشعر ويجيد الخطابة والقول ويعرف كيف يبشر الدعوة ويتصل بالناس»^(١١).

اعترض هذا الرجل، وطعن فى اجتماع الجمعية العمومية، ووجد بين أعضاء الجماعة من يناصروه فى موقفه، فاعتبره المُرشد متآمراً وأنه ومن معه يحدّثون فتنة فى الجماعة، والراضح أن الشيخ الجداوى نال ثقة المُرشد، بينما الآخر لم يكن يتمتع بهذه الثقة، رغم أن الشروط الموضوعية تقول إنه الأصلح وربما الأكفأ. ولو أن المُرشد لم يكن استبدادياً ولا متسلطاً ولا يوحد الدعوة فى شخصه، لفتح باب الترشيح أمام الجميع ولوضع شروط للمرشح، لكنه اختار وقرر ثم عرض الأمر على الإخوان ونال موافقتهم، إنه تصرف دكتاتورى بحت، ولننظر كيف تعامل المُرشد مع المعترضين وكيف يتحدث عنهم. يقول «لم أرد أن أؤاخذهم بقسوة، أو أعاجلهم بعقوبة، أو أباعد بينهم وبين إخوانهم بإقصاء، أو فصل، ولكنى أثرت التى هى أفضل وأجل»^(١٢).

سوف نلاحظ أنا «الأنا المنفردة» حاضرة هنا بقوة، فهو الذى يقسو ويعاقب وهو صاحب قرار الإقصاء والفصل، لن نجد مجلساً للإدارة أو للشورى يتخذ القرارات أو جمعية عمومية، ولن نسمع منه أن هناك تحقيقاً ومحققين يحال إليهم هؤلاء الأعضاء، ولا شؤوناً قانونية تتولى الأمر، هناك شخص واحد فقط ... سلطة واحدة... قرار واحد، يتخذ المُرشد حسن البناء.

(١١) المرجع السابق، ص ١٥٢.

(١٢) المرجع السابق، ص ١٥٤.

سوف نجد ما يثبت اقتناع المرشد وحرصه على أن يمسك بكل الأوراق بين يديه، في رسالة من رسائله، تعود إلى ٢٤ من صفر ١٣٥٨ هـ ٣ أبريل ١٩٤٠ م، بحث بها إلى «أخي الحبيب أحمد أفندي» وتحدث إليه باستفاضة على الورق قائلاً «سأنتي لماذا؟ ولماذا لا أتفرغ للمهمات الأهم وأدع المهمات الصغيرة... الخ» ومثل هذه الأسئلة تثير في نفسي شجناً كامناً وألماً دفيناً، ليس أحب إلى نفسي من هذا التفريغ ولكن هذه المهام الصغيرة نفسها هي الآن مشكلة دعوة الإخوان ودارهم ومحور حركتهم إذا لم ألاحظ المطبعة والجريدة والدار والنظافة والاستقبال وحسن النظام فمن يلاحظ هذا؟^(١)

ومحاول حسن البنا أن يتوسع في الإجابة ليقول لأحمد أفندي «أنا أعلم جوابك ستقول لي (أنا) أو مثلي، جميل جداً». ثم يواصل الشرح والإضافة «أحب أولاً أن نتفق على أهمية هذه الشؤون الصغيرة التي نراها نحن فعلاً صغيرة فالأذان ليس الإجزئية من جزئيات الدين الهينة ولكنه يقاتل عليه وإذا لم يجد الإمام مؤذناً فهو المؤذن - أليس كذلك؟ - ونحن نريدها دار يسودها النظام وعملاً تهيمن عليه الدقة». ثم يضيف «أحب أن نتفق أيضاً على أن الموظف وحده لا يكفي للقيام بهذه الأمور لأنه يحتاج إلى من يراقبه لأمرين : أقللة الاهتمام المركز في نفوس الناس جميعاً وقللة الدراية والخبرة والكفاءة، وإذاً فلا بد من رأس دقيق يشرف على كل هذه الشؤون»^(٢).

نحن نجد رجلاً مشغولاً بالتفاصيل ويرى أنه هو وليس أحد غيره يتابعها ويشرف عليها، وعنده لا تقل الفروع أهمية عن القضايا الرئيسية، ومظاهر الدعوة لا تنفصل عن جوهرها، ولا بد من رأس يشرف ويتابع كل هذا، والمعنى أنه هو ..

(١) د. عبد العظيم الطمى : ١٩ رسالة من حسن البنا إلى قيادات الدعوة الإسلامية، ص ٧٦، دار الأنصار بالقاهرة ١٩٧٩ م. ولم يحاول د. الطمى القيام بدراسة هذه الرسائل وتحقيقتها لمرقة أسماء وشخصيات من تبادل معهم البنا هذه الرسائل وما تشير إليه تلك الرسائل من قضايا.

ذلك الرأس، والأخطر من ذلك أن المرشد يكشف عدم ثقة الآخرين، حتى الموظف المبنى لعمل ما، لا بد من مراقبته، ليس شكاً فيه، لشخصه، لكن لأن الناس جميعاً - كذا - يتمتعون بثقة اهتمام، وذلك مترکز أو مترسب في نفوس الناس جميعاً، وكأنهم خلقوا هكذا، وهم أيضاً بلا دراية ولا خبرة، ولا بد أن يكون هناك شخص وإنسان استثنائي، يختلف عن الناس جميعاً ويتميز عليهم جميعاً، وهذا الرجل الاستثنائي - هنا - هو المرشد، سوف نلاحظ أنه يقطع في رسالته أن أحداً لا يمكنه القيام بتلك المهام سوى واحد من اثنين، المرشد ومن يتحدث إليه، وأتصور أنه ذكر من يتحدث إليه من باب المجاملة أو اللباقة في الكلام، لكن تفاصيل الرسالة تقول إنه هو وحده الذي يجب أن يجمع كل الأمور بيديه، أمور الدعوة وحتى الإشراف على شؤون مقر الجماعة! إنما مرة ثانية تجسد الفكرة والدعوة كلها وأمر الجماعة في شخص واحد فقط.

★ ★ ★

حين وقع الخلاف داخل الجماعة بين المرشد الثاني المستشار حسن الحظضي وعدد من رجال الإخوان، انفصلوا عن الجماعة، وتحديدًا قام المرشد الثاني بتوقيع نوازلهم، في البداية كانوا أربعة وكان من بينهم الشيخ محمد الغزالي، الذي كتب مذبلاً بالمرشد الثاني وبطانته، كتب الشيخ الغزالي «قال لي ذات يوم، واحد من أقرب رجال المرشد إليه: إن الإيمان بالقائد جزء من الإيمان بالدعوة، ألا ترى أن الله ضم الإيمان بالرسول ﷺ إلى الإيمان بذاته - جل شأنه؟ ذلك لأن المظهر العملي للطاعة والأسوة هو في اتباع القائد اتباعاً مطلقاً!!»^(١)، ويواصل الشيخ الغزالي القول «الستدرك عملي يقول: لا أعني بهذا أن أسوى بين المرشد والرسول في حقيقة الطاعة، إنما أقصد دعم مشاعر الولاء نحو الرجل الذي يحمل راية الدعوة، فأنا أضرب مثلاً فحسب»^(٢).

(١) راجع محمد الغزالي: من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث، ص ٢٤٦.
(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

ويذكر الشيخ الغزالي واقعة أخرى وقعت في أحد المساجد «من المضحك أو المبكى أن يجتلب الجمعة في مسجد الروضة عقب فصلنا من المركز العام من يذكر أن الولاء للقيادة يكفر السيئات وأن الخروج عن الجماعة يمحق الفضائل، وأن الذين نابذوا المرشد العام عادوا إلى الجاهلية الأولى لأنهم خلعوا البيعة»^(١).

كان الشيخ الغزالي يذكر هذه الوقائع من باب التنديد بالمستشار حسن الهضيبي، لكن الواقع أن الهضيبي لم يكن مسؤولاً عن هذه الأفكار، ولا هو الذي بثها في أتباعه، لأن هؤلاء الأتباع تربوا في الجماعة وكانوا فيها قبل أن يصبح الهضيبي مرشداً عاماً، ولم يكن الهضيبي صاحب كاريزما أخاذة حتى يؤثر في الأعضاء على هذا النحو خلال عامين فقط، هؤلاء تربوا في مدرسة حسن البنا وتشربوا آراءه وأنكاره، وما ذكره أحد القريين من الهضيبي للغزالي وإن لم يذكر اسمه، هو نفس الذي سمعه محمود عساف من حسن البنا، قبل ذلك بسنوات وربما بالحرف وبالكلمة، والمعنى أن هناك مناخاً عاماً في الجماعة خلقه حسن البنا من تفرد المرشد بكل شيء، وأكاد أقول تقديسه، إنها السلطة المطلقة، حين تلتفت بآراء وبأفكار دينية، وتنتهي عملياً أن تتم مساواة المرشد بالرسول ﷺ، فإن كان الإسلام لا يصح بدون الشهادة بنبوته محمد وأنه رسول الله، فكذلك لا يصح الانتفاء إلى الجماعة واعتناق أفكارها، إلا بالإيمان بشخصية المرشد العام، وسوف نجد أنهم لا يستعملون للحديث عن الجماعة، مصطلح الجماعة، بل يقولون «الدعوة» رغم أن هذا المصطلح ينسب تاريخياً إلى رسول الله ﷺ، وظلال المعنى تبقى في النفس حتى وإن استعمل المصطلح في غير سياقه.

ونعرف من مذكرات د. عبد العزيز كامل أن المرشد الثاني حسن الهضيبي، هاله ضعف المستوى الثقافي والفكري الذي عليه معظم أعضاء الجماعة، وأنه لذلك استعان

(١) المرجع السابق، ص ٢٤٠.

بالشيخ محمود شاكر ليعلمهم ويتفهمهم، فلم يوقروا، ولم يحتمل هو جهلهم، فتركهم بأننا منهم، متخليًا عن المهمة التي أراد منه المستشار القيام بها، هؤلاء كانوا هم من «اختارهم ورباهم» حسن البنا بنفسه..

والواقع أن نفر من المحيطين بحسن البنا تشربوا كلامه عن نفسه وأوغلوا في فهمه، حتى لم نجد أحدًا منهم يوجه كلمة انتقاد واحدة للبنا، لم يشعر أي منهم أنه ارتكب خطأ ولو صغيرًا، يهاجمون عبد الرحمن السندى وما قام به، وينسون أن حسن البنا هو الذي صنع السندى وأطلق يديه، قد يكون ارتكب بعض الشطط، لكن البنا هو من وضعه على الطريق وأطلق له العنان.. وإذا كنا وجدنا كتابًا للأطفال عن البنا يحمل عنوان «حسن البنا... مؤسس الدعوة الإسلامية» فهذا يكشف نظرهم إليه، ولنتأمل أحد أعضاء التنظيم الخاص، وهو أحمد عادل كامل وهو يصف حسن البنا يقول «لم يكن رضى الله عنه بالطويل ولا بالقصير وإن كان إلى القصر أقرب. ولم يكن بالرفيع ولا بالسمين وإن كان عمتًا رباحًا، ولم يكن أبيض ناصع البياض ولا أسمر بين السمرة ولكنه كان سواء بين ذلك»^(١٦).

ثم يقول أحمد عادل كامل «لم يكن فيه أي شيء غير عادى.. ولكنه وبكل تأكيد كان فيه سر غير عادى ليس من السهل أن تدري ما هو»^(١٧).

هذه اللغة وتلك المقدرات ليست معاصرة، لكنها تذكرنا بكتاب السيرة في زمن البعثة النبوية، حين كان يصف بعضهم رسول الله ﷺ أو بعض الصحابة، لكن عصرنا مختلف، لم يعد مقبول أن نقول عن أحد إنه ليس بالطويل ولا بالقصير، فلدينا مقاييس الآن لتحديد الطول... متوسط الطول. أميل إلى القصر وهكذا.. بل الأدق من ذلك كله أن يذكر طول الشخص طبقًا للقياس، وهو التبع، فنقول طوله ١٧٠ سنتيمترًا مثلاً.. ثم يقول عنه «ليس في الإسلام واسطة بين العبد وربّه وليس فيه

(١٦) راجع أحمد عادل كامل: النقط فوق الحروف، صفحة ٧٨، ط ٢، سنة ١٩٨٩م.

(١٧) راجع السابق، نفس الصفحة.

كهوتية، وليس عندنا رجال دين يغفرون للمذنبين ويبيعون فدادين الجنة للمصالحين. ولكننا إزاء «إمام» قل نظيره بين أئمة الهدى النادرين في أرض مات أحيائها وضل أصحابها. ويصل إلى القول «ولقد كان موقفاً يوم اختار لنفسه لقب (المُرشد العام للإخوان المسلمين) فقد كان يهدى حقاً إلى الرشد»^(١). ولبت ذلك الأخ تذكر قول الله تعالى لرسوله الكريم «إن الله يهدى من يشاء»، لكنه لا يتذكر ولا يتوقف! إذ يقول عن حسن البناء كذلك «...يصغر الواحد منا في نفسه كثيراً ويحس أنه لا شيء أمام عملاق ضخم صنعه الله على عينه واصطنعه لدعوته فلا يجد أحداً حرجاً ولا غضاضة أن يقر أنه في حاجة إلى هذا الرجل ليرشده»^(٢).

هذا مجرد نموذج من الكتابات عن حسن البناء، لا أريد أن أتوسع فيه، عند أحد عادل كامل وعند آخرين من إخوانه، تشعر معها أنك بإزاء حالة من التأليه، وأنهم يريدون تزييه شيخهم وإمامهم عن كل ما هو إنساني، «والحقيقة أن حسن البناء يتحمل جانباً كبيراً من المسؤولية عن هذا كله، فكل الذين حاولوا إبداء آراء مخالفة لأرائه أطلع بهم خارج الجماعة بسرعة شديدة وقسوة بالغة، كما فعل مع أحد السكري ود. حسن إبراهيم وآخرين، ولم يبق حوله إلا أولئك الدراويش والمريدين.. الشهورين الذين لا يملكون سوى الانبهار به والتسبيح بفضائله وكأنه نبى مرسل من عند الله وليس فرداً حاول أن يجتهد فيصيب ويخطئ.

ولأن الشيخ البناء كان محاطاً بمجموعة من المبهورين أو المنسحقين أمامه، ومعظمهم كانوا شباباً صغاراً، وبلا عمق أو تفقه في علوم الدين، فلم يجد من ينهيه إلى خطورة ما يقوم به وما يفعله، صحيح أن الله تعالى جعل شهادة أن لا إله إلا الله تكتمل بشهادة أن محمداً رسول الله، لكنه لم ينتبه إلى عدة أمور، أن الشهادتين تؤسان ديانة وتقيان عقيدة، وأن محمداً ﷺ حين طلب من أتباعه الشهادتين لم يكن

(١) المرجع السابق، ص ٨٥

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة

بأنى شيء من عنده ولا من هوواه ولا كان يريد زعامة لنفسه، بل كان يتفقد أمراً إلهياً،
لأنه الوحي وسجله القرآن الكريم في أكثر من آية..

وقد تعرض المسلمون لاختبار قاس في هذا الصدد، شاء الله به أن توضع النقاط
على الحروف، فحين توفي رسول الله، أخذ الحزن بمجامع المسلمين، ولم يتصور
بعضهم أن يغادروهم النبي، هكذا بسرعة، فلم يكن النبي حين انتقل إلى الرفيق الأعلى
عجزاً ولا كان مستأ، كان مريضاً وكانوا ينتظرون له الشفاء من الله، وكانوا
يؤمنون الشفاء عاجل، لكن حل قضاء الله، فغضب من غضب، ووجدنا عمر بن
الخطاب يحمل سيفه ويعلن: من قال إن الرسول مات ضرب رأسه بسيفه، وكادت
أن تحدث الفتنة، إلى أن جاء أبو بكر الصديق.. الحكيم الحاسم، والذي رافق الرسول
طوال رحلته وتشرب روح الدين والعقيدة، فوقف يخاطب المسلمين في صلاة،
ويضع مبدأ ناجحاً.. من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات.. ومن كان يعبد الله فإن
الله حي لا يموت.. والمعنى أن الإيمان بالله باق وأن المطلوب في الشهادتين هو الإيمان
بسيرة محمد ورسالته وليس لشخص محمد ﷺ، فيما بعد حين انتقضت تلك الأمانة،
راجع أحد الصحابة عمر بن الخطاب فيما بدر منه لحظة وفاة النبي، فقال عمر كما
حاء في تاريخ الطبري «كانت فتنة وقانا الله شرها» لكن فتنة حسن البنا لم نجد من
يكشفها في البداية، لم يراجع أحد من المحيطين، وهو لم يذكر ما ذكره لمحمود
عساف علناً وأمام الكافة، لعل أحد من العلماء يناقشه ويصحح له، كان ذلك
النور لديه عن دوره هو، وأهمية الإيمان به، جزءاً من عالمه الخفي، والباطن؛ لذا ظل
يسير في صمت بين أتباعه، حتى ظهرت تجلياته عند المرشد الثاني حسن
الطوسي مع عدد من إخوانه، وروى الشيخ محمد الغزالي ما رواه، وإلى اليوم لم يحدث
فصل بين الدعوة وصاحبها، وتلك واحدة من أسباب ضعف وعثرات جماعة
الإسماعيل إلى اليوم، فلم يخرجوا بعد، من عبادة حسن البنا، وليسوا قادرين على ذلك
حتى الآن

القصاص الثاني كتحقيق

من الشهيد ومن القاتل ؟

في ٨ ديسمبر ١٩٤٨م أصدر محمود فهمي النقراشي رئيس الوزراء قرارًا بحل جماعة الإخوان المسلمين، بعد أن ثبت لديه ولدى حكومته وجهاز الأمن أن الجماعة وراء التفجيرات وأعمال العنف التي تمت في الفترة التي سبقت اتخاذ قرار الحل، وأبرزها اغتيال المستشار أحمد الحازندار واغتيال اللواء سليم زكي، فضلًا عن تفجير شركة الإعلانات الشرقية وغيرها....

وأقيمت للنقراشي جنازة حاشدة بدا فيها تأثر شباب الحزب السعدي لمصرعه، واعتبروه شهيدًا، كان النقراشي أحد أبطال ثورة ١٩١٩م وحكم عليه الإعدام، لكن لم يتم تنفيذ الحكم، وكان مثلاً للجهاد وللزاهة، ثم انشق عن الوفد هو وأحد ماهر معتبرين أن النحاس باشا يخرج في زعامته للحزب عن خط الزعيم سعد زغلول وأسسًا للحزب السعدي، وكان ماهر قد اغتيل سنة ١٩٤٥م، وهكذا جاءت جريمة اغتيال النقراشي لتجدد الأحرار، لذا كان الإخوان قد أطاحوا برأس مطالبين بالانتقام والثأر دم بدم.. رأس برأس، وإذا كان الإخوان قد أطاحوا برأس الحزب السعدي، فيجب أن يطاح برأس الإخوان حسن البناء، ولكني نعرف حجم نגיעة السعديين فقد أصدر أحد شباب الحزب وهو نظمي لوقا كتابًا بعنوان «ريحانة الشهداء» قدم له عباس محمود العقاد، وذهب نظمي لوقا إلى حد مقارنة استشهاد النقراشي باشا في مبنى وزارة الداخلية، بين ضباط الأمن ورجالهم، بما حدث للمحسين بن علي وسط أتباعه يوم كربلاء.. الكتاب أصدره الحزب وهو يفيض حبًا ولوعة لما

جرى لرعيهم ومؤسس الحزب: النقراشي باشا، والمعنى أن المشافقات التي جرت يوم الجنازة لم تكن تعتبر عن انفعال طوارئ أو حزن عابر، بل عن رغبة حقيقية في التآمر والانتقام، وقد ازداد الشعور بعد ذلك حين جرت محاولة لاغتيال حامد جودة (باشا) وهو لم يكن سعيديًا فقط، بل كان من أقارب النقراشي، أي أن الأسرة بكاملها مستهدفة، فيما بعد تبين أن محاولة اغتيال جودة قام بها التنظيم الخاص، وأنهم أخطوا السيارة، فقد كان المقصود إبراهيم عبد الهادي رئيس الوزراء الذي خلف النقراشي وكان أيضًا سعيديًا. أي أن الحزب بكامله مستهدف من التنظيم الخاص الذي أسسه حسن البنا.

الوحيد، داخل الإخوان، الذي أدرك خطورة الأمر وأن شلال الدم بدأ، هو حسن البنا نفسه، وأدرك أنه هو نفسه المستهدف، فقد ازداد أعداؤه وبدا للكثيرين خاصة داخل جهاز الدولة، المسؤول الأول عن هذه الجرائم، حاول البنا التوسط إلى كل من أمكن له الوصول إليه، راجيًا حيتًا ومستعطفًا حيتًا وبكيتًا مرة ثالثة، لكن لم يجد أي استجابة، فقد فات ميعة التوسلات ولم يعد هناك مكان للدموع، لقد فتح أبواب جهنم وتصور أن مفاتيحها بيديه، وخانه ذكاؤه، فالمرء يمكنه أن يشعل النار، لكن ليس بالسهولة نفسها يمكن أن يطفئها ولا أن يجدد ما الذي سيصيبه وأين تنفخ؟ غنى البنا أن يتم اعتقاله، وطلب ذلك من بعض من سعى لديهم، ولعله تصور أن الاعتقال يمكن أن يهدئ الأمور وأنه قد ينجيه من دعوات التآمر والانتقام التي باتت موجهة لديه. وفي الأيام الأخيرة اشتد به الحوف بعد أن تم سحب مسدسه المرخص. ولنا أن نساءل كيف لشيخ أن يحمل مسدسًا مرخصًا في مدينة مثل القاهرة؟ ولذا أقدم على خطوته الأخيرة بأن أصدر بيانًا يدين فيه قتلة النقراشي، حمل عنوان «ليسوا إخوانًا وليسوا مسلمين»، فأضاف إلى كارهيه فريقًا جديدًا هم أولئك الذين اتهمهم في عقيدتهم الدينية وقال عنهم «ليسوا مسلمين»، وهم من داخل جماعته ومن التنظيم الخاص الذي أسسه وأشرف عليه هو نفسه.

بعد اغتيال النقراشي بشهر ونصف الشهر جرى اغتيال حسن البنا وهو يوم
يتركب التاكسي في شارع الملكة نازلي - رمسيس حالاً - أمام مقر جمعية الشبان
السنين وعلى مقربة من مقر نقابة المحامين والصحافيين، الرصاص الذي أطلق على
بنا لم يقتله، لذا تم نقله إلى مستشفى قصر العيني لمحاولة إنقاذه، لكن لم تتم
المحاولة، فقد مات في نفس الليلة، وقد تولت النيابة العامة التحقيق في الحادث فور
وتويعه، وبعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م بيومين فقط، أي يوم ٢٥ يوليو، وقبل أن
يتنازل الملك فاروق عن العرش يوم تم استدعاء المتهمين وأعيد التحقيق وصدر
الحكم على الحياة في ٢ أغسطس ١٩٥٤م، من قاموا بالاعتداء على البنا نعرفهم، لكن
إلى اليوم وبعد مرور ٦٣ عامًا على الحادث فإننا لا نعرف على وجه التحديد من كان
 وراء العملية.. من أمر بها.. من كلف التنفيذ؟!!

وفي الجرائم السياسية قد لا يكون الفاعل المباشر هو العنصر الأهم في الجريمة،
ربما يكون الأقل أهمية، الفاعل المباشر هو المهم من الناحية الجنائية فقط، وهو غالباً
بناك العقوبة المقررة بخصوص القوانين، لكن الأهم بعد ذلك هو من فكر وخطط..
ولها من قرر تصفية المراد تصفيته وأمر بالتنفيذ.. وهناك جرائم سياسية كثيرة في
التاريخ وفي معظم البلدان، لم يعرف - بعد - على وجه التحديد من كان وراءها،
لذا حالة اغتيال الرئيس الأمريكي جون كينيدي الذي اغتيل سنة ١٩٦٤م،
والقاتل «أندرو لاده» معروف منذ لحظة وقوع الجريمة وتم الإمساك به واعترف
بوقوفه، لكن من حرضه؟ من وقف وراءه ودفعه إلى اغتيال رئيس أكبر دولة؟
ولماذا؟ هذه كلها تساؤلات بلا إجابة حتى هذه اللحظة، رغم صدور أكثر من عشرة
آلاف كتاب تحارل البحث في هذا الموضوع.. هناك أيضاً عملية مصرع الأميرة ديانا
والشاب دودي الفاييد داخل سيارتهما، ظاهراً الأمر أنه حادث سيارة عادية وقع لها
دليل القتل، ومع ذلك تشير معظم الدلائل إلى أن الحادث مبرر، ولم يعرف إلى اليوم
من وراء تلك العملية، ويبدو أنه لن يعرف خلال السنوات القادمة.

حالة حسن البنا واحدة من هذه الحالات، وأغلب الظن أننا لن نعرف - على وجه اليقين - من كان وراء العملية، خاصة أن كل الأطراف وقتها في ذمة الله الآن. ما لم يظهر وثيقة تشير إلى ذلك بوضوح، وقد لا تكون هناك وثيقة أو وثائق، لأن الجرائم من هذا النوع، أو ما يعرف بالجريمة الخفية، يكون التكليف بها والتخطيط لها شفويًا وليس بناءً على عقد موقع أو تكليف كتابي، وقد يكون التكليف الشفوي ليس مباشرًا، بل بالرمز والتلميح دون القول الصريح، وربما يكون التوجيه بشفر؛ معينة، يفهمها المكلف بالعملية.

عدم الوصول إلى من وراء اغتيال البنا يعود إلى أكثر من سبب في مقدمتها شخصيته هو، وطبيعة مسلكه وممارساته السياسية، وتعدد أوجهه.. فقد كان له أكثر من وجه:

الأول: وجه الشيخ أو رجل الدين، صحيح أن حسن البنا لم يكن فقيهاً ولا عالماً قدم اجتهاداً في حياتنا العامة أو الخاصة، لكنه حمل راية الإسلام .. «القرآن دستورنا..»، كان داعية وخطيباً قاذراً على اجتذاب الجمهور، خاصة من ذوي الثقافة الدينية المحدودة.

الثاني: السياسي، وقد كان الرجل سياسياً بالمعنى الكامل للكلمة، وإن شئنا الدقة كان سياسياً بالمعنى الرديء للكلمة، كان براجماتياً إلى حد الانتهازية، وكان متقلباً في تعاملاته وارتباطاته، نسق مع الوفد واستفاد من حكومة الوفد سنة ١٩٤٢م، ثم انقلب عليهم، أيد إسماعيل صدقي وهتف له طلاب الإخوان في الجامعة وساند حسن البنا اتفاق صدقي - بيضن، الذي رفضه أغلب المصريين، أيد النقراشي باشا ثم انقلب عليه وقتله رجاله.

الثالث: كان للرجل ظاهر وباطن، وكل منهما يتناقض الآخر، لم يمدح أحد الملك فاروق قدر امتداح حسن البنا له، ولم يعلن أحد تأييده للعرش كما فعل هو،

حين توفي الملك فؤاد سنة ١٩٦٣م تَعَتَّه مجلة الإخوان بعبارات جاء فيها «مصر تتخذ اليوم بدرها في الليلة الظلماء، ولا تجد النور الذي اعتادت أن تجد الهدى على سناه» وتساءلت المجلة التي كان يشرف البنا بنفسه عليها «من للفلاح والعامل من الفقير يروى غلته ويشفى علته. ومن للدين الحنيف يرد عنه البذع. ومن للإسلام يعز شوكته ويعلى كلمته. ومن للشرق العربي يؤسس وحدته ويرفع رايته؟»، وهذا الذي قالته المجلة لا يخلو من نفاق للديوان الملكي، فما قالته المجلة كان بعيداً عن صورة الملك لدى الشعب، لكن النعمي أقرب إلى كلام إنشائي وبلاغى، وإذا أخذناه بمعيار إنجازات الملك فؤاد وسياسته لوضعناه بضمير مستريح في خانة الكذب السياسي، ولكن ترتب على هذا النعمي أن دعى حسن البنا وإخوانه للمشاركة في استقبال الملك فاروق فور عودته من لندن، عقب وفاة والده، وتقدم البنا الحائقين «هيك بيعتنا وأولادنا»، وفيما بعد منحت صحف الإخوان الملك فاروق الكثير من الألقاب والصفات مثل «حامي المصحف .. أمير المؤمنين.. فخر الشباب .. القدوة الحسنة .. الأسوة الحسنة..» وغيرها، ويحاول المرشد الثالث عمر التلمساني أن يبرر تلك المواقف بالقول إنهم كانوا في بداية حكم الملك بأملون فيه خيراً أن يصلح حال البلاد، لكن التلمساني تناسى أن موقف الإخوان من الملك لم يتغير وموقف حسن البنا تحديداً، على الأقل في الظاهر وفي العلن، ظلوا ينهالون عليه بالنساء والديح، حتى وجدنا مجلة الإخوان المسلمين في نهاية حرب فلسطين الأولى تنشر صورة الملك غلافاً لها، وتحتها عبارة أنها تنشر بمناسبة عودة «جيشه المظفر من فلسطين». وكان ذلك كذباً محضاً.

سار حسن البنا خلف الملك، حين أيد الإنجليز أبدهم، ولما أُرسل مع الألمان وحملر هتف لهم، وعندما صادق الأمريكان سعى إليهم، كل هذا لا يؤاخذ به حسن البنا، فمن حق أن يساند الملك وأن يقف خلفه، لكنه منذ سنة ١٩٤٠م يسعى إلى

اختراق الجيش، وكان الملك يعد ذلك خيانة له، كان ضباط الجيش يقسمون على الولاء للوطن وللعرش وكان حسن البنا يأخذهم يقسمون قسمًا آخر، على المصحف والمسدس، كان البنا يجترق جيش مولانا الملك بخلايا سرية، فقد تحدث عبد اللطيف البغدادي أن حسن البنا أراد له وعده من زملائه سنة ١٩٤٠م أن يتدججوا في جماعته ويصبحوا خلية لها داخل الجيش، ورفض البغدادي، لكن غيره لم يرفض فقد انضم بعضهم إلى الإخوان، باختصار في الظاهر أيد حسن البنا الملك تمامًا، كان ملكيًا أكثر من الملك، حتى أنه حين وقع حادث القصاصين للملك، قاد وفدًا من الإخوان إلى القصاصين لتسجيل تهمة بسلامة جلالاته في سجل الشريفيات، وعاد لتتجدد مجلته بعض الزعماء الذين لم يتحركوا إلى القصاصين، وهكذا تخريض سافر للملك وللديوان الملكي على هؤلاء الزعماء، وفي الباطن يسمى إلى اختراق الجيش... ما بين الظاهر والباطن مسافة ضخمة وبونا شاسعًا، والواضح أن الملك اكتشف ذلك واتبه إليه ميكرا.

ويبدو أن حسن البنا كان يتصور أنه أذكى من الجميع، وأنه سوف يجذع الجميع، لكن في لحظة اكتشف الجميع خطره، ركب سيارة اللواء سليم زكي لتهدة المتظاهرين، وبعدها ألقي طلاب الإخوان على سليم زكي قبيلة فقتلوه، ترك رجاله يقتلون الحازندار ثم أصدر بيانًا يأسى فيه لمقتل الحازندار وفي البيان كلمات مبطة تعطي مبررًا للقتل، وحين حدثت المواجهة بينه وبين قائد التنظيم الخاص عبد الرحمن السندي أصر الأخير أنه أخذ أمرًا مباشرًا من المرشد بتنفيذ العملية، وتوصل المرشد إلى أن المستشار قتل خطأ، ولذا وجب على الجماعة دفع الدية، لكنه تراجع عن الدفع لأن الحكومة دفعت تعويضًا لأسرة القتل، هكذا ببساطة، تصور أن الأمر انتهى، لكن محمود فهمي النقراشي أصر على اتخاذ موقف حاسم من جماعة البنا، ولأن كل منها كان المحطة الأخيرة بالنسبة إلى الآخر، يحسن أن نتوقف عند العلاقة بينها وما فيها.

في صيف سنة ١٩٤٧م تقرر أن يسافر رئيس الحكومة محمود فهمي النقراشي إلى واشنطن ليعرض على الأمم المتحدة القضية المصرية مطالباً بجلاء القوات البريطانية جلاء تاماً عن مصر والسودان وإنهاء النظام الإداري للسودان، وكان معنى ذلك أن الحكومة المصرية قررت تدويل القضية الوطنية، بعد أن يست من إمكانية التوصل إلى حل أو تفاهم مع الإنجليز، وكان المصريون توقعوا خيراً أنه بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية فإن باب التفاوض سيفتح مع الإنجليز للتوصل إلى صيغة ينطبق بها استقلال مصر، لكن الإنجليز لم يبد منهم استجابة حقيقية، ولم يكن هناك بدبل عن قيام ثورة جديدة على غرار ثورة ١٩١٩م ولم تكن الأمور مهبةً لذلك، فالثورات لا تقوم بقرار رسمي؛ لذا تقرر أن تلجأ الحكومة إلى هيئة الأمم لتطالب بحقوقها في الاستقلال، وكانت الشعوب تتوقع من الهيئة الدولية، فور تأسيسها أن تتدخل لمساعدتها في نيل الاستقلال.

كان الملك فاروق والديوان الملكي مسانداً بقوة للنقراشي في مهمته، واندفعت السيارات الناصرة للقصر إلى مساندة النقراشي، كان الملك يريد أن يكون هناك شيء أو إنجاز إيجابي تحققه الحكومة ويتقدم به إلى الشعب، كانت صورة الملك قد أخذت في الاهتزاز وكانت السيارات الماثورة للقصر أخذت تشتد، وكان الملك قلقاً من ازدياد السيارات والجماعات اليسارية، صحيح أنهم لم يكونوا أغلبية، بل قلة، فإن الملك كان مصاباً بغويا الماركسية، وكانت المشكلات الاجتماعية تتفاقم وتزداد حدة؛ لذا وقف الملك بكل ثقله خلف النقراشي في مهمته... في المقابل كانت هناك عقبة كبرى أمام النقراشي تمثلت في حزب الوفد وزعيمه مصطفى النحاس، كان الوفد يرى أن القضية الوطنية هي قضيتة الأولى بامتياز وأن التفاوض مع الإنجليز شأن يخصه هو، وليس مسموحاً لأحد غيره القيام به، سعد زغلول هو الذي تفاوض حتى الحصول على تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢م والذي أقر فيه الإنجليز باستقلال مصر، حتى لو اعتبر استقلالاً منقوصاً وهو كان كذلك بالفعل، ومصطفى النحاس هو الذي

تفاوض مع الإنجليز وتوصل إلى معاهدة سنة ١٩٣٦م، ومن ثم فالتفاوض محال هو، فضلاً عن ذلك كان الوفد حزب الأغلبية، ومن ثم فإن من يسمى إلى التفاوض يجب أن يحظى بمساندة الأغلبية، ليدرك الطرف الآخر أن الذى أمامه يمثل الرأى العام فعلاً، وهذا ما دعم سعد زغلول والنحاس فى تفاوضهما مع الإنجليز، ولم يكن التفاوضى تنقصه الوطنية، بل كان مبرراً فى هذا المجال، وتاريخه يشهد له، يكفي أنه أحد أبطال ثورة ١٩١٩م، ولم يكن ممكناً للوفد أن يطعن أو يشكك فى وطنية التفاوضى، لكن الطعن جاء من أن الحزب السعدى هو من أحزاب الأقلية، ومن ثم فإنه لا يمثل الأغلبية ولا يعبر عن رأى الأمة، ولا يصح أن يتفاوض باسمها. وكان النحاس عتيداً ومتصلاً فى هذا الجانب؛ لذا راح يحارب التفاوضى، وينظم المظاهرات ضده، ووصل الأمر أن أرسل الوفد بريقة بتوقيع النحاس إلى الأمم المتحدة يعلن فيها أن التفاوضى ليس مغولاً للتفاوض باسم المصريين وأنه لا يعبر عن الأمة المصرية.. ومن حقنا أن نتساءل حول هذا الموقف، ماذا لو وقف النحاس خلف التفاوضى وساندته أو لم يتأوته ويضع العراقيل أمام مهمته، هل كان التفاوضى سيحقق نتائج إيجابية ويتبرع الاستقلال؟ وهل كان موقف الوفد سبباً من أسباب فشل تلك المهمة؟ هل كان الوفد غير مرحب بالاستقلال إذا جاء عن غير طريقه وإذا لم ينسب إليه؟ وهل كان شعار «الاحتلال على يد سعد أفضل من الاستقلال على يد عدلى» يتكرر ثانية مع اختلاف الشخصوس والأسماء؟!

كان لا بد من قوة جماهيرية تساند التفاوضى وتتصدى لما يقوم به الوفد، ولم يكن هناك غير الإخوان ومرشدتهم حسن البنا الذى خاض الحركة بنفسه، فقد أرسل إلى هيئة الأمم المتحدة بريقة مضادة لبرقية النحاس جاء فيها «التفاوضى باشا يمضى ومن معه إلى مجلس الأمن بتأييد شعب وادى النيل وعلى هدى من الإيذان الوطنى». وقاد البنا مظاهرات ضخمة تحركت من أمام الجامع الأزهر ضمت شباب الجماعة وهتفوا تأييداً للتفاوضى وهجوماً على الوفد وزعيمه.. وتحذرت بعض التقارير الأجنبية عن أن رجال البوليس يسروا الأمور للمظاهرات وعملوا على حمايتها.

وانطلقت مجلة الإخوان المسلمين التي كان يرأس تحريرها صالح عشاوي،
 وكل الجماعة - نائب المرشد - تشيد بالنقراشي وتهاجم الوفد والنحاس، كتب
 عشاوي تحت عنوان «بيان النقراشي باشا» قائلاً «كان يوم الثلاثاء ٥ أغسطس يومًا
 مشهودًا في تاريخ مصر فقيه استمع العالم إلى صوت مصر على لسان رئيس وزرائها،
 يسط قضيتها، ويطلب بحقوقها، ويوضح مساوئ الاستعمار البريطاني الفاشم في
 شال الوادي وجوبه» وأضاف في مقاله «كان خطاب النقراشي باشا الذي استغرق
 إنقاؤه ساعة وأربعين دقيقة خطابًا بليغًا وصفه جرو ميكو مندوب روسيا بأنه هام
 جدًا ومماز كما أجمع رجال الصحافة الأمريكية بل والبريطانية والأجنبية على أن
 النقراشي باشا قد عرض قضية بلاده ببراعة كبيرة». ثم انتقل في مقالات تالية
 ليهاجم المعارضين للنقراشي ثم يخص الوفد بالهجوم، ووصل في هجومه حد اتهام
 المعارضة بالخيانة، بما يذكرنا ببعض كتاب السلطة في زماننا، ففي مقال حمل عنوان
 «الطابور الخامس» .. كتب «كان الواجب الوطني ويحتم والمعارضة النزينة تقتضي
 بتأييد الحكومة في موقفها. والوقوف من ورائها صفاً واحداً ضد الغاصب، ولكن..
 هل بين رجال المعارضة وطني يفهم واجبه! أو معارض يعرف حق أمته؟ لقد
 كشفت المعارضة عن وجهها قناع النفعية والرياء، وظهرت خيانتها سافرة بغير
 طلاء».

وجن أرسل مصطفى النحاس برقيقته إلى الأمم المتحدة ضد مهمة النقراشي،
 كتب صالح عشاوي مقالاً بعنوان «خيانة حزب الوفد» بدأه هكذا «يمثل حزب
 الوفد في مصر دور الطابور الخامس. ما في ذلك شك. ولقد قام على هذا الاهتمام أكثر
 من دليل». ويقول «حزب الوفد الذي يرأسه زعيم قديم حقوق هو السيد مصطفى
 النحاس باشا لم يشأ أن ينسجم مع الحكومة والأمة المصرية في هذا الظرف الحرج، بل
 أرسل برقية شخصية حقيرة إلى مجلس الأمن يزعم فيها أن النقراشي باشا ووفده
 لا يمثلون الأمة المصرية». ثم يقول «إن الوطنيين العرب يعتقدون أن برقية النحاس

الأخيرة إلى مجلس الأمن لا تقل إجرامًا ولا خيانة لمصر عن موقفه يوم ٤ شباط (فبراير)، هذه الكلمات كانت وردت في مقال بجريدة الحوادث «التي تصدر في حلب ونقلها صالح بنصها. وأبني مقاله بالقول «جلوا هذا الحزب فقد قام على خيائته لمصر أكثر من دليل». وتوالت المقالات على هذا النحو...

كان هجوم الإخوان على الوفد ساحقًا ومتجاوزًا كل ما تعارف عليه الأدبيات السياسية في ذلك الوقت، الأمر الذي يدعونا إلى التساؤل هل كان كل هذا لصالح النقراشي أم تعبيرًا عن كراهية عميقة ودفينة لدى الجماعة تجاه الوفد وزعيمه... لقد أخطأ النحاس باشا وكان عيبًا، لكن النقراشي نفسه لم يتهم الوفد ولا زعيمه بالخيانة، ففي مقال الطابور الخامس ترد فقرة تكشف الكراهية للأحزاب وللحزبية عموماً «مصر بلد لم يستكمل استقلاله بعد فلم يكن هناك معنى لتعدد أحزابه وتفرق جماعته. ولكنها أمانة الزعماء وحب الرياسة التي جعلت الأمة شيئاً وأحزاباً، كل حزب بما لديهم فرحون».

كان نايبد البنا شخصيًا وقيادته لمظاهرة تهتف للنقراشي، وتأييد جماعته لانتباه وشغل المراقبين من المصريين ومن الأجانب، فنجد «جيفرسون باترسون» القائم بالأعمال الأمريكي في القاهرة، يبعث بتقرير إلى الخارجية الأمريكية في واشنطن محاولاً تفسير تلك الحالة، جاء فيه «ربما يكون السبب ناشئاً عن الحرب السائدة بين الإخوان والوفد، والصحافة المحلية تزعم أن السبب الحقيقي يرجع إلى المبلغ الضخم الذي دفعه النقراشي باشا لحسن البنا من المصروفات السرية». الصحافة المحلية، أي الصحافة المصرية، ورد في بعضها أن المبلغ حوالي عشرة آلاف جنيه مصري. ويضيف باترسون القائم بالأعمال الأمريكي في الرسالة - الوثيقة - التي لرحها ونشرها عمن عمده في كتابه «من قتل حسن البنا؟» «يبدو واضحاً أن هذا المبلغ دفع فعلاً وقد أحدث تأثيراً لدى قادة الإخوان».

وفى طريق عودته من واشنطن نظمت الجماعة استقبالا شعبيا مهيبا للقرائشى
بإسراع الخاف له... وإياها كانت التفسيرات لموقف الإخوان من القرائشى، هل بسبب
الحمل الضخم الذى تلقاه البناء من المصاريف السرية أو كراهيته فى الوفد ورغبته فى
الكيد له أو تعاطفا مع القضية الوطنية، فقد كانت العلاقة بين الجانبين فى يوليو
وأغسطس ١٩٤٧م، فما الذى جرى بعد ذلك كى يقدم القرائشى على حل الجماعة فى
٨ ديسمبر ١٩٤٨م، فترد الجماعة باغتيال القرائشى بعد عشرين يوما ولم تكد قضى
مدة شهر ونصف حتى لقي البناء نفس المصير، ليتم اغتياله بطريقة أقل كفاءة من
اغتيال القرائشى!٩

دوافع القرائشى إلى حل الجماعة معروفة، فقد كثرت أعمال العنف والإرهاب،
ما أدخل بالأمن ويات رئيس الحكومة مطالبًا بالحفاظ على الأمن، خاصة أنه هو نفسه
وزير الداخلية، وقد تزايدت أعمال العنف فى عهده، وكانت أصابع الاتهام تشير إلى
الإخوان وتنظيمهم الخاص، ففى مايو ١٩٤٧م تم تدمير سينما مترو وسينما ميامى
وسقط من المواطنين قتلى وجرحى، وفى يناير ١٩٤٨م استطاع البوليس أن يضيظ فى
القطم ١٦٥ قبيلة وعدة صناديق بها أسلحة، واشتبك البوليس مع عدد من شبان
الإخوان كان على رأسهم سيد فايز أحد قادة التنظيم الخاص، وفيها بعد سوف يكون
فايز من بين المتهمين فى قضية اغتيال القرائشى، وهو نفسه سوف يرب عبد الرحمن
السندى - فيما بعد - محاولة فاشلة لاغتياله، حين أراد المرشد الثانى حسن الحظيى
تعييه على رأس التنظيم بدلا من السندى. وقد قال الشبان فى التحقيق إن هذه
الأسلحة جمعت من أجل فلسطين لذا أفرج عنهم فورًا، وكان شيئًا لم يحدث، وهذا ما
جعل عددًا من الكتاب، من بينهم سلامة موسى يتهمون القرائشى بتدليل حسن
البناء وجماعته. بعد ذلك تم تفجير حارة اليهود بالقاهرة ونسفت بعض منازلها، وقال
عمود عساف إن الهدف كان تخويف اليهود فقط، لكن الواقع أن هناك منازل هدمت
ومواطنى أبرياء قتلوا، وذكر صلاح شادى فى «حصار العمر» إن العملية كانت رداً

على مذبحه «دير ياسين» وهو منطق معوج، فالرد على مذبحه دير ياسين لا يكون في حارة بالقاهرة، يقطنها مواطنون مصريون. وفي سبتمبر ١٩٤٨م تم نصف جزء من حارة اليهود القرائين، وكان ذلك عملاً في منتهى الغباء والعنصرية، ذلك أن اليهود القرائين في مصر كانوا ضد قيام الدولة الصهيونية وعلى اليهود أنفسهم - وبعدها تم تدبير الدولة خطر حقيقي على الديانة اليهودية وعلى اليهود أنفسهم - وبعدها تم تدبير شركة الإعلانات الشريفة.. وكان قد تم يوم ٢٢ مارس اغتيال المستشار أحمد الحازندار، وفي ٤ ديسمبر ١٩٤٨م تم اغتيال حكمدار القاهرة اللواء سليم زكي، وكانت تلك الجريمة هي القشة التي قصمت ظهر البعير، فصمم النقراشي على حل الجماعة.

وجد النقراشي أن زمام الأمن يفلت من يديه، الإنجليز يحملونه المسؤولية والحكومة غير قادرة على حفظ الأمن فكيف لها أن تطالب بالاستقلال؟! الملك كان قلقاً.. والنقراشي نفسه له خبراته في ذلك، لقد عايش أيام سعد زغلول ورأى ما جره على مصر اغتيال «سيرلي ستاكي».. ثم وجد رفيق عمره أحمد ماهر يتم اغتياله ومن بعده قاض كبير ثم حكمدار القاهرة، وكان الأمن قد أمسك بالسيارة الحبيب التي كشفت للأمن حجم التنظيم السري وما لديه من خطط وأسلحة؛ لذا قرر اتخاذ خطوة جريئة بحل الجماعة، ولم يواجه قراره اعتراضاً من الداخلية، كما يردد البعض، ولكن طلب مرتضى المراغي، الذي سيصبح وزير الداخلية فيما بعد، من النقراشي تأجيل القرار، حتى يضع جهاز الأمن يده على كل الخلايا السرية للجماعة ويضبطوا كل الأسلحة التي لديهم. لكن الناصر داخل النقراشي رفض تمامًا وأصر على إصدار قرار الحل، ويبدو أن خبرته الخاصة بالإخوان وحسن البنا لعبت دوراً، لقد وجد أنهم ساندوه بقوة، وقاد حسن البنا مظاهرة لناصرته، لكنهم بعدها مباشرة قاموا بأعمال العنف، والمعنى عنده أن هؤلاء يمكن أن يقوموا ويضعوا أي شيء، وأنه لا رادع لديهم، ولا معايير يقتضون عندها، هم ساندوه حين دفعت حكومته لهم، وما أن انتهت

الهمة انقلبوا عليه، باختصار هتاف ماجور أقرب إلى مرتزة العمل السياسي، وخطورة هؤلاء البشر حين يتملكون السلاح، وهم امتلكوه، ودرجوا جيشاً ولديهم جهاز مخبرات خاص، وإذاعة سرية خاصة بهم لا تعرف الحكومة عنها شيئاً، أصبحوا دولة داخل الدولة، لذا لم يكن غريباً أن يذهب حسن البنا إلى مرتضى الرافعي عمداً من حل الجماعة ومهدداً النقراشي نفسه .. وتوقع النقراشي أن يتم اغتياله، وتحقق ما توقعه، ففي يوم ٢٨ ديسمبر قتلته طالب الطب البيطري عبد الحميد حسن في مدخل مبنى وزارة الداخلية، وكان الرد باغتيال البنا نفسه.

من أطلق الرصاص على حسن البنا ليس مجهولاً، عرف من يومها وتمت عماكته وسجن بعد ثورة ١٩٥٢م، لكن لم يتفق أحد على من كان وراء العملية، فقد تعد خصوم البنا. حتى بين أنصاره لم يتم الاتفاق في هذا الأمر، المرشد الثالث عمر التلمساني جزم بأن الملك فاروق شخصياً هو الذي أمر بتصفية البنا، وذهب البعض منهم إلى القطع بأن الملك ذهب إلى القصر العيني بنفسه وألقى نظرة على جثمان البنا ليؤكد ويرى بعينه أنه مات.. ردد الشيخ عبد الحميد كذلك ذلك على المنبر مراراً ونكرازا، الوقائع تؤكد أن الملك ليلتها كان مشغولاً بأمر آخر، ولم يذهب إلى القصر العيني، لكنه أبلغ بالواقعة وهو في إحدى سهراته.

فريق آخر داخل الجماعة اهتم رئيس الوزراء إبراهيم عبد الهادي، الذي خلف النقراشي، وكان عبد الهادي سعدياً مثل النقراشي، وكان رفيقاً للنقراشي من أيام ثورة ١٩١٩م، وقد أراد الانتقام لصديق عمره وفعلها.. فئة ثلاثة منهم تتهم بريطانيا وأمرىكا وإسرائيل، أو الصهيونية العالمية والصليبية الحاقدة، وكان على رأس القاتلين ذلك سيد قطب، استناداً إلى أن حسن البنا ومشرعه كان يهدد هذه القوى ويخيلها. آخرون مثل الشيخ محمد الغزالي علقوا المسألة في رقة أحزاب ما قبل ١٩٥٢م كلها.

وسوف نلاحظ أن هؤلاء جميعًا لم يقدموا دليلاً واحداً ولا واقعة بمعينها تدل على ما يقولون به، وهذا التوسع في إلقاء التهم من الملك إلى رئيس الوزراء أو الأحزاب كلها والقوى الأجنبية، يعنى باختصار أنه لا أحد على وجه التحديد، ولو أن هؤلاء جميعاً أرادوا اغتيال البنا، فهذا يعنى أن المشكلة كانت فيه هو... وأنصار البنا جميعاً كانوا يعبرون عن مشاعر حزن وغضب فقط، ومن هؤلاء الشيخ أحمد حسن الباقورى الذى ذهب فى ذكرياته إلى أن «الدولة من أكبر رأس فيها إلى أصغر موظف من موظفيها اغتالت المرشد العام» ويلتقى مع هذا القول منشور صادر بعد أيام من الاغتيال، يحمل توقيع الإخوان، جاء فيه «الجنة المجرمون هم شياطين يشبعون شهواتهم على حساب الشعب، هم أولئك الذين منحوا التراخيص للمعاهرات، ونظموا وأشرفوا على بيوت الدعارة يبيع الخمر وترددوا على المواخير، وأباحوا الربا وقبلوا الرشوة، وسخروا من الفضيلة وأرسلوا نساءهم إلى الملاهي والمراقص العامة، اغتالوا البنا لأنه كان خطراً عليهم يهدد بتقويض سلطتهم». وفات من حرروا هذا المنشور أن هؤلاء جميعاً هم الذين تركوا البنا يعمل قرابة العشرين عاماً وسمحوا لجماعته أن تكبر وتنمو، بل ساعدوه وساندوه.

وفى العموم لن نجد كاتباً من كتاب الإخوان يتحدث عن حسن البنا إلا وقد وجه اتهاماً إلى جهة ما بالمسؤولية عن مقتل حسن البنا.

★★★

خارج الإخوان ذهب الاتهام إلى طريقين، طريق عبرت عنه صحف مصرية مثل «الأساس» لسان حال السعديين وأخبار اليوم والأهرام، وقد اتهمت التنظيم الخاص لجماعة الإخوان بأنه هو الذى أقدم على هذه الجريمة وأنهم هم من قاموا باغتيال حسن البنا، تأسياً على أن البنا كان يعمل ليل .. نهار كى تعود الجماعة إلى العمل، وأنه كان على وشك الإقضاء بأسائهم وأسرارهم للدولة، وأن ذلك كان الطريق الوحيد لمعودة الجماعة إلى العمل، وقد كان البنا عبر فى الأسابيع الأخيرة عن خطته الشديد

بأن نج بالجماعة في العمل السياسي، وأنه لو قدر له العمل ثانية فسوف يكتفى بالدعوة إلى مكارم الأخلاق والتمسك بالدين الحنيف، وأنه يمتنى لو كان ربي مائة ثاب يعملون في سبيل نشر دين الله عن حق، يلقي بهم الله..

كان هناك تفكير داخل وزارة الداخلية، بين من يتابعون القضية إلى هذا الاتجاه في التفكير. أي أن رجال التنظيم الخاص الذين قال عنهم البنا «ليسوا مسلمين» هم الذين اغتالوه، وقد تردد أن حسن البنا وصله خطاب تهديد بعد إصدار ذلك البيان، ويعد ما تردد أنه سوف يسلم النقراشي قائمة بأسمائهم. وقد استنكر بعض كتاب الإخوان ذلك التفكير.

فطريق آخر خارج الإخوان، ذهب إلى أن اغتيال البنا قام به السعديون، فقد كانوا مصممين على النار والانتقام للإهانة التي لحقت بهم وقتل زعيمهم، ولم يكن يرضيهم سوى رأس البنا نفسه «رأس النقراشي لا يساويها إلا رأس البنا»، وكان السعديون هم الذين يتولون الحكومة ويتولون وزارة الداخلية، وكان الملك فاروق نفسه يعيل إلى هذا الاتجاه، أي نسبة الأمر إلى السعديين، فقد سأل القائم بالأعمال الأمريكي في القاهرة جلالة الملك إن كان يعتقد - كما رددت بعض الصحف المصرية - أن النظام الخاص للجماعة وراء الاغتيال، فرد الملك بأن الأمر لم يخرج عن السعديين، وطبقاً لهذا القول يصبح التساؤل من بين السعديين تحديداً.. هل من هم داخل الحكومة أم من هم خارجها؟!

ولنحاول أن تناقش هذه الاتهامات، فيها يخص الملك فاروق، ثابت أن الديوان الملكي والقربين من الملك قرروا بعد حادث ٤ فبراير ١٩٤٢م اتخاذ خطوات لتحطيم الوفد انتقاماً - لمولانا - من قبول النحاس لحكومة ٤ فبراير ١٩٤٢م رغم أنف الملك، وكان على رأس هذا الفريق أحد حسنين باشا رئيس الديوان وعلى ماهر، اتجه

حسين إلى إحداث الواقعة بين النحاس ومكرم عبيد، ونجح في ذلك^(١)، كان الانجاء الآخر هو الاستمانة بحسن البنا وتقويته للحط من شعبية الوفد، وقد عمل على ذلك كل من على ماهر وأحمد حسين معاً، وقد التقطها بذلك أو بانتهازية حسن البنا، فقد سمى البنا إلى الضابط محمد أنور السادات كى يرتب له لقاء مع يوسف رشاد (يوسف رشاد الذى كان يتزعم فريق الاغتيالات الخاص بالملك)، وتم اللقاء بالفعل، وأراد البنا من يوسف رشاد أن ينقل إلى جلالة الملك رسالة مفادها أنه وجماعته مخلصون للعرش ولجلالة الملك شخصياً، لكن الملك الذى تصوره كثيرون ساذجاً لم يتبع الطعم، وقال ليوسف رشاد «حسن البنا ضحكك عليك». لم يثق الملك أبداً في البنا ولا في جماعته وإن لم يمانع في أن يستخدمهم الديوان الملكى في بعض الألاعيب السياسية الصغيرة كالانتقام من النحاس والشهير به والوفد، وفي البداية لم يكن لدى الملك مشاعر قلق أو خوف تجاه حسن البنا وجماعته، لكن يبدو أن مشاعر الملك بدأت في التغير في عام ١٩٤٨م.

في منتصف يناير ١٩٤٨م وقع انقلاب في اليمن على الإمام البدر ولا داعى إلى الخوض في تفاصيله الآن وتفاصيل أوضاع اليمن آنذاك، لكن هذا الانقلاب وجد رفضاً وإدانة من الممالك الثلاثة مصر والسعودية وشرق الأردن، وهذا الانقلاب تم بمساندة من الإخوان ومن حسن البنا شخصياً، ويمكن أن يكون الملك فاروق استشعر خطراً من الجماعة ومن حسن البنا، صحيح أن البنا كان دائم التردد على القصر الملكى لتسجيل اسمه في سجل الشريفات الملكية ويترك عبارات التحية والدعاء لجلالة الملك، لكن كانت فصل دلالات مضادة إلى القصر، فالبنا يعلن أكثر من مرة في خطبه أن الملك بالبيعة لا بالورثة، وكان تولى الملك في أسرة محمد على بالورثة، لقد أقر فرسان سنة ١٨٤٠م أن تكون مصر لمحمد على وأن يحكمها أبناؤه من بعده.. وكان حسن البنا دائم الحديث عن عودة دولة الخلافة، وهذه كلها

(١) راجع تفاصيل ذلك في كتاب د. محمد صابر عيسى عن حادث ٤ فبراير ١٩٢

إشارات غير موجهة بالنسبة إلى القصر الملكي، فضلاً عن أن حسن البنا امتدت يده إلى الانقلابات العسكرية، ولم يعد يكفى هو أو رجاله بالهتاف لرئيس وزراء ضد آخر، كما فعل مع إسماعيل صدقي والنقراشى، وبعد أيام من انقلاب اليمين جرت مظاهرات في جامعة القاهرة، أو جامعة فؤاد وقتها، وأسقط المتظاهرون صورة الملك فاروق، وارتفع هتاف في الجامعة «لا ملك إلا الله» وفهم على الفور أنه هتاف إخواني يحد، كل هذا لا بد أن يشير قلق الملك فاروق؛ لذا وجدنا حسن يوسف وكيل الديوان الملكي يذكر في مذكراته أن الملك كان يشعر أن الإخوان خطر على العرش.

وذهب كريم ثابت المستشار الصحافي للملك فاروق، إلى النقراشى للنقاش معه، وطلب إليه النقراشى أن يبلغ جلالة أن الإخوان صاروا أخطر، فقد طُوروا شبكة اتصالات لا سلكية تتيح لهم الاتصال بعيداً عن أعين الحكومة وأذانها، ويبدو أن كريم لم يكن واثقاً كثيراً من مخاوف النقراشى، لكنه ذهب بالرسالة إلى الملك، فتوجه بالأخير يقدم له نتيجة من نتائج السنة الجديدة التي تطبعها مصلحة المساحة، وقد نزع منها صورة جلالة الملك، ووضعت صورة جديدة، أطلق عليها الملك صورة الملك الجديد» أي حسن البنا، وكانت هذه النتائج توزع في دمنهور ويتم تداولها بين أعضاء الجماعة، وقال الملك: النقراشى كان عنده حق، الإخوان يريدون الحكم.

هذه الشواهد كانت مبرراً للقلق والخوف من الجماعة، أو الخذر منها ومن مرشدها، لكن ليست مبرراً للحل ولا للتخلص من البنا، وليس هناك ما يشير إلى أن تفكيراً بهذا المعنى جرى داخل الحكومة، وبدلاً من أن تقوم الجماعة بالتهدة، إذا بطريقة القوة نظهر، خاصة في شهر نوفمبر ١٩٤٨م، حيث تم نسف شركة الإعلانات الشرقية وعدد من المشروعات المملوكة لليهود، ونسف حارة اليهود، وكان تحرير الجماعة أن ذلك يتم من أجل فلسطين، والواقع أن تحرير فلسطين يتم على أرض فلسطين وليس في حارة اليهود بالقاهرة الإسلامية، وهذه التفجيرات تشير

الغضب، لكن في خضم الحماس لفلسطين كان من الصعب أن يرفع صوت قوى مندأ بها. وفي تلك الفترة ضبطت «السيارة الجيب»، وكان البوليس يسمى جاداً إلى مطاردة من قاموا بالتفجيرات والتوصل إليهم، ويبدو أن أعضاء التنظيم الخاص شعروا بذلك، وأن الأمن اقترب منهم فقرروا نقل أرائهم وبعض أسلحتهم من إحدى الشقق إلى أخرى، وضبطت السيارة بالمصادفة، كانت بلا أرقام، اشتهى فيها أحد رجال الأمن، وبسرعة أبلغ وتم اكتشاف أسرار التنظيم الخاص وكانت أسراراً مخفية.

حين ضبطت السيارة الجيب كان البنا في الحج، ولما عاد ذهب كعادته إلى القصر الملكي ليسجل اسمه في التشريفات الملكية داعياً لجلالته، ومتصوراً أنه سيجد في الديوان الملكي الحظن الدافئ الذي اعتاد عليه، لكن الأمور ومعها المشاعر كذلك كانت في طريقها إلى التغيير... ولم يقتنع البنا أو لم يدرك حجم المسألة، ظل مكتئباً بالدعاء والتأييد العلني للملك وإعلان أن جماعته بريئة مما نسب إليها، لم يقل إن بعض أعضاء الحرفوا أو تجاوزوا، لم يذكر شيئاً عن التنظيم الخاص، لكنه أصر على أن الجماعة لا علاقة لها بما نسب إليها. أمام النقراشى وأمام رجال الأمن الثابمين والمطلعين على دخائل الأمور كان البنا أمامهم يكذب، وفي مثل هذه الأمور لا يكون الكذب نقيصة أخلاقية، أو سلوكية لكن له دلائل سياسية أخرى، وتردد وقتها أن النقراشى اتخذ قراراً باعتقال البنا، ولكن تم سحبه خوفاً من رد فعل الجماعة.. ويبدو أن النقراشى بدأ يفكر في حل الجماعة، وصار مقتنعاً أكثر يوم ٤ ديسمبر ١٩٤٨م حين تم قتل حكمدار القاهرة اللواء سليم زكى... ووصلت الأخبار إلى حسن البنا من مصادره وعيونه، في الداخلية، أن عبد الرحمن عمار (بك) وكيل الداخلية بصدده إعداد مذكرة يرفعها إلى النقراشى باشا لحل الجمعية، وقرر البنا أن يتحرك بطريقته القوية، فاتجه مباشرة إلى جلالة الملك الملك راجياً ومستعظفاً، وقفز بذلك على الحكومة وعلى وزارة الداخلية وجهاز الأمن.

وقد كشفت حفيظة النقراشي د. هدى أباطة الأستاذ بآداب عين شمس في كتابها حول النقراشي، عن وثيقتين مهمتين في أوراق جدّها^(١)... الأولى رسالة مطولة بعث بها حسن البنا يوم ١٥ ديسمبر ١٩٤٨ م، إلى جلالة الملك، وذهب إلى الديوان الملكي وسلمها هناك، الرسالة مطولة ومكتوبة على ورق من أوراق الجماعة، بالآلة الكاتبة وتحمل توقيع، ويبدو أنه لم يكن يدري أو لم يتصور أن الرسالة ستحال إلى النقراشي، الرسالة كتبت بعد ٢٤ ساعة من مصرع سليم زكي، ولا تعرف هل قرأها الملك أم لا.. وهل أحيط علماً بها أم لا.. لكن الديوان الملكي أحالها في اليوم التالي إلى رئيس الوزراء، وقال رئيس الديوان واصفاً الرسالة بأنها «التماس تلقاه الديوان من حسن البنا».

الرسالة التماس، تحمل عناصر ثلاثة.. الأول يختص بالتعبير عن الولاء لجلالة الملك والإخلاص للعرش «أصدق آيات الإخلاص وأخلص معاني الولا».

الثاني: الطعن الشديد في النقراشي أمام الملك، وتحريض الملك عليه ومحاولة إحداث وقعة بين الملك ورئيس وزرائه.

الثالث: أنه يتقدم بالالتماس بعد أن نفا إلى علمه أن رئيس الحكومة بصدد اتخاذ قرار حل الجماعة.

يقول البنا: «يا صاحب الجلالة! إن الإخوان المسلمين باسم شعب وادى النيل كانوا يلودون بعرينتكم وهو خير ملاذ ويعودون بعطفكم وهو أفضل معاذ ملتصين أن تفضلوا جلالتكم بتوجيه الحكومة إلى نوع من الصواب أو بإعفائها من أعباء الحكم ليقوم بها من هو أقدر على حملها وجلالتكم الرأي الأعلى». ويقول أيضاً: «يا صاحب الجلالة لا يقوى أبداً دولة النقراشي باشا على أن يضطلع بأعباء التصرف

يما يحفظ كرامة مصر ويصون حقوق هذا الوادى « . وكان قوله الأخير مناقضاً لما لا قاله هو نفسه عن النقراشى قبل عام، ويذهب إلى حد تحميل النقراشى مسؤولية ما جرى في فلسطين في تحن واضح ونفاق مباشر للملك.. المهم في هذه الرسالة أنه يرى الجماعة غامقاً من كل أعمال العنف التى نسبت إليها، غير هذه الرسالة / الاتهامات راجع يبحث عن كل الطرق إلى الملك، جرب قناته السرية «يوسف رشاد» فلم يتمكن، ويبدو أنه أدرك أن طريقه نحو الملك مغلق تماماً، فاستدار بنحو ١٨٠ درجة ليتوجه إلى النقراشى باشا، والواضح أنه أدرك أن الأمور لم تعد سالكة بشكل مباشر مع النقراشى، وبالتالي أكد علم أن رسالته إلى الديوان الملكى أو الالتماس الذى تقدم به إلى الملك أجبل إلى النقراشى وبه كلام سخييف بحق النقراشى، فذهب إلى «حامد جودة» وكان سعدياً ورئيس مجلس النواب وتربطه صلة حميمة وقربة بالنقراشى، استمع إليه جودة جيداً، كان حسن البناء لا يريد قرار الحل، وأكد أن الجماعة تؤدي دوراً دينياً، وأنه سوف يتعدى بها عن السياسة، وتفهم النقراشى ذلك كله، وكانت لديه رغبة في عدم الوصول إلى هذه الخطوة، لكن كانت له مطالب ثلاثة من حسن البناء، وهى أن يدخلهم على أسماء من قاموا بالعمليات الإجرامية التى روعت الآمين فى القاهرة .. فقد كان هناك ضحايا وقتل من المدنيين سقطوا فى تلك العمليات. طلب النقراشى أيضاً أن يكشف لهم حسن البناء عن مخازن الأسلحة التى لدى الجماعة وحجم ما بها من تسليح، وبذلك يضمن النقراشى عدم تكرار حوادث العنف وأن الجماعة - فعلاً - سوف تصبح كما يقول البناء للدعوة فقط، والمطلب الأخير كان أن يعلن البناء لهم مكان الإذاعة السرية التى أقاموها، وكان لدى الإخوان إذاعة تبث من شقة فى باب اللوق، وتقدم برامج موازية لما تقدمه الإذاعة المصرية، وحاولت أجهزة وزارة الداخلية الوصول إلى مقر تلك الإذاعة فلم يتمكنوا .. الغرب فعلاً أن حسن البناء استطاع اختراق أجهزة الأمن وغيرها من الأجهزة الحكومية بتجنيد عملاء من داخلها بينما تفشل أجهزة الأمن فى فعل الشئ نفسه داخل الجماعة.

عرضت مطالب النقراشى على البناء، فرد بكلام لا بد أنه أعاظ النقراشى والمجطين به، اكتفى البناء بالقول إن كل هذه الأمور التى يتحدث عنها دولة الباشا لا يعرف عنها شيء بالمرّة، وكان معنى هذا الكلام أن البنايين أمرين، إما أنه لا يدري شيئاً داخل الجماعة أو أنه يكذب، الأمر الأول كان مستبعداً بالنسبة إلى رجل متسلط وفى قوة شخصية البناء على أتباعه.

النقراشى لم يتلع هذا الكلام نهائياً ولم يصدق حسن البناء، لأن بعض أعضاء التنظيم الخاص الذين قبض عليهم اعترفوا أن كل العمليات التى نفذوها تلقوا بها تكليفاً مباشراً من فضيلة المرشد العام، ومعنى هذا أن المرشد العام كان يكذب على النقراشى، وهذا يعنى عدم جديته فيما يطرح وافتقاده المصدقية أمامه؛ لذا أصر النقراشى على مطالبه من حسن البناء، كى يتوقف عن التفكير فى حل الجماعة. لجأ حسن البناء إلى مرتضى المراغى طالباً منه التوسط لدى النقراشى، وبينما هو يتحدث معه لتفعل مهدياً النقراشى^(١)، ولا نعرف هل قصد أن يصل الغضب والتهديد إلى النقراشى أم يصل إلى المراغى نفسه، فيعمل على تهدئة المراغى، لكن النقراشى كان مصراً.. فقرر أن يذهب إلى مكتب النقراشى باشا طالباً أن يجتمع به.. فقابله عبد الرحمن عمار (بك) وجلسا معاً، وأعد عمار تقريراً رفعه إلى النقراشى - ذلك التقرير هو الوثيقة الثانية التى أتاحها للباحثين د. هدى أباطة - وجاء فى التقرير أن حسن البناء.. تكلم مادحاً النقراشى باشا قائلاً إنه على يقين من نزاهته وحرصه على خدمة وطنه وعدالته فى كل الأمور». كان ذلك عكس ما قاله فى التماسه للملك، حيث قال إن النزاهة وطهارة اليد اللتين يتمتع بهما النقراشى لا تكفيان لتحمله رئاسة الوزارة.. وجاء فى التقرير أيضاً «إنه لو فمكن من مقابلة دوله بعد أن مضت سنتان لم يلتقيا فيها بسبب فجوة آثارها الوشاة لأقنع دوله بأنه من صالح الحكومة والأمة معاً أن يبقى

(١) ردوى مرتضى المرافى الشهيد كاملاً فى مذكراته التى نشرت فى مجلة أكتوبر ثم صدرت فى كتاب مستقل عن دار المعارف.

الصرح للضخم الذي جاهد الإخوان سنوات طويلة في إقامته». تحول الأمر إلى مجرد فجوة ناجمة عن وشاية بينهما وأنه سيقنع الباشا بأهمية الجماعة للحكومة، أي له.

في التقرير ما يفيد أن حسن البنا قام بتغيير إستراتيجيته بالكامل، وبذلك أوحى شديد، في التماس إلى الملك نفى تمامًا أي دور أو مسؤولية لجماعته عن أعمال العنف التي وقعت، واتهم النقراشي صراحة بأنه متحامل على الجماعة ويحاول أن يُلصق بها تهمة تلك الأفعال ويحملها المسؤولية، والمعنى أن النقراشي رئيس الوزراء ووزير الداخلية يبحث عن كبش فداء، يحفظ به ماء وجهه أمام الملك.. لكنه في مكتب النقراشي، قال شيئًا جديدًا، يبدو أنه قرار عدم مجادلة النقراشي في هذا الأمر، وقدم ما اعتبره إغراء للباشا وتنازلًا ضخمًا من جانبه «يريد أن ينتهي إلى دولة رئيس الوزراء بأنه قد عدل نهائيًا عن الاشتغال بالشؤون السياسية، وقصر نشاط الجماعة على الشؤون الدينية كما كانت الحال في بداية قيام جماعة الإخوان وأنه يود من كل قلبه التعاون مع دولة الرئيس تعاونًا وثيقًا مؤيدًا للحكومة في كل الأمور، وأنه كفيل بتوجيه رجاله في كل الجبهات بالسبر على مقتضى هذا الاتجاه».

ويقول عبد الرحمن عمار في تقريره إن البنا «كرر ذلك المعنى وبكى بكاءً شديدًا». والواقع أن أي سياسي مثل النقراشي لم يكن ممكنًا له أن يأخذ بجدية كلام البنا، هو يقرر أنه سيمود بالجماعة إلى ما كانت عليه تمامًا ويترك الانشغال بالسياسة والاشتغال بها، لكنه يمود لينفى ذلك، في نفس الجلسة حين يقول إنه يود التعاون مع رئيس الوزراء وأن يؤيد حكومته، وقد وصف هو التعاون المأمول بأنه «وثيق»، وهذا يحد ذاته قمة الاشتغال بالسياسة، لكن الخطير حقًا في الرسالة ويدين نفسه به ويؤكد اعترافات بعض أعضاء التنظيم الخاص من أنهم تحركوا بأوامر المرشد حين قال لعمار بك إنه كفيل بتوجيه رجاله إلى العمل في هذا الاتجاه، وهذا اعتراف منه أنهم يسبرون بأوامره وتوجيهه في كل ما يقومون به، أو كما جاء في التقرير «في كافة الجبهات». ولم يكن حسن البنا ساذجًا، فلا بد أن يتوقع سؤالًا من النقراشي ومن المحيطين به

من رجال الداخلية.. ماذا عن العمليات التي تمت خاصة وأن هناك ممتلكات أتلقت، وضحايا سقطوا؟ لذا انتهى إلى حل يعفيه هو وجماعته من كل هذه العمليات وإن لم يكرها، وجاء في التقرير «.. أعرب عن أسفه لما وقع من جرائم ارتكبتها أشخاص يرى أنهم اندسوا على الإخوان».

حسم البنا الأمر بسهولة شديدة هو بأسف - مجرد أسف - لوقوع قتل مواطنين أبرياء وسقوط جرحى وتدمير المنشآت .. ومن قاموا بها ليسوا إخواناً بل مناسين عليهم.. من الذي دسهم.. ولماذا .. وقد يدس أحد عنصراً للحصول على المعلومات أو التجسس على الآخرين، كما فعلها البنا نفسه مع الآخرين، خاصة الشيوعيين ومصر الفتاة، لكن من يدس عنصراً للقتل؟

ذهب عمار بالتقرير إلى النقراشي الذي قرأه بعناية وناقش عبد الرحمن عمار في تفاصيله، والواضح أنه لم يكن يريد أن يقابل حسن البنا أو حتى يراه، في أعماقه لم يكن يثق به، كان حسن البنا مثولاً ومتقلباً، وكان النقراشي شخصية حادة ومستقيمة، وعاد النقراشي يؤكد لعبد الرحمن عمار .. إن كان البنا صادقاً فيما يقول فعليه أن يكشف أسرار التنظيم الخاص، وكان من المستحيل أن يكشفه البنا، فلو كشف فهو المدان الأول، هو الرئيس المباشر والأعلى للتنظيم. تابع تفاصيل زبائنه ونموه.. تدريباً وتسليحاً.. وكان التنظيم من ألفه إلى يائه خروجا على القانون، وهو - حسن البنا - كما يقول أتباعه من أعطى الأمر بكل عملية من عملياته، لو كشف التنظيم فسوف يدان أمام القانون، فضلاً عن أنه لا يأمن انتقام أعضاء هذا التنظيم. وهكذا حسم النقراشي أمره واتخذ قرار الحل يوم ٨ ديسمبر ١٩٤٨ م.

نعرف أن مرفضى المرافعى رأى التريث في الحل لأن هناك بعض خلايا للتنظيم وخازن أسلحة ومفرقات لم يتم للأمن التوصل إليها، عدد من الوزراء حذروا لأن الجماعة اختارت الجيش. إبراهيم عبد الحادى رئيس الديوان الملكى كان يرى عدم حل الإخوان، وأنه يمكن الاستفادة منهم خاصة في توجيه نشاط الوفد، واقترح

عبد الهادي الاكتفاء بتحجيم نشاط الإخوان .. والواقع أن التنظيم الخاص أوقع الرعب في نفوس الكثيرين، كان جهاز معلومات وغابرات يقوى جهاز الأمن الرسمي، وكان كذلك جهاز عنف وإرهاب، ورغم كل ما يقال من أنه أنشئ خصيصاً للعمل ضد الإنجليز والصهيانية، فالواقع أنه عمل ضد المصريين فقط، لقد أفهم حسن البنا رجال السفارة الأمريكية أن التنظيم أنشئ للكفاح ضد الشيوعية والشيوعيين في مصر، وكان يأمل من وراء ذلك أن ينتقل هذا الرأي إلى الإنجليز عبر الأمريكان، وسرب شيئاً من هذا إلى الملك، وفي العلن قال للمصريين إنه ضد المحتلين، ولم يكن صادقاً في هذا ولا ذاك، كان التنظيم ضد خصومه وخصوص جماعته أولاً، وضد من لا يسير على نهج الجماعة، حدثني الراحل سيد أبو النجا، في حوار مستفيض بمنزله^(١)، وكان أبو النجا يعمل في مجال الإعلانات منذ عودته من بعثته في إنجلترا، كان يعمل مع محمود أبو الفتح في «المصري»، وكان يعمل أيضاً في شركة الإعلانات الشرقية ليزيد دخله، وذات يوم جاءه استدعاء من التنظيم الخاص أنه مطلوب للمحاكمة بتهمة العمل مع اليهود، وكان تفكيره أن لا يعبر الأمر أي أهمية أو أن يبلغ البوليس إن اقتضى الأمر، واستشار أستاذه محمود أبو الفتح صاحب المصري، فهو يعمل معه، ونصحه أستاذه أن يأخذ الأمر بجدية كاملة وإذا كانوا يطالبونه بالشول أمامه، فليمثل، لأنهم سوف يضايقونه، وربما قتلوه إن لم يفعل، وإذا أبلغ البوليس فلن يتمكن من حمايته، ولن يفعل له شيئاً، وذهب بالفعل مدافماً عن نفسه بأنه أزهري التعليم والثقافة وإنه حين يعمل في شركة مملوكة لليهود فإنه بذلك يحصل على مكان في هذه الشركة مسلم وهو يلتزم في عمله بالقيم الإسلامية.. وانتهى الأمر بالنسبة إليه، أمام قوة هذا التنظيم وأخطبوطيته حذر كثيرون النقراشي، ويكفي أن نعرف أن أربعة خطابات وصلت إلى النقراشي على مكتبه مليئة بالشتم والكلمات البذيئة والتهديد بالقتل إن هو أقدم على حل الجماعة، ولم يعرها أي اهتمام،

(١) جرى الحوار سنة ١٩٩٠م، ونشر على حلقين بمجلة «سواء».

واعتبرها من باب «اللغو»، وتبين بعد اغتياله أن عبد المجيد حسن هو الذى قام بكتابة هذه الخطابات المجهلة، لكن الأخطر من ذلك أن هناك خطابات مشابهة وصلت بمجهلة إلى بيت النفرانى، ولكن هذه المرة ليست له بل إلى زوجته، تهددها ليس بقتل زوجها، بل بما هو أقسى عليها، وهو اختطاف ابنها وابنتها إن أقدم زوجها على أى شيء تجاه الجماعة^(١)، وقد سبب لها ذلك آلاماً وقتلاً فظيماً، خوفاً على ابنها وابنتها من ناحية وخوفاً على زوجها، ومن ناحية أخرى لم يكن من حقها أن تتدخل في عمل الزوج والقرارات التى يتخذها، وليس لها أن تطلب إليه اتخاذ قرار ما أو عدم اتخاذ قرار بعينه.

كان الحصار يشند حول النفرانى، لا تريد الجماعة أن تترك له فرصة، ولا هى ساعدته باتجاه التهدة، بل استمر التنظيم الخاص فى عملياته، لم يردعه المرشد، ومكنت حرب فلسطين التنظيم من جمع وتخزين أكبر كمية من السلاح والذخيرة، وقد استعمل هذا السلاح فى تفجيرات الداخل، من جهة أخرى مارست الجماعة عليه ضغوطاً عنيفة، بدأها حسن البنا نفسه بمهاجمته لدى الملك فى الالتباس الذى تقدم به، ثم فى محاولة استدراار عطفه بالتوسل والبكاء فى مكتبه، فضلاً عن خطابات التهديد له ولشركه، وربما لو كان هناك رئيس وزراء آخر غيره لترث كثيراً فى القرار، لكنه كان عتيداً وثورياً، كان يعرف النهاية، وقالها لمرضى المراغى... آخرتها رصاصتين... وطلب من عبد الرحمن عمار تجهيز مذكرة بحل الجماعة، ويبدو أن حسن البنا لم يتوقع أبداً أن يصدر مثل هذا القرار، ليس فقط بسبب التحذيرات والتهديدات أو الضغوط التى مورست على النفرانى، بل كان يدرك أن الكل سبق وأن احتاج إليه، وأنهم سوف يتقنون فى احتياج إليه، بدءاً من الديوان الملكى ومروراً بيشية الأحرار من الوفد إلى الأحرار الدستوريين والكتلة ثم السعديين، فضلاً عن طريقه المفتوح مع السفارة الأمريكية بالقاهرة والشروع المشترك بينهم فى

(١) هذه الواقعة رويها فى حفيدته النفرانى د. هدى أباطة.

مكافحة الشيوعية، لكنه لم يكن يدرك أنه تجاوز الخطوط الحمراء، وأنه قد يكون هناك احتياج إلى الجماعة، في أداء بعض الأدوار، لكنه لم يعد هناك احتياج إليه هو، وأنه كان عليه - منذ مقتل الحازندار - أن يتخذ خطوات بتحجيم التنظيم الخاص أو حتى تسريحه وإعادة توزيع أعضائه على شعب الجماعة، لكن من جهة أخرى كان هو نفسه بحاجة إلى هذا التنظيم ليخفف به أعداء الجماعة، بل وقمع به أي تمرد عليه داخل الجماعة. كانت القوة عنصرًا مهمًا في تفكيره وخططه، القوة العسكرية بالأساس.

يوم ٢٨ ديسمبر أطلق الرصاص على النقراشي أمام أسانسبر وزارة الداخلية. استقرت ثلاث رصاصات في ظهره، انطلقت من مسدس طالب تنكر في زي ضابط شرطة. هو طالب بكلية الطب البيطرى اسمه عبد المجيد حسن، والغريب أن الداخلية كانت طلبت اعتقاله بتهمة الانتماء إلى الجماعة، لكن النقراشي كان ضد التوسع في الاعتقالات، والغريب أيضًا أن النقراشي كان منح الطالب مجانية في التعليم مدى حياته تقديرًا لوالده الذي كان يعمل بالداخلية.

فوجئ حسن البنا ببرد الفعل على اغتيال النقراشي، حتى أن خصوم النقراشي من الوفدين بادروا باستنكار العملية والهجوم على متفذيها، وصل الرعب إلى الديوان الملكي، حاول البنا في كل الاتجاهات، لكن كل الأبواب أغلقت في وجهه، لم يعد أحد يتق به ولا أحد يأمن إليه، اكتشف الجميع - كل بمقدار - أنهم ربوا وحشًا مدمرًا، وقد بدأ بالتهممهم واحدًا وراء الآخر، بدم بارد، كان البنا يريد تأمين حياته أولاً وإعادة الجماعة ثانياً، وكان الرأي في الأوساط الحزبية والسياسية المصرية أن المشكلة ليست في الجماعة، بل في رأسها حسن البنا نفسه، وتم الخلاص منه في ١٢ فبراير سنة ١٩٤٩ م.

وقد اتهم فريق من الإخوان «الملك فاروق» بأنه وراء اغتيال حسن البنا، وهذا كلام ينتقد إلى أدلة، ويبدو أن بعض الإخوان بلغ بهم الاعتزاز بمرشدهم المؤسس

بأن يكون الملك قاتله، وليس أقل من ذلك، لقد خرج الملك من مصر يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٢م، وتم تقليب أوراقه جيدًا، ولو كان هناك شيء يدينه في هذه العملية لظهر وتم استخدامه، فور خروجه من مصر بدأت حملة تشهير واسعة به، بدأها مصطفى أمين في أخبار اليوم تحت عنوان «ليالي فاروق». ولو كان له صلة بالعملية من قريب أو من بعيد لا سكنت عنه أحد، يضاف إلى ذلك أن الملك كان لديه «الحرس الحديدي» يقوم بالمعاملات القذرة، وكان «الحرس الحديدي» تحت إشراف يوسف رشاد، صديق حسن البنا، وكانت طريقتهم في تنفيذ العمليات مختلفة تمامًا عن الطريقة التي جرت مع حسن البنا، وقصة السيارة السوداء التي كانوا يستخدمونها معروفة، لقد تحدث بعض أعضاء الحرس الحديدي ونشروا مذكراتهم، ولم نجد فيها شيئًا يتعلق بالمرشد العام، ولم يكن الملك غيبًا ليتورط في هذه العملية، كان يعرف أن خصوم حسن البنا كثيرون، وكارهوه ليسوا قليلين، وراغبوا الخلاص منه عديدون، هو نفسه أشار ذات مرة إلى السعديين.

تحدث الإخوان كثيرًا في أدبياتهم عن دور الملك فاروق في العملية وعن الانتقام الإلهي الذي حل به وزوال عرشه، وأن خروجه من مصر كان عقابًا إلهيًا لما حدث مع حسن البنا، والله سبحانه وتعالى لا يدير الكون بهذا المنطق، ولم يكن للملك فاروق دور مباشر في هذه العملية، صحيح أن فاروق لم يكن يثق بحسن البنا، لكن البنا حتى وفاته كان من أشد الناس مدحًا لفاروق.

ويبدو أن رجال التنظيم الخاص كانوا مقتنعين بأن الملك وراء الاغتيال؛ لذا سموا إلى اغتياله، إذ يحكى مرتضى المراغى - في مذكراته - إنه تم العثور على مسدس في جيب عامل الأسانسير الخاص بقصر القبة، وهو الأسانسير الذي كان يستعمله الملك فاروق، ولكن شاءت إرادة الله أن يبيت الملك لينها خارج القصر، وبالتحقيق مع هذا العامل تبين أنه عضو بالتنظيم الخاص للجماعة، وقد واجه المراغى المرشد الثاني حسن الحظي بذلك الواقعة.

واقعة اغتيال النقراشي حلت تحدياً خاصاً لحسن البنا، تمت العملية بينما قائد التنظيم عبد الرحمن السندى مقبوض عليه، وظل عبد المجيد حسن ملتزماً بالصمت. وانجح التركيز إلى مسؤولية البنا المباشرة عن هذه العملية، خاصة بعد أن رفض النقراشي مقابله وتوسلاته، كان اتجاه التحقيق يسير نحو إدانة البنا مباشرة، ويبدو أنه أراد أن يبرز نفسه فأصدر بيانه الشهير «ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين»، ولما حل المحققون البيان إلى عبد المجيد، فكت عقدة لسانه، وجاء في اعترافاته أن العملية نفذت بتعليمات من المرشد، وأنه الذي أقامه بتنفيذها وأثناء بمشروعتها رجل المرشد في التنظيم سيد سابق حيث تلا على عبد المجيد حسن الآية القرآنية الكريمة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا أَنَّ اللَّهَ كَثِيرٌ لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥]. واستدعت النيابة سيد سابق للتحقيق فيها نسبة إليه عبد المجيد فأنكر فثاماً وأدان ما قام به عبد المجيد وتلا قول الله تعالى ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾ [النساء: ٩٣]^(١).

سعى البنا إلى مقابلة إبراهيم عبد الهادي الذي أصبح رئيساً للوزراء بعد النقراشي، وكان البنا يتصور أن بيانه سوف يفتح الباب أمامه، لكن عبد الهادي قالها صريحة لمن يجلس معه قبل أن يعترف بأساء وأعضاء التنظيم ومخازن الأسلحة، فرد البنا بأنه لا يعرف، وعاد البنا ثانية يطلب .. إذا كان رئيس وزراء مصرًا على مطلبه فهو يشترط إما الإفراج عن الأعضاء ليعرف منهم، أو أن يعقل إلى جوارهم، كي يعرف كل شيء منهم، ولم يكن حسن البنا في وضع يسمح له بمعرض شروط، فضلاً عن أن هؤلاء المسؤولين لم يكن لديهم استعداد للاستماع إلى شروط منه، هو ليس مصطفى النحاس كي يشترط، هم اعتادوا منه المديح والتوسل وأن يقدموا له

(١) اراجع د سيد عبد الرازق. محمود فهمي النقراشي، ص ٦٠.

ولجماعته الهبات وأن يقوموا بتوظيفه هو وجماعته في خدمات وأدوار يقومون بها. سوف نلاحظ أن الشرطين اللذين وضعهما البنا كان لهما معنى وحيد، هو أنه يرى نفسه من أي تهمة، ولكن لا يتفهمها عن إخوانه وجماعته، وربما كان يناور لكسب مزيد من الوقت، لإبعاد شبح الموت عنه.

بيان «ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين» واستعداد البنا للتعاون مع الحكومة يكشف التنظيم، هو الذي جعل التفكير يتجه إلى أن رجال التنظيم هم الذين اغتالوه، وهذا أيضاً من باب التوقعات، ربما كان ممكناً حدوث ذلك، لكن الواقع الفعالي أن الذين قاموا بعملية الاغتيال لم يكن لهم صلة بالتنظيم، كانت صلتهم ببعض رجال الداخلية، ولو كان للتنظيم الخاص صلة أو مسؤولية عما جرى لحسن البنا، لما تردد رجال الثورة في كشفها، خاصة بعد أن حاولوا اغتيال الرئيس جمال عبد الناصر في ميدان المنشية سنة ١٩٥٤م، لقد قام رجال التنظيم بمحاولة اغتيال أحدهم وهو سيد فايز، حين أراد المرشد الثاني حسن المصبيعي تعيينه بدلاً من عبد الرحمن السنوسي، وقاموا بمحاصرة حسن المصبيعي في منزله، لكن لم يثبت أنهم فعلوا شيئاً من هذا مع حسن البنا، أقصى ما حدث أن احتد عليه السندى بعد واقعة اغتيال الحازندار، وقيل إن السندى دفع البنا في كتفه وهو يقول له «لقد قلت لي»، يقصد أنه قال له يقتل الحازندار.

لا يبقى سوى انتقام السعديين لزعيمهم أو انتقام بعض رجال الداخلية، كان هناك فريق من السعديين يصبر على النار لقتل النقراشي، لقد شعروا بالإهانة، من طريقة مقتله، وربما كان بعض رجال الداخلية، لقد قتل الإخوان في شهر واحد، حكمدار القاهرة اللواء سليم زكي ثم وزير الداخلية محمود فهمي النقراشي، قيل، وهي روايات شفوية: إن حامد جوده هو الذي تولى إحضار القتلة، وقيل آخرون. لكنها في النهاية أقوال مرسلّة لا يمكن تأكيدها ولا إثباتها، المؤكد أن حسن البنا قتل، وأن الذين أطلقوا الرصاص عليه كانوا محدودى الكفاءة في التخطيط والتنفيذ،

أين تلك العملية مما فعله عبد المجيد حسن.. وهذا يبعد فكرة أن تكون العملية انتقاماً رسمياً من الداخلية، هي على الأغلب انتقام سعدى^(١).

ويبدو أنه كان هناك من يصر على الانتقام للنقراشي، وقد جرت واقعة لم يتوقف أحد عندها، جرت في ليلة ٢٣ نوفمبر ١٩٥٢م، وحققتها مجلة المصور - عدد ١٢ ديسمبر ١٩٥٢م - في ذلك اليوم افتتح الشيخ «حسن الأحمر» في قريته «عين غصين» بالإسماعيلية شعبة الإخوان، ولم تكن الشعبة انتحلت منذ حل الجماعة في ٨ ديسمبر ١٩٤٨م، وفي نفس اليوم تم إطلاق الرصاص على الشيخ حسن في منزله ومات، كان الأحمر من تجار القطن بالمنطقة، وتبين أن قاتله هو حسين هاشم، كان حسين من الشرقية، وذهب قبل الجريمة بأسبوعين إلى الأحمر طالباً أن يعمل لديه، وكان يبيت في مدخل منزل الأحمر.. حامت الشبهات حول أحد الأشقياء في القرية، فاضطر ذلك الشقي أن يكشف كل شيء، وهو أن «الأمر» سجن عامين في الهايكسب؛ لأنه هو من درب عبد المجيد حسن قاتل النقراشي على إطلاق الرصاص وجهوه لتنفيذ العملية، أما من قام بقتل الأحمر والذي ذهب خصيصاً إليه فقد كان حارساً في لسان طرة واستقال من عمله قبل أسبوعين، وذهب إليه، لم يتم أحد وقتها بهذه الجريمة ولم يتابعها أحد بالبحث، لكن الواضح أن القاتل استقال خصيصاً من عمله وذهب إلى هذا الرجل في قريته لينفذ العملية التي قام بها. في التحقيقات اعتبرت المسألة جريمة قتل عادية، لكن الواضح أنه كان مدفوعاً إليها. نحن بإزاء حلقة من حلقات الثأر لقتل النقراشي.

قتل النقراشي أولاً بسبب قرار اغتله ورأى ارتأه، واعتبره أنصاره شهيداً. وقتل حسن البنا في عملية ثأر. وحين قتل كان يقال عنه «المرحوم»، كان وحده يستعمل هذه الكلمة وكان الآخرون يستعملون كلمة «القتيل»، لكن منذ السبعينيات وحين عادت الجماعة إلى العمل أطلق عليه أنصاره لقب «الإمام الشهيد». من الشهيد ومن القتل بالضبط؟ النقراشي أم البنا؟!

(١) ذكر بعضهم أن أرملة النقراشي قدمت هدايا لمن أطلقوا الرصاص على البنا، ودفعت لهم مكافأة مالية، وقد نفت أسرة النقراشي ذلك نقياً تماماً.

الفصل الثالث والعشرون

الفرق في «بجيرة العسل»

في أكتوبر من عام ١٩٠٦م ولد في المحمودية حسن أحمد عبد الرحمن البنا، بعد عام وبضعة أشهر على رحيل الإمام محمد عبده، وأربعة أعوام على رحيل عبد الرحمن الكواكبي، كان كل من محمد عبده والكواكبي يعبر عن مدرسة واتجاه في التفكير، جاء حسن البنا ليكون تقيضاً لكل منهما وانقلاباً عليه، خاصة الأستاذ الإمام محمد عبده، فبينما كان محمد عبده يسعى إلى إعادة تأسيس العقلانية في التعامل مع التراث والفقه الإسلامي، كان البنا يعيد إحياء السلفية بمعناها الضيق، وفي حين أن محمد عبده اختلف مع أستاذه الأفغاني، وحاول أن يجعل مفهوم «الوطن» والوطنية المصرية بعداً أساسياً في تفكيره، دون انعزال أو اعتماد عن البلدان الإسلامية، عمل حسن البنا جاهداً على إعلاء مفهوم الخلافة والدولة الدينية على المفهوم الوطني، أما الكواكبي فقد اجتهد المقاومة الاستبداد والتسلط العثماني في المقام الأول، وإعطاء المسلم في وطنه حرية التفكير والتعبير، في المقابل كان حسن البنا يعمل من الاستبداد الفردي بصورة خطيرة وتحدث عن «الخليقة» باعتباره ظل الله على أرضه.

ومن بداية حياته كان حسن البنا طفلاً مختلفاً، قضى في «الكتاب» أو مدرسة الرشاد عدة سنوات دون أن يتم حفظ القرآن الكريم، وقد أغضب ذلك والده كثيراً، أنه حقق أن حسن البنا وعد والده أن يتم حفظ القرآن الكريم، لكن لا يوجد ما يثبت أنه حقق وعده لوالده، وهذا ما حال دون أن يلتحق بالأزهر ويصبح أزهرياً. لكن ظهرت موهبة حسن البنا مبكراً في العمل السري وتخفيف الآخرين، أو من يرى،

وهو طفل، أنه لا يسير على الصراط المستقيم، إذ كان يحرق خطابات موجهة إلى هؤلاء ملية بالتهديد والوعيد لأناس مسالمين من أبناء بلدته، وقد أمسك به ذات مرة صاحب مقهى فشكاه إلى والده طبقاً لروايته هو في مذكراته، هذه الموجهة والميل الغريزي لديه في العمل السري سوف تصاحبه طوال حياته وسكبر معه، خاصة بعد تأسيس جماعة الإخوان المسلمين.

في اللائحة الأولى لجماعة الإخوان ١٩٣٠م، نجد فيها نصاً واضحاً على أن الجماعة ليس لها صلة بالسياسة من قريب أو بعيد، وأنه لا يجوز في اجتماعاتها انتقاد الشخصيات العامة بالأسم ومن يفعل ذلك يخرجته رئيس الجماعة فوراً من الاجتماع، لكن في اللائحة الثانية للجماعة اختفى ذلك غمماً، وظهرت فيها بنود هي من صميم العمل السياسي، وحول حسن البنا جماعته لتصبح مشرعاً سياسياً - في المقام الأول - وما عدا ذلك من نشاط جماعته هو مجرد حواشٍ وغطاء لذلك المشروع، والحق أن عين حسن البنا كانت على السياسة منذ وقت مبكر، ويبدو ذلك حين وجدناه يبعث برسالة إلى الملك فؤاد حول التعليم الديني، اعتلأت الرسالة ثناءً ومدحاً على الملك فؤاد، الذي لم يكن كثير من المصريين يحبونه، وأمراء الأسرة العلمية والوزراء والكبراء، من البداية كان يبحث عن موطنٍ قدم له في السياسة وعالمها، آنذاك لم يكن لديه الكثير من مؤهلات العمل السياسي، فضلاً عن أدواته، كانت المؤهلات أن يكون صاحبها نال حظاً كبيراً من التعليم في إحدى الجامعات الكبرى بأوروبا أو أن يكون من كبار علماء الأزهر، أو أن ينتهي إلى واحدة من العائلات الكبرى في المجتمع المصري أو أن يكون قام بدور وطني كبير في أثناء ثورة ١٩١٩م أو أن يكون لعب دوراً بارزاً في قضية ما، وأخيراً أن ينتهي إلى واحد من الأحزاب القائمة، ويتم تصعيده من خلاله، وهو كان بلا أي ميزة من تلك الميزات، فقد نال حظاً متواضعاً من التعليم، لم ينتخرج من أي من الجامعات الأوروبية، ولا حتى من الجامعة المصرية ولا جامعة الأزهر، لقد نال دبلوم دار العلوم، أي أنه لم ينل حتى الشهادة العالية،

ولم يكن من ذوى الثقافة الواسعة مثل عباس العقاد، لم يكن البنا يعرف حتى اللغة الإنجليزية، ويذكر جمال البنا أنه ذات مرة طلب إلى شقيقة الأكبر أن يدرسا معًا كتابًا بالإنجليزية، وكان يقصد أن يلم الشقيقتين ببعض مبادئ تلك اللغة، فرد عليه شقيقه ردًا ألجمه تمامًا، ونتم عن الرفض الكامل، إذ قال له قم نقرأ آيتين في القرآن أحسن^(١). وهو لم يكن شارك في ثورة ١٩١٩م، صحيح أنه كان لا يزال بالحصونية، والثورة عمت البلاد المصرية كلها، هو لم يكن متخرطًا في تلك العملية، بينما وجدنا سيد قطب في «طفل في القرية» يحدثنا عن مشاركته بالخطابة بين أبناء بلدته ضد الاحتلال الإنجليزي ومناصرة الثورة وزعيمها سعد زغلول... وكان حسن البنا من أسرة فقيرة وبسيطة، يكده عائلته بشرف وكرامة لرعاية أسرة كبيرة العدد بالأبناء والبنات، هو كذلك لم يكن عضوًا بأي حزب ولا كانت لديه رغبة في الانضمام إلى أى حزب، كان يكره الأحزاب ويرفضها، ويبدو أنه فهم الأحزاب السياسية القائمة والحزبية عمومًا، بالمعنى الذي أشار إليه القرآن الكريم للأحزاب التي كانت مناوئة للرسول وللإسلام في بداية الدعوة بمكة المكرمة ثم المدينة المنورة.

لم يكن مستريحًا للأحزاب القائمة ولا لمبدأ الحزبية عمومًا، لكنه كان يحب السلطة ممثلة في ملك البلاد، لذا وجدناه يتحين الفرص لمخاطبة الملك فؤاد والإشادة به، لكن الملك فؤاد كان وقتها في نهايات حياته، وكان مستبدًا طاغية فلم يكن مستعدًا للانتقاص إلى هؤلاء الذين يكيلون له المديح، هذا بالنسبة إليه العادى أو تحصل حاصل، لكنه كان متنبها بكل قرون الاستعمار لديه وموهبة التسلط والطفانيان إلى أولئك الذين يمكن أن يهددوا انقراضه بالعرش، ولم يكن هناك ما يراه عديدًا له غير حزب الوفد وسعد زغلول، وكان سعد قد رحل إلى باراته منذ سنة ١٩٢٧م، فأراح الملك فؤاد من خصم عنيد، وهكذا لم يجد حسن البنا موطئًا عند الملك فؤاد ولا عند المحيطين به، لم يشعر به أحد وقتها، لا بين الأحزاب ولا بين

(١) اراجع في ذلك حال البنا: رسائل حسن البنا الشاب إلى أبيه.

العاملين بالديوان الملكي، لكن الفرصة جاءت مواتية بعد ذلك، فقد توفي الملك فؤاد فجأة سنة ١٩٣٦م، وكان ولي عهده الأمير فاروق خارج مصر يدرس في لندن، وكان لا بد أن يعود وبدأ التنادي به ملكًا على البلاد، كانت الملكة نازلي والدة فاروق مصابة بجنون أن يكون ابنها ملكًا، لكن لم تكن العائلة الملكية كلها مرحبة بذلك، خاصة الأمير محمد على الذي كان ينتظر وحلم، ويسمى لدى الإنجليز لتنصيبه ملكًا، فهو كما يرى الأحق، وكان هناك من على استعداد لأن يستمع منه ويتماطف معه، فإذا تم تجاوز هذه العقبة كانت هناك عقبة أخرى تتعلق بعمر فاروق فلم يكن قد بلغ سن الرشد بعد؛ ولذا كان يسمى الأمير محمد على أن يتولى هو، ولو لفترة مؤقتة، إلى حين بلوغ فاروق السن القانونية.

بإزاء هذا كله كان الاستعداد جاريًا لدى الديوان الملكي لتجهيز استقبال شعبي حاشد ومهيّب للملك الشاب فور وصوله إلى الإسكندرية قادمًا بالبحر من لندن، وأن يكون الاستقبال عمدًا من الإسكندرية إلى القاهرة، ليقنع الجميع داخل الأسرة العلوية أن فاروق هو الملك القادم وليس أحد غيره، وأن جماهير مصر تريده هو، وكانت فرصة حسن البنا الذهبية أن يشارك في هذا الاستقبال وأن يعلن نعماء حسن البنا نفسه وعن جماعته، وأن يقول لهم «نحن هنا»، حين توفي الملك فؤاد نعماء حسن البنا نعمًا مؤثرًا، وكأنه كان كل شيء لمصر والمصريين، بل وللعرب كلهم والمسلمين أجمعين، ثم للإسلام ذاته، ورحب بالقادم الجديد «مات الملك.. يحيا الملك» وكان البنا على رأس أفراد الجماعة الذين اختارهم هو للمشاركة في استقبال الملك، وكان معهم أيضًا من سيصبح المرشد الثالث للجماعة عمر التلمساني المحامي بشيين القناطر وقتها، وبينما كان المطلوب - فقط - استقبال جيد للملك الشاب، تقدم حسن البنا وجماعته خطوة، فقد أعلنوا مبايعة الملك، فكان استقبال ومبايعة.. فتح ذلك الاستقبال شهية حسن البنا للسلطة والسياسة، فبعدها بعامين يشرع في تأسيس التنظيم الخاص، الذي سيصبح في غضون سنوات قليلة الذراع الباطنة لحسن البنا،

ومع قيام الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ م، وحالة السبوتلة في موقف مصر .. هل نحتاج إلى بريطانيا بحكم أن جيشها يوجد على أرض مصر، أو نحتاج إلى المحور على طريقة عدو عدوى صديقى، وجدنا البنا يسعى إلى اختراق الجيش المصرى بتجنيد ضباط ومجندين به، وتصبح له خلايا داخلية، ويروى أنور السادات في مقال له بالجمهورية أنه رأى حسن البنا سنة ١٩٤٠ م وهو يجمع السلاح ويقوم بتخزينه، وأن ذلك كان يتم حتى دون علم الأعضاء الكبار بالجماعة، كان جمع السلاح يتم بناء على صلات خاصة ومباشرة بين البنا وتجار هذه الأسلحة، ذات مرة كان السادات عند حسن البنا ورأى جنديًا بالجيش، كان السادات يعرفه، يدخل على البنا، وكان المجدد يحمل صندوقين، وحين رأى السادات خاف الجندي، لكن البنا طمأنه، وفتح الصندوقين، ليجدهما مملوئين بمسدسات جديدة^(١)، أى أن هذين الصندوقين جيء بهما من مخازن الجيش مباشرة.. كان البنا موهوبًا بحق في العمل السرى، لم يجمع السلاح والذخيرة فقط، ولكنه استعان بمن جندهم من ضباط الجيش لتدريب أعضاء التنظيم الخاص في صحراء المقطم، وهى حينها غير مأهولة، ولا يقترب منها أحد.. ودفع البنا بعدد من أعضاء التنظيم الخاص لاختراق الجماعات والأحزاب التى رأها منافئة ومنافسة له، فقد زرع بعض الأعضاء داخل الخلايا والتنظيمات الشيوعية ثم داخل مصر الفتاة، وداخل الحزب الوطنى وهكذا.. اخترق القوات المسلحة وجهاز الشرطة، وبقيت أمامه الدائرة المحيطة بحللة الملك، وكان يسعى إلى اختراق هذه الدائرة بهدف الوصول إلى الملك نفسه والاجتماع به. كان حلم البنا أن يلتقى الملك وجهاً لوجه وأن يجلس معه، أتاحت له الجماعة أن يجلس مع النحاس باشا ويساومه سنة ١٩٤٢ م وأن يجلس مع إسماعيل صدقى باشا، ولكن بقي أمامه الملك، وهكذا طلب من أنور السادات أن يتحدث إلى صديقه د. يوسف رشاد، كى يرئب له لقاء مع الملك، كان المسمى الرسمى ليوسف رشاد أنه طبيب الملك، لكنه

(١) الجمهورية : عدد ٢١ ديسمبر ١٩٥٣ م.

كان أكثر من ذلك، كان موضع ثقة الملك ويؤدى مهامًا خاصة للملك، من بينها الإشراف على «الحرس الحديدي» الذي يقوم بمهام خاصة للملك تتعلق بتصفية خصومه وقتلهم.. وتحدث السادات مع يوسف رشاد، واقتنع رشاد، وحاول أن يتحدث مع الملك ليستأنه ابتداءً في أن يجلس مع البنا ليعرف ما لديه، لكن الملك لم يأذن ليوسف بمقابلة البنا، ولم يأس البنا وعاد يطلب من السادات أن يكرر المحاولة، وكانت علاقة البنا والسادات قد توثقت، وهي علاقة سياسية في القام الأول، وتحدث السادات مع يوسف رشاد، وكرر رشاد المحاولة مع الملك، لكن الملك، هذه المرة، نهزه، وأبعده لمدة عشرة أيام، لكن حسن البنا كان مصرًا أو كان لحولًا فلم يلبث أن كرر الطلب للمرة الثالثة، وكانت المفاجأة أن الملك استجاب هذه المرة وأذن ليوسف رشاد أن يقابل البنا، وتمت المقابلة، كان يطلب البنا أن يسمح له بالجلوس مع جلالة الملك ليعبر له عن التأيد والمساندة، فضلًا عن المايعة، وذهب يوسف إلى الملك سعيًا لينقل له هذا الذي سمعه، ورأيه أن يلتقيه الملك، وكانت المفاجأة الثانية أن الملك رد على يوسف رشاد «حسن البنا ضحك عليك يا يوسف»^(١)..

ترى هل كان الملك يعلم بما يقوم به البنا من محاولات لاختراق الجيش المصرى وتشكيل خلايا تدين بالولاء له وليس للعرش وللملك؟ هل وصل إلى الملك نبأ علاقات حسن البنا الخارجية وتلقيه أموالاً من بعض هذه الجهات مثل شركة قناة السويس التي كانت رمزًا للاحتلال البريطانى في مصر، هل كانت لدى الملك تفاصيل اللقاء الدائم في جدة بين البنا ونائب وزير المالية السعودى، من قبل أن تعترف مصر بالملكة العربية السعودية وقبل أن تكون هناك علاقات رسمية بين الدولتين؟ هل بلغ الملك أن هناك لقاء دائمًا يتم بانتظام بين البنا وأحد ضباط السفارة الأمريكية؟ هل ... هل ... هل ...؟

(١) القصة كاملة رواها أنور السادات في مقال له بجريدة الجمهورية عدد ٤ يناير ١٩٥٤ وراجع أيضًا محسن محمد: من قتل حسن البنا؟.

لا تستبعد ذلك، فالملك فاروق كانت لديه طرق خاصة للحصول على المعلومات ومعرفة كل ما يريد أن يعرفه، وقد عرف الكثير والكثير^(١)، لكن الأمر يؤكد أن الملك فاروق لم يثق يومًا في حسن البنا، كل زعماء مصر من الوفد إلى الأحرار الدستوريين تعاملوا لبعض الوقت مع البنا واستفادوا منه، لكن فاروق لم يأمن له أبدًا، لقد ترك الديوان الملكي يستفيد في بعض المواقف من جماعة البنا، وأن يوظفها ويوظف البنا للقيام ببعض الأدوار، لكن فاروق لم يتغير رأيه أبدًا في حسن البنا، رغم أن البنا كان من أكثر وأشد الذين ناققوا فاروق بشتى السبل، ويبدو أن حسن البنا كان يتصور أن فاروق يجلس في القصر معزولاً، لا يعرف شيئاً بعيداً عن السهرات والمجالس الخاصة، كان حسن البنا يمتلح الملك ويناقفه في كل مناسبة وأحياناً بلا مناسبة، لكنه حين يذهب مع إخوانه خارج القاهرة يحدثهم بخطاب آخر، مثل أن الملك بالبيعة وليس بالورثة!

أخذ حسن البنا جماعته عنوة إلى ميدان السياسة، وتعامل في السياسة بطريقة الهجاء والقتااص، يقتنص موقفاً هنا ويتنهر مكسباً هناك، ولذا اتخذ الكثير من المواقف المتناقضة، يهاجم الوفد بضراوة، لكن حين يصبح مصطفى النحاس رئيساً للوزراء سنة ١٩٤٢م ويحقق للجماعة بعض المكاسب يمتدحه البنا، وتصل قمة المأساة مع النقراشي، الذي يقود حسن البنا بنفسه مظاهرة سنة ١٩٤٧م لمناصرة، وما أن يصدر قرار بحل الجماعة، حتى يقتله رجاله.

قدم البنا - كذلك - عدة خطابات متناقضة ومتلونة، مثلاً يقنع رجال السفارة الأمريكية بأن التنظيم الخاص تأسس لمكافحة الشيوعية والشيوعيين في مصر، وكان ذلك هدفاً عزيزاً لدى الولايات المتحدة، وإذا كانت السفارة الأمريكية اقتنعت بذلك، فهذا لا يمنع أن تنفض السفارة البريطانية الطرف عن هذا التنظيم، وما أن

(١) راجع في ذلك: حسين حسني وسنوات مع الملك فاروق، دار الشروق ط ١ سنة ٢٠٠١م.

يكشف الوجه القبيح للتنظيم أمام المصريين بعد العمليات الإرهابية التي قام بها. خصوصاً اغتيال المستشار أحمد الحازندار حتى يصبح البنا بأن التنظيم تأسس لمكافحة الصهيونية في فلسطين ومقاومة الاحتلال البريطاني في مصر، واعتبر حسن البنا أن تحرير فلسطين يبدأ من حارة اليهود بالقاهرة الإسلامية وبعض المحلات المملوكة لليهود في مصر، والواقع أن حسن البنا بمحض إرادته اختار مع السياسة طريق الدم والتدفع فيه إلى النهاية وحين أوشكت الدائرة أن تدور عليه من جراء جرائم التنظيم الخاص صاح قائلاً: «ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين».

★★★

حين جرى اغتيال أحمد ماهر، لم يكن ماهر عدواً للإسلام، ولم يصدر فتوى بقتله، كان أحمد ماهر زعيماً وطنياً لكنه قتل بسبب عدم نجاح حسن البنا في الانتخابات النيابية، ومع الوقت كان يعتمد البنا عن أهدافه الأولى المعلنه، ويلقى بنفسه في الأعباء السياسية، المعلن منها والسري، المشروع وغير المشروع أو المسموح به منها والقدر أيضاً، فللسياسة جانبها القدر وقد عشقه حسن البنا، وكان هناك بعض الشباب في الجماعة يرون ذلك جيداً.. يلاحظون ويتنبهون، ربما لم يكن لديهم كل التفاصيل عما يقوم به مرشدهم، فحاولوا التنبيه وأرادوه أن يتجنب تلك الطرق، ويعود إلى العمل الذي قاموا من أجله، لكنه أبى ورفض، ثم كان أن استعلى عليهم، وبعد يأس انفصوا عنه وعن جماعته، وأسوا لأنفسهم جماعة جديدة باسم «جماعة شباب محمد»، واستغرق ذلك حوالى عامين، تحديداً بين عامي ١٩٣٩م/ ١٩٤٠م، والتاريخ مهم، فقد كان خروجهم ذلك في أعقاب تأسيس التنظيم الخاص والاندفاع العنيف للمرشد في طرق السياسة وانغماسه في أحوالها.

تكررت محاولة التنبيه والإصلاح من داخل الجماعة مرة ثانية ولكن من وكيل الجماعة أحمد السكري، والواقع أن فضل السكري على البنا كبير، والارتباط بينهما طويل، ومن ثم كان يجب أن تؤخذ ملاحظاته بجديته واهتمام، لكن المرشد تصرف

كما حكم فرد، صاحب قرار مطلق، كان السكرى يرى الكارثة التي يتنازع نحوها حسن البنا ويأخذ معه الجماعة، وكان يحاول أن يوقف اندفاعه، فأصدر المرشد قراراً بعزله من كل مواقفه وفصله نهائياً من الجماعة وتم تمرير القرار على مكتب الإرشاد. كانت تهمة السكرى لدى البنا هي «التمرد على القيادة»، وقال السكرى للبنا في رسالة إليه مذكراً بإياه ومخذراً له من «الإغراق في السياسة الحزبية إغراقاً تاماً وتقليب في هذه السياسة وتناسي أهدافنا السامية مما جعلنا موضع مساومة للجميع...» فصل السكرى دون أى إجراء قانوني، لم يتم تحويله إلى تحقيق، ولم يطلب منه دفاع ولا سمح له بذلك، فقط قرار من «فضيلة المرشد...» واعتبر السكرى... ناقضاً للمهد، حائناً لليمين خارجاً على الجماعة، محارباً للدعوة وكذلك كل من اتصل به أو ناصره. وهكذا نجح اتجاه البنا ولم يعد هناك من يمكن أن يناقشه أو يراجع، وفرح البنا بتنظيمه الخاص والجيش المدرب والمسلح الذي جهزه وسعد بجهاز المخابرات الذي شكله والإذاعة السرية التي أسسها... لم يكن يدرى أنه بذلك ينهى حياته هو ويقضى على الجماعة.

لم تكن النصائح والتحذيرات تأتي من داخل الجماعة فقط، بل جاءت من خارجها أيضاً، لكن حسن البنا كان منطلقاً كالقطار السريع لا يريد أن يتراجع خطوة واحدة، كان يسير في طريقه لا يريد أن يلتفت يمينا ولا يساراً، يذكر د. إبراهيم بيومي مذكور أنه بعد عودته من البعثة التعليمية في فرنسا، استأنف علاقته بزميل دراسته في تجهيزية دار العلوم حسن البنا، كانت عودة د. مذكور إلى مصر سنة ١٩٣٥م، وعرض عليه البنا أن ينضم إلى جماعته وإلى جواره، يقول د. مذكور «كان يرغب في أن أكون إلى جانبه في جماعة الإخوان المسلمين»^(١).

(١) راجع د. إبراهيم بيومي مذكور: مع الأيام... شيء من الذكريات، كتاب الهلال، أكتوبر ١٩٩١م، ص ٤٩.

رفض د. مذكور هذا العرض، وكانت لديه أسيابه الوجهية في ذلك، ويقول له هو «صارحته أنني أؤيدها إن التزمت بأهدافها الثقافية والسلوكية، أما أن تسلك ميدان السياسة فذلك طريق سلكته من قبل، ويتطلب أوضاعاً وأساليباً لم تنتهيا الجماعة لها»^(١).

كان د. مذكور واضحاً وكان اعتراضه يستحق أن يتوقف عنده حسن البناء، فهو زميله القديم، وابتمد الطريق بينهما، ومن ثم فهو يقول رأياً مخلصاً ومجرداً، وهو من عائلة سياسية، يعرف دهاليز السياسة في مصر وما يجري فيها، وهو كذلك قضى سنوات مهمة في أوروبا، كان ينتقل بين فرنسا وعدد من البلدان المجاورة لها، وتابع كذلك ما يجري هناك في مجال السياسة الدولية، وبعد ذلك كله هو أستاذ الفلسفة والدراسات الإسلامية، ومن ثم فهو متابع جيد للفكر والحركة الإسلامية، لكن حسن البناء ألقى هذا كله وراء ظهره، لم يكن يريد لأحد، كائناً من كان، أن يشير عليه بالاعتماد عما خطط له وحلم به، كان مأخوذاً بالأعيب السياسية والسلطة، ويتمنى أن يصبح لاعباً أساسياً فيها، إنه حتى لم ينتبه إلى قول د. مذكور بأن الجماعة لم تنتهياً بعد للعمل السياسي وأن اللعب في السياسة يستلزم أوضاعاً وشرطاً معينة، فضلاً عن أساليب خاصة، ليست متاحة له ولا للجماعة، كان د. مذكور موجزاً وهو يكتب ولكن لا بد أنه شرح رأيه باستفاضة لزميله القديم.

والواقع أن المؤمن كئيس فطن، كما روى عن رسول الله، لكن الفطنة غادرت حسن البناء في هذا الجانب، لقد عرض على د. هيكل أن ينضم إلى الجماعة وأن يصبح رئيساً لها، لكن د. هيكل اعتذر للسبب نفسه، تلميحاً لا تصريحاً، ولم ينتبه البناء ولم يكن لديه أي استعداد لذلك.

(١) المرجع السابق، نفس الصفحة.

الاعتراض على انخراط البنا في العمل السياسي جاء من الأحزاب الأخرى، وعبر عنه مصطفى النحاس مباشرة لحسن البنا، لكن الأخير تصور أنه الأقوى..
وحين يدخل إنسان العمل السياسي ومعه فكرة تمثل لديه اليقين المطلق، ومن خلقه مليشيا خاصة بخيف بها الآخرين والمخالفين له، فويل للجميع منه وويل له من نفسه.

★★★

كان حسن البنا في بداية حياته يسمى إلى أن يكون صوفيًا، وانضم فترة إلى «الطريقة الحشافية». ومن المعروف أن التصوف الإسلامي بدأ بالزهد والترفع عن صفات الحياة ومحاولة الاقتراب أكثر من الله سبحانه وتعالى، واستمرت هذه المرحلة في القرنين الأول والثاني الهجريين، ثم انتقل التصوف إلى ما بات يعرف بالتصوف الفلسفي أو المذهبي حيث اختلطت به بعض الأفكار من فلسفات وثقافات أخرى، فصار فيه الظاهر والباطن لكن بالمعنى الإيجابي وليس بالمعنى التأمري والسلبي، ناسبيًا على أن هناك سرًا لا ينبغي للمتصوف أن يبوح به لغير الله سبحانه وتعالى، وحين صلب الحلاج قال مجبوه إنه ما لقي هذا المصير إلا لأنه كشف للبشر ما لا ينبغي أن يكشف لهم، ومع هذا اللون من التصوف صارت هناك قواعد تنظيمية تحكم العلاقة بين المرشد والمريد.. ومن يقرأ الرسالة النسوية إلى محيي الدين ابن عربي «في آداب المرشد والمريد» يجد أن العلاقة بينهما هي أقرب إلى أن تكون علاقة عبودية.. ليست علاقة أستاذ بتلميذه، ولا هي علاقة أبوية تربط بين أب وابنه، بل هي علاقة السيد بالعبد، ليس فيها أي ندبة. ليس للمريد أن يتكلم نهائيًا في حضرة المرشد إلا إذا طلب منه ذلك، وليس له أن يناقشه فيها يقول ولا أن يعترض عليه، ولا أن يرفض أي طلب يطلب منه، حتى لو كان فيه إزهاق روحه، وأن تكون روح المريد وحياته في يد المرشد كجثة الميت بين يدي من يقوم بفسلها.. وإذا توفي المرشد ليس للمريد أن يتزوج من زوجته.. وهكذا.. وأظن أن حسن البنا أخذ من التصوف وقراءاته فيه هذا النمط من العلاقة، للاحظ أنه لم يسترح لمسمى رئيس

الجماعة، بل فضل «المرشد العام».. فالرئيس له سلطة تنفيذية وقرارات إدارية، لكن المرشد يتحكم أو يحاول أن يتحكم في روح من يتبعه، هو على الأقل لديه سلطة روحية عليهم، يحركهم أنى شاء هو، وهم لا يملكون من أمرهم شيئاً، هذه العلاقة والتنظيم الحديدى أخذ حسن البنا من التصوف، فصار لديه ظاهر وباطن.. جماعة معلنة وتنظيم خاص، خفى حتى عن الكبار في الجماعة.. وطاعة مطلقة من الأعضاء، لا يشوبها أى شائبة، ويصبح الإيمان بالجماعة مرادفاً للإيمان بصاحبها أو المرشد، لا تتم هذه دون تلك، وغياب الثانية أو اهتزازها ينفى الأولى تماماً.. وتأمل ما فعله البنا مع أحمد السكرى لا يقلل في قسوته - بشاعة - عما كان يصدر من ستالين مع بعض رفاقه الذين يجرجون عليه أو يتصورهم كذلك.

لم يكن حسن البنا رجل علم ولم يكن فقيهاً، لكنه كان رجل تنظيم ومعلومات بالقطرة، ومن يرصد طريقة تشكيل التنظيم الخاص وعمله والاختبارات التي كان يجربها البنا بنفسه لمعاونه وللمقربين منه^(١)، فضلاً عما قام به مع خصومه، يدرك تواضع قدرات مؤسسى أجهزة المخابرات الكبرى إلى جواره، يغتال رجاله د. أحمد ماهر دون أن يتركوا بصمة واحدة، ويظل السر مكتوماً لأكثر من أربعين عامًا، ولولا أن الشيخ الباقورى وكذلك الشيخ سيد سابق، خشي كل منهما أن يلتقى الله وهو في دور «الشيطان الأخرس» لما تكلم كل منهما ولما عرفنا بالواقعة.

ويحكى أنور السادات إنه وهو ضابط صغير أراد أن يلتقى الفريق عزيز المصرى، ويعرف حسن البنا تلك الرغبة، فينفذها له، وكان البنا قد طلب من السادات أن يتحدث مع يوسف رشاد لتدبير لقاء بين رشاد والبنا، فأراد البنا أن يجامل السادات ويقدم له - مقدماً - المقابل، وهو أن يحقق له رغبته في لقاء المصرى. يعطى البنا ورقة إلى السادات يذهب بمقتضاها إلى عبادة طيب في السيدة زينب، ويقول له لا تنسى أن تدفع تذكرة الدخول للطبيب، ويذهب إلى العبادة بالفعل

(١) رصد محمود عساف تفاصيل هذه الاختبارات في مذكراته.

ويدخل حجرة الطبيب، الذي يأخذه إلى صالون ملحق بغرفة الكشف، وما أن يفتح باب الصالون حتى يجد «المصري» أمامه وفي انتظاره. روى السادات هذه الواقعة في أحد مقالاته بجريدة الجمهورية، الغريب أن الملك حسين كان حين يطلب لقاء مع أحد قادة إسرائيل، كانت الموساد تدبر اللقاء بنفس الطريقة، في إحدى العيادات بلندن. ولم يكشف أمر هذه الاتصالات إلا حين كشفها مصادر إسرائيلية عن عمد.. وحين أدار البنا اللقاء بين عزيز المصري والسادات، كان كل منهما مرصوداً من رجال الأمن السياسي ومن السفارة البريطانية، ومع ذلك لم يتمكن رجال الأمن ولا رجال السفارة من اكتشاف هذا اللقاء أو معرفة ما جرى فيه، لولا أن السادات هو الذي أذاعه بنفسه، أما البنا نفسه فلم يكشفه ولا كشفه أحد من رجاله، لأنهم على الأغلب ما كانوا يعلمون به.

ولأن حسن البنا لم يكن صاحب فكر ديني أو سياسي واجتماعي، لذا انحصر دوره في اللعب بكماليات السياسة، وفي القضاء الخلفي للمشهد السياسي، يؤيد هذا وطعن ذاك من الخلف، يستفيد من الجميع ويتلاعب بالجميع وكذلك يتلاعب به الجميع، ومن يكون دوره هكذا سوف تأتي لحظة وينكشف أمره للجميع، وهذا ما حدث له بالضبط بعد اغتيال النراقشي، لم يقف أحد إلى جواره لأنه لم يكن صديقاً لأحد. كان يقدم الخدمات للبعض في مقابل مدفوع فورياً، أيما كانت أشكال ووسائل الدفع. قد يكون الدفع مالياً أو في شكل امتيازات وتيسيرات تمنح له ولجماعته؛ لذا لم يكن له مكرمة لدى أحد أو دلال عند أي طرف، وفي العادة فإن من يضع الآخرين في نقاط ضعف أو يترصد لهم مما يتصور أنها نقاط ضعف لديهم، وفي الوقت المناسب يستغلهم أو يبتزهم وينتزع منهم بعض المكاسب، لن يحظى باحترامهم ولا بجهيمهم، وليس صحيحاً ما يدعيه أنصاره من أن الجميع تخلوا عنه لأنهم كانوا يخشون الفكرة الإسلامية فقد أدانته هيئة كبار العلماء في بيان صدر عقب اغتيال النراقشي، ورغم أنه حاول أن يملص، لكن لم يصدقه أحد ولم يساعد هو أحداً على أن يصدقه.

بعد اغتيال النقراشي باشا، بذل حسن البنا جهداً خارقاً في محاولة احواء الموقف، وسعى لدى كثيرين بهدف إعادة الجماعة، وعرض أن يتوقف نهائياً عن السياسة، وروى عنه أنه غمى لو لم يؤسس التنظيم الخاص، وأنه بأسى أنه لم يتم بترية مجموعة شبان يلتقى بهم الله سبحانه وتعالى، يعملون للدين ولرفعة شأن الإسلام، ومعنى هذا - يفرض أن ذلك القول لم يكن تكتيكاً منه للخروج من الأزمة - أنه كان يعيد النظر في كثير مما قام به، وأنه يحلم بجماعة أخرى وإخوان جدد، بلا ظواهر وباطن وبلا تنظيم سرى مسلح، وبلا قتل وترويع للآمنين أو تهديد للمخالفين. حين أعلن حسن البنا ذلك لم يصدقته من غمى أن يصدقوه، تحديداً إبراهيم عبد الهادي الذي كلفه الملك بتشكيل الحكومة خلفاً للنقراشي، وكان إبراهيم عبد الهادي يستمع إلى الرسائل والوساطات التي يبعث بها البنا إليه، وكان أكثر إصراراً من النقراشي، لا بد أن يعلن البنا للحكومة أسماء أعضاء التنظيم الخاص وعليه كذلك أن يكشف عن مخازن الأسلحة والذخائر التي لديهم، ثم بعد ذلك تنظر الحكومة في بقية الأمور، خاصة عودة الجماعة، وكان البنا يصر على أنه لا يعرف ولا علم له بأسماء أعضاء التنظيم ولا شيء لديه عن التسليح، وكرر ما قاله من قبل كي أعرف وأبلغكم إما أن يخرج عنهم جميعاً أو يعتقل معهم، فاعتبر ذلك مناورة منه.. وفي النهاية فإن إبراهيم عبد الهادي ومن ثم الحكومة وكذلك الديوان الملكي لم يشقوا كثيراً في إعلان البنا استعداده للابتعاد عن السياسة وعن العمل السرى.

الطريف في هذا الأمر أن جماعة البنا أيضاً لم تصدقه أو لم تأخذ مزاعمه وأقواله على محمل الجد، واعتبرتها من قبيل «كلام المفاوضات»، فلم يتخذوا كلمة واحدة مما قاله ولا التزموا بشيء منه، بل فعلوا ما ندم هو عليه وقتئذ لو لم يتم به، والحادث أنه في عام ١٩٥١م عادت الجماعة إلى العمل واختير المستشار حسن الحضيبي مرشداً عاماً للجماعة، وكان اختياره برضاء ومباركة القصر الملكي لصلته مصاهرة كانت تربطه بمراد محسن ناظر الخاصة الملكية، وقد حاول الحضيبي تحجيم التنظيم الخاص، لكن

كان التنظيم أقوى منه، وغرقت الجماعة في العمل السرى أكثر من العمل العلني، وألفت بكل ثقلها في العمل السياسى، سواء في الشهور التي سبقت يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢م، من اتصالات مكثفة لهم بالضباط الأحرار، ثم بعد ذلك تدخل الحزبيى وجماعته في الخلاف الذى نشب بين اللواء محمد نجيب ورفاقه من الضباط الأحرار، والأدهى من ذلك تدخله في الصراع بين الضباط الأحرار ورجال السفارة البريطانية، وكان التدخل «سرياً» أى دون علم الضباط ودون التنسيق معهم، وحدث ما حدث في سنة ١٩٥٤م حيث حاولت الجماعة اغتيال عبد الناصر في ميدان المنية بالإسكندرية، ثم عادت الجماعة مجدداً في السبعينيات، لتعمل بنفس النسق ونفس العقيلة، أى السياسة أولاً، وما دون ذلك يأتى بعدها.. ولأنه لم يعد لدى الجماعة سوى السياسة واللعب في كواليسها، فإنهم باتوا أكثر تمسكاً بها وإصراراً عليها وأشدّ ابتعاداً عما هو دينى ودعوى، وفي السنوات الأخيرة شهد المجتمع المصرى العديد من القضايا لم نسمع للجماعة صوتاً فيها، تأمل وفود بعض الكهول من دول مجاورة ليتزوجوا فتيات قُصُر، مقابل مبلغ مالى يتم دفعه لأهلها، استغلالاً لفقرتهم وعوزهم، وأحياناً يتم الزواج بالتوكيل وهو مخالفة مباشرة وإهدار لقيم الدين وكل القيم الإنسانية، ويصنف هذا الزواج على أنه نوع من النخاسة أو الرق المعاصر.. ومع ذلك وجدنا من الليبراليين واليساريين من يتصدى لتلك الظاهرة، وهم من يصنفون في خانة «العلمانيين» في قاموس الجماعة، أما الجماعة التي ترفع شعار «الإسلام هو الحل» فلم تعياً بهذه القضية، ولم تتوقف عندها، فضلاً عن غيرها من القضايا المشابهة.

تحدث إحدى الأساطير القديمة عن ذلك الذى غرق في بحيرة من العسل، وكان كل من براه يتمنى لو غاض معه هذه البحيرة، ليكون محاطاً بالعسل.. يأكل عسلاً ويشربه ويستحم به، لكن لم ينتبه هؤلاء إلى أن العسل لزج وثقيل، فلا يمكن صاحبه من السباحة ولا يتيح له أن يتمكن من الخروج إلى الشاطئ ليأرس حياته

العادية، فضلاً عن أنه وهو وسط العمل لن يقترب منه أو يحط عليه سوى الدباب
أو النحل لللدغ، وهكذا حال جماعة الإخوان الآن، ومنذ أن نزل حسن البناء بحجرة
العمل بكامل إرادته ورغبته، لم تبح الجماعة مكانها يوم أن تركها حسن البناء. ظاهراً
وباطناً. عمل علني وآخر سري، صفقات مع الجميع وضد الجميع، التنسيق حتى
مع الشيطان إذا كان في ذلك مصلحة لهم، تنظيم حديدي يساوي حديدية سنالين،
ترى هل يقدر للجماعة أن تتجاوز تلك المرحلة وتخرج من بحيرة العمل أم أن الدودة
فعللاً في أصل الشجرة؟!

الملاحق

- ١- الفصل المخدوف من مذكرات الدعوة والداعية، بعد أن نشر في الطبعة الأولى سنة ١٩٥٠م وارتبط باستقبال حسن البناء والإخوان ومبايعتهم للملك فاروق.
- ٢- وفد الإخوان في القصاصين، بعد تعرض الملك لحادث القصاصين (مجلة الإخوان) وفي الخبر يخبر عن الصحف الأخرى.
- ٣- صورة الملك فاروق غلاًفاً لمجلة "القوة الصالحة".
- ٤- تهينة الملك بعيد ميلاده سنة ١٩٤٧م، وهي تهينة منوية، لم تنوقف حتى اغتيال حسن البناء.
- ٥- الإخوان يستجيبون لنداء الزعيم (مجلة شباب محمد) سنة ١٩٤٢م.
- ٦- نظر الفاروق السامي ورأيه الناقب. حسن البناء ١٩٤٦م.
- ٧- التقرائي بطل الغلاف.. (٢ فبراير ١٩٤٧م) هي صورة من ثلاثة أغلفة في أقل من شهرين.
- ٨- الطابور الخامس.. مقال في الهجوم على المعارضة (مجلة الإخوان المسلمون ٣١ مايو ١٩٤٧م العدد ١٥٤).
- ٩- الطابور الخامس يتحرك... وهو مقال ينتهم النحاس والوفد بالخيانة (مجلة الإخوان المسلمون ٢٦ يوليو ١٩٤٧م العدد ١٦٢).
- ١٠- غضبة في سبيل الله (مجلة النذير).
- ١١- رسالة الملك إلى شباب الوادي (مقال على غلاف المجلة) ٢٨ سبتمبر ١٩٤٦م.
- ١٢- مصر الفتاة تقدم (حجة من مجلة النذير إلى شباب مصر الفتاة بعد الاختلاف معهم).
- ١٣- تهينة الملك بالانتصار في حرب ١٩٤٨م.
- ١٤- تقرير عبد الرحمن عمار.
- ١٥- التماس البناء إلى جلالة الملك.
- ١٦- حسن البناء يخبر عن قتال الأقليات - القصص سر جيوس - النارة المصرية.
- ١٧- حسن البناء يخبر عن قتال الأقليات - القصص سر جيوس - النارة المصرية.
- ١٨- سلامة موسى والإخوان.
- ١٩- سلامة موسى والإخوان.
- ٢٠- سلامة موسى والإخوان.
- ٢١- سلامة موسى والإخوان.

الفصل المحذوف من مذكرات الدعوة والداعية، بعد أن نشر في الطبعة الأولى ١٩٥٠ م
الإحتفال بحضور جلالة مولانا الملك المعظم (فاروق الأول) وتسلمه مهام ملكه السعيد
وتقديم فروض التهنية والولاء بهذه المناسبة الميمونة.

المؤتمر الرابع للإخوان

والإحتفال بحضور جلالة الملك وتسلمه مقاليد الأمور

وقد رأى الإخوان بمناسبة حضور جلالة الملك فاروق من الإسكندرية وبإشرافه
سلطه أن يحتفلوا بهذه المناسبة وأن يقدموا مؤخرهم الرابع بالقاهرة، فأصدر المكتب
الغرضية الآتية :

قرر مكتب الإرشاد العام للإخوان المسلمين الإحتفال بحضور جلالة مولانا الملك
الملك (فاروق الأول) وتسلمه مهام ملكه السعيد وتقديم فروض التهنية والولاء بهذه
المناسبة الميمونة . وتأسست لجنة من حضرات :

محمد حلي أحمد بك وحامد عبد الرحمن بك وعبد القادر عطار بك وعبد ذمعي أنندي
والاكثور محمد زكي شاهين وقضية الأستاذ الشيخ الطاهر جومري والأستاذ
عبد المظفر الحامدي وطلال مندوب المكتب بالشرقية والأستاذ الشيخ محمد عفيف
عبد الحافظ رئيس الإخوان في الحج والأستاذ عمر الطلسان الحامي بشيخ الصائغ
ومندوب الإخوان بها وعمود البراوي أنندي للاتصال بنسب الإخوان وبالجهات
الخاصة ووضع النظام اللازم، وقرر اللجنة الرئيسية دار الإخوان رقم ١٠ بالحيطة الخضراء.
وقد اختيرت مدرسة النيل الثانوية بشبرا لتكون مسرحاً لإحتجاج الإخوان ووافق
مديرها حينذاك الأستاذ سيد باشا مستكبراً على ذلك، وتواعد الإخوان في الموعد المحدد
وصافحتهم بحسب المألوف على سننها وأنظم الإخوان الموالون في طوابيرهم استعداداً
لهذا الملأ العظيم . ومنطلق وصف موكب الإخوان من عجلهم في الكلمة التالية :

بسم الله الرحمن الرحيم

شهد لم يسبق له نظير في تاريخ مصر الحديثة

٣٠٠٠٠ ألف أو يزيدون — بطار العالم يحمل اللواء — بين دار الإخوان
وقصر باين — سيحبات المني تتجاوب في أرجاء السماء : الله أكبر والله الحمد —
الفرآن دستور الدنيا — الإسلام صف الإسلام .

لم يكن يطل الزكر العام للإخوان المسلمين بالقاهرة الشعب النابغة له بالأفاهيم
عمره على هذا المشهد ومصدر الأوامر إلى فرقة العسكرية بالاحتف إلى القاهرة حتى انتهى
سبل الإخوان إلى دار الضيافة بدار مدرسة النيل الثانوية بشبرا ، ولم يتطعم نيار
الزهد من هذه الدار على سننها هؤلاء العيون الحسنة يوم التتويج الملكي حتى

وقد سوا الساحة الثانية مندار الأمر بانظام الموكب قدوى الشباب (الله أكبر
والله الحمد) وأسرع كل وفد إلى مكانه المند له في الصف : ومع النشاط السكافي

والنظام الدقيق استغرق مبر الوكب في خروجه من الدار حوالى النصف ساعة على الصورة الآتية :

السيد نصير بطل العالم يحمل اللواء الأعظم

هذه أول مرة في التاريخ رأيت أو سمعت أن سارية اللواء تبلغ حوالى أربعة أمتار ونصف متر وطولها رقعة فسيحة من القطنية المطفراء . وقد رسم عليها النصف في نصف دائرة حلالية وكُتب في أعلاها الله أكبر ولله الحمد . ومن تحته الإخوان المسلمون . وقد يستغرب القارئ هذا الوصف ويتساءل وأين الرجل الذى يحمل هذا العلم ؟ ولكن إذا علم بعد ذلك أن هذا الرجل هو السيد بك نصير بطل العالم في حل الأختام قد شرح الله صدره للإيمان واعتق مبادئ الإخوان المسلمين وحاز البطولة بالقوى والورع كما حازها في قوة البدن فلا غرابة إذا كان هو حامل اللواء وستمم الصفوف .

فروق الرحالة

وانضمت فرق الرحالة في إمر العلم ، وأردت أن أحصيا عدداً فعددت إلى حوالى المئة صف أربعة أربعة في كل صف ، وحدث بعد ذلك ما منعتني من مواصلة العد .

أعلام الأقاليم

وبنح هؤلاء حملة الأعلام وكانت صفوفهم أكثر من الستين كل اثنين في صف وهذه الأعلام كلها من طراز واحد وقمتها من الموضع الأخضر رسم على كل منها النصف في نصف الدائرة الحلالية ومن تحته (الإخوان المسلمون) شعبة المنصورة مثلاً ، أو شعبة أسيوط . وهكذا كتب عليها أسماء الشعب .

الوفود منتظمة في الصفوف

وبعد هذه الأعلام سارت جموع الإخوان المسلمين يلبسون وسائلاً أخضر اللون وشارة شنيعة قد كتب عليها اسم الإخوان ، وانتظروا صفوفاً في كل صف أربعة . وليس من السهل إحصاء هذه الجموع عدداً إلا بصيلة حسابة كالآتى :

— ٢٥٤ —

تسمى في أنحاء عكس اللوك على حساب دقات الساعة ونحصى كم سناً قلعتها
في خمس دقائق وتضرب هذا العدد في أربعة ؛ إذ ذاك يمكنك الإحصاء تقريباً
إذ لم يحدث لك من روعة القام ما يحدثك تضرب في مئتيك .

سيور الموكب

وقد أخذ الموكب يسير حتى قطع شارع شبرا وتجاوز الكوبري وأبجه نحو
المكرب في شارع اللكة نازلي حتى دار الشبان المسلمين وكانت الساعة قد تجاوزت
الثلاثة والنصف ولم يستد إخواننا في الشبان للخروج — وكان هذا هو الودع الضروب
بيننا وبينهم — كما كان اليوم شديد الحرارة والشمس عمرة قرأت القيادة أن تسجعه إلى
القصر الملكي ثم يلحق بنا الشبان المسلحون .

الحيثيات الإسلامية الأخرى

كان في انتظار الشبان المسلمين بحسب وعدم حيوات إسلامية كثيرة تحمل
أعلامها ، فلما رأيت موكب الإخوان المسلمين يتجه نحو السراي الملكية رأيت هذه
الحيثيات أن تسير تبيناً للإخوان إذ أن الوقت لا يسمح بهذا الانتظار خصوصاً وأنهم
شديد الحرأشد ، وفصل الدكتور عبد الحيد سعيد أن يسير في موكب الإخوان المسلمين
وأنا ب عنده من تصدد موكب الشبان . وكان سرورنا بهذا الاتحاد لا يذانيه سرور .

في ساحة عابدين

كنت لا أجد في ساحة عابدين موصلاً أقدم من شدة الزحام وكنت لا أتكاد
تسمع شيئاً لك من الحثا الذي يتردد صدهاء في الأثير .

وهناك انظم الإخوان على باب القصر واقفين أعلامهم يهتفون (الله أكبر
وهذا الحمد) — الإخوان المسلحون يلبسون لللك النظم .

عهد الإخوان وعتابهم

لأول مرة في تاريخ الحديث ترى مثل هذه الجملوع المنظمة يمثل
هذا الإيمان المبني . وذلك الشعور الفياض يرددون هذه الماني الخالدة : يهتفون

(الله أكبر والله الحمد) — الإسلام منتقد الإنسانية — القرآن دستور الدنيا ومن يتبع غير القرآن قانوناً فقد ضل — نياييك على كتاب الله وسنة رسوله .

في مسجد الكنفيا

وقارت الشمس التروب ، فصدورت الأوامر للإخوان فهوروا إلى أقرب مسجد
« مسجد الكنفيا » لإبرك صلاة العصر قبل فواته ولم يسعهم المسجد فبقي البعض
في خارجه حتى ملوا فرادى بعد انتهاء الجماعة الأولى ، ولم يعلمهم وقت القرب فقلوا
وخرجوا يقصدون دارهم قبل صلاة الشاء .

في ميدان التبة المخضراء

فصدوا بعد ذلك إلى التبة المخضراء وكان يخيل إليك أن الأمة من أقسامها
إلى أقسامها انقسمت إلى صفوف الإخوان المسلمين تهتف من قلوب ملؤها الإخلاص
« الله أكبر والله الحمد — لا نريد غير قانون الإسلام » .

وهكنا انتهى اليوم بسلام ، لم يسكو صفوه شيء مما يحصل في مثل هذه الاجتماعات
عادة ، وكان غاية في الدقة وحسن النظام .

خبر بمحنة الإخوان المسلمون (حول تقديم حسن البنا
لوقد الإخوان لهيئة الملك بالنجاة من الحوادث الأليم)
وفي الخبر عتاب وتحريض على الصحف الأخرى التي لم تهتم بهذا الحدث.

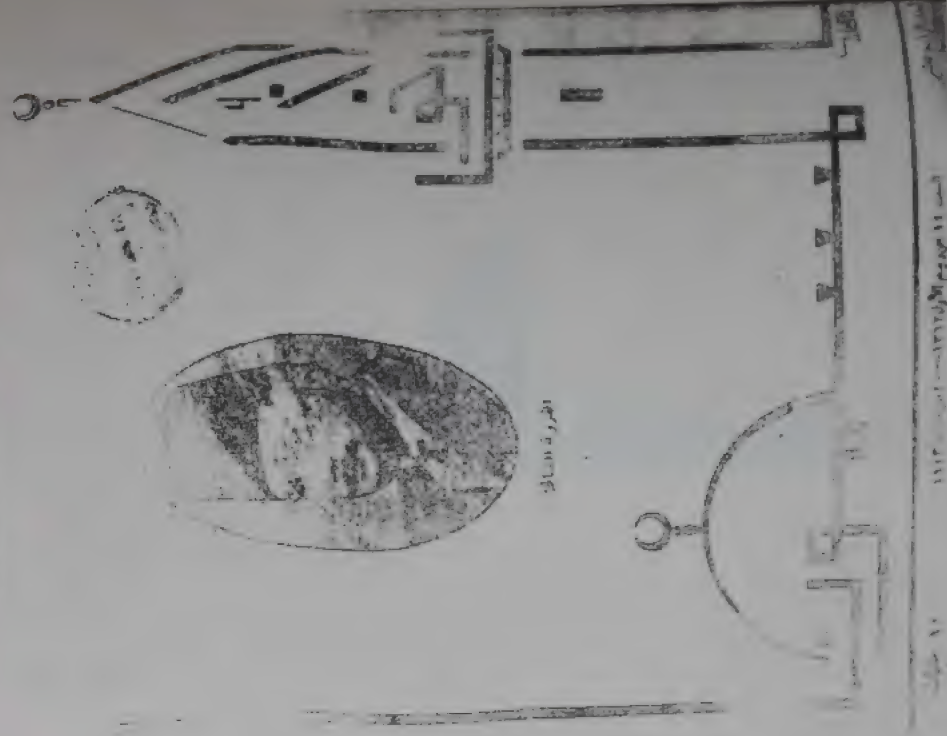
من أبناء الإخوان

وقر الإخوانه في انقصاصهم

لطفت الولي القدير بملك البلاد في
هذه الحادثة التي هزت الشعب وأثارت
حوادث ولاه الكرامة ، ولقد كان
الأخوان المسلمون في علية الوافدين
إلى القصاصين مكان القصاص الأليم -
فذهب فضيلة المرشد العام على رأس وفد
من المركز العام كما ذهبت الوفود ترى
من شعب الأقاليم والمواضع ومن غرق
الجوالة : مجلوم جيماً شعورهم نحو
ملك البلاد حفظه الله وعجل له بالعاقبة
وسرعة الشفاء ونحن نعتب على الصحف
تفاتها عن تسجيل هذا المظهر الطبيعي
الذي تشترك فيه كافة طبقات الأمة !!

(٣)

نموذج من الأخلفة التكررة لمجلة الإخوان المسلمون
وتضم صور للملك تحتها عبارة «القدوة الصالحة»



(٤)

تهنئة الملك بعميد ميلاده ١٩٤٧ م
وهي تهنئة سنوية لم تتوقف حتى اغتيال حسن البنا.

الأخوان المسلمون

من القراءات العشرية

الخصي المفقود

يتم النشر العام

عبد سعيد



أهل عبد - بيلاد ببلانة القاروق
في هذا العام لم يكن أي من هؤلاء أهل
ولا أكرم في أي عام من أي من هؤلاء
بلالة مظاهر الاحتفال وأنواره
سبابة وسافر إلى إقليم السيد
في التكوين منه يزور القراء
العلمين والمسلمين - طلبة ووجهاء فكانت
في دولة القاروق وأعمال الحكومة
الثبات من الأغنياء جليلين في أعين
بكرة محمد علي وحشية الملائم الآخر
بالحسنة للتكوين - قوتهم الباقية
أصبح اليدين جسمهم الثانية
والا تهمون أن يكونوا راء أعيان
القاروق را - يوصلا يأخذ القدمة
التي من القاروق : ولا يكون بر
السلطان ورماله -

الإخوان المسلمون يستجيبون لنداء الزعيم (جبهة شباب محمد ١٩٤٨ م).

مهاجرات ١٩٤٨

الأخوان المسلمون يستجيبون لنداء الزعيم

ويستلزون أنهم دون الحكومة في تحقيق برنامجها الاسلامي

الاجتماعي الذي من شأنه احلها سرياً ساجداً. وقد أصرتم الى التطور الجديد في حياة العالم كله تطوراً، هو مقدمة لتطور اقوى غير منظور اليوم.

ثم ختمت هذا الحديث : بأن علينا ان نغير الطراز المعروف بالمكافرة المخطط بالخطر متجاوزين شديدين مع الصعوبة الشرى واحوائنا أبناء الحرية الكريمة كالبنيان المرسوم بنده، بهتبعه بعضا من فريقين يفرق فيه الحرية والاعتداء بين الصوب يفرق عدل الحكم على اقتراض الطوب والابتعاد وننته الأهم خلال الطائفة والدينية والسلام.

أخبرنا ان هذا الحديث الذي نقرأه في الصحف ونسألكم المطيعة الى حضرات المدبرين والمهاجرين وهو كنكم يا هم الى أن تكونوا أمداء سلام ودعاة صلح نظام بين التلات وأن يدعوا التجوار والبلاد لثبوت مطالب الأهلين وينظروا فيها بالبين المجرمة من كل بدلي وهوي وأن يستمعوا الى شكاوى المظلومين ويمثلوا على دفع الظلم عنهم.

وقرأنا في الصحف أن مع الى وزير الصحة أحمد يدرس باهم شكلا القضاء والبناء من أدل ما هو المثل.

ثم بدأ نلتصص مصر من وجهاتنا في القرى والبيوت من الأهل واليهاء في القرى الصالحة والأحوال الفنية القائمة بروت من واجهم أن يستمعوا لتدركهم وأن يملأوا آمهم من مصر كل الحر من على أن يكونوا عوا الحكم والحكومة المصرية في تحقيق برنامجهم الاجتماعي الذي ألتصقوا به مستمعين دائما. أدب الاسلام النالية ونالهم التفرقة وأعطاهم التماسا

وقد سأل أن يبيننا جبهة غير هذا الوطن العربي.

والسلام عليكم ودعوة الله وبركاته.

جاء في جريدة المصري بتاريخ ٢٦ ذيقع الأول سنة ١٣٦٦ تحت هذا العنوان ما يأتي: منذ أيام قابل حضرة صاحب المقام الشريف مصطفى النحاس باشا حضرة الأستاذ حسن البنا المرشد العام للاخوان المسلمين ببلدنا مينا حاضرين معا بلقاءات ونا قد قد صدر اشيع فيها تصانح وهذه الزعيم القيمة وقد تلقى دعوة الزعيم من الأستاذ حسن البنا الكتاب التالي :

بسم الله الرحمن الرحيم
حضرة صاحب المقام الشريف مصطفى النحاس باشا رئيس الحكومة المصرية

أعلم على جدنا عهد وعلى آله وصحبه وأحبيكم فالسلام عليكم ودعوة الله وبركاته وبعد فقد تحدثت وفضلتكم الى الأمة المصرية الكريمة بدارنا ما سيطر للاصطناع

كثيرا من المبادئ القويمة والأدنى الطيبة التي سرى كل مصري أن يحفظها الله على يديكم

قد ألتصت بالصراحة والتعاون والالتصاح ودعوتهم الأمة الى معارضة حكم والتقدم لكم بالتصريح وودعتم أن تشمل صدورنا جميعا بهذه المبادئ السامية (فمن أبتأ أسرة واحدة من الأسرة المصرية الكريمة)

وقد تم وفكتم انه من دواعي سروركم

أن تصون الأثر الحكومي في هذه الظروف

والتي في تنفيذ سياسة خارجية حكيمة

وتصميم سياسة داخلية بصيرة . . فالواجب

باعتبارنا وحسن به أسكالم المبادئ التي

نقدنا من ورائها سلامة استقلالنا القومي

والا حياطينة هذه الظروف استقلالنا القومي

كما أن الحكومة سامرة على اتباع سياسة

حرارية عاجلة غير الطغرات القويمة قال

بهمها ومن واجب الحكومة والبرلمان

أن يصمعا في وأمر في باجمها درس لمسائل

نظر الفاروق السامي ورأيه الناقب. حسن البنا ١٩٤٦ م. (مجلة الإخوان)

محرم الله بسمها ولا نظير لها ورأيه الناقب

بالقائه في عطفه وتحميه من القذارات وسباته الأولى في جنة الطيرت فموتى القارحة
ويعتبر في عرسه قوماً في عذراته على الأمل ويرثه بأرضه خلفه الخلف قتال :
الحق في السلام والسلام على رسول الله
ولا بعد ، فأنت يا صاحب الجلالة
حرم : صاحب الجلالة الملك فاروق موثق الأمل وسعد الزمان ، وادي النيل
الأول بك وادي النيل حلفك ، ولأنا العروبة والعروب الأحلام -

في مناقشة مع حكومة بريطانيا زعيم
من دولها أن تصل إلى حق الوطن في
السلام ووحدة الأراضي حق عجا حياء
الحرية والكرامة والاستقلال في ظل
حركة البرز وعبك القدي .

وستل قبيلة المناوشات كحلف
ما كانت على قتل الأمة والحكومة
تبعك ذواحيات تنال لا يمكن اليهود
بها إلا إذا وجدت الكرامة وضاعفت
جهودها في المصلح .

ونكتمية ليس في الإغتراف السامي
ورأيت الناقب القعيد فتأمل يا مولاي
وأمر يدرك كرامة هذه الجراح وأنت
لم الخبيب ، ووجه دموتك المنجاة
وأمرتك النافع إلى مسامحة الأحزاب
والطيمات فتاتي حياء عند كرامتك وهي
سكة الوطن العزيز وتشكر عهدة في
برقع الصل لتستعمل القريب والبربر
لأن تنبيل على كل القروض حتى لا يوجد
على مرة ولا ثور من قضاة
والله سأل أن يحفل على يدك الآمال ، إن
بمن يهدك السجود فموتى القارحة
والسلام عليك ووجه الله وكرامته ،
الناصرة في ٢١ من جادي الأولى ١٣٨١
١٩٤٦ من أبريل القدس

سبحه البنا

لرعه القام لا يكون القدي

النقراشي بطل الغلاف... (٢ فبراير ١٩٤٧م)
هي صورة من ثلاثة أخلفة في أقل من شهرين.

الشيخ البشير



إلى الأمام... ١٠٠

مأخوذة من نقراشي باشا عهد مصر صورة وكان عليها أنه أن يسهل بعد أن يحكم ، وما نحن مرة
أخرى نقول له إلى الأمام واصل العمل ولا تنف في الطريق... ١٢

الطابور الخامس يتحرك... وهو مقال يتهم النحاس والوفد بالخنائنة (مجلة الإخوان المسلمون ٢٦ يوليو ١٩٤٧ م العدد ١٦٢).

تحتلته توجهاته، كبريا، خطيب
ممن جعله يهيم، صبر على مجلس الأندلس
قد كان طابور... خطيب... وأما

توجهات... خطيب... وأما
توجهات... خطيب... وأما

توجهات... خطيب... وأما
توجهات... خطيب... وأما

توجهات... خطيب... وأما
توجهات... خطيب... وأما

توجهات... خطيب... وأما
توجهات... خطيب... وأما

توجهات... خطيب... وأما
توجهات... خطيب... وأما

توجهات... خطيب... وأما
توجهات... خطيب... وأما

توجهات... خطيب... وأما
توجهات... خطيب... وأما

بكر... أنا... خطيب... وأما
خطيب... أنا... خطيب... وأما

خطيب... أنا... خطيب... وأما
خطيب... أنا... خطيب... وأما

خطيب... أنا... خطيب... وأما
خطيب... أنا... خطيب... وأما

خطيب... أنا... خطيب... وأما
خطيب... أنا... خطيب... وأما

خطيب... أنا... خطيب... وأما
خطيب... أنا... خطيب... وأما

خطيب... أنا... خطيب... وأما
خطيب... أنا... خطيب... وأما

خطيب... أنا... خطيب... وأما
خطيب... أنا... خطيب... وأما

خطيب... أنا... خطيب... وأما
خطيب... أنا... خطيب... وأما

الطابور الخامس يتحرك

بكر... أنا... خطيب... وأما
خطيب... أنا... خطيب... وأما

خطيب... أنا... خطيب... وأما
خطيب... أنا... خطيب... وأما

خطيب... أنا... خطيب... وأما
خطيب... أنا... خطيب... وأما

خطيب... أنا... خطيب... وأما
خطيب... أنا... خطيب... وأما

خطيب... أنا... خطيب... وأما
خطيب... أنا... خطيب... وأما

خطيب... أنا... خطيب... وأما
خطيب... أنا... خطيب... وأما

خطيب... أنا... خطيب... وأما
خطيب... أنا... خطيب... وأما

خطيب... أنا... خطيب... وأما
خطيب... أنا... خطيب... وأما

غضبته في سبيل الله. (حجّة النذير)

موقفنا النهائي من جمعية الإخوان المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير وباسم الزعيم الأعظم
عبد سيد الأنبياء والمرسلين نتقدم إلى إخواننا في الله معلمين تحت راية القرآن الكريم مدار الخلاف
الذي استمر بيننا وبين الإخوان المسلمين في مسائل جوهرية تخص صميم الدعوة التي بايعنا الله
على أن نعمل في ميدانها في غير هواة أو ضعف أو لين مشهدين الله على ما نقول وهو نعم المولى
ونعم النصير.

والإخواننا في الله نسرد بإيجاز أوجه الخلاف بيننا وبينهم مذكّرين من عرفوا الدعوة وآمنوا
بها بأنها لا تنحصر في مكان ولا تتوقف على شخص ولكنها دعوة الحق، دعوة إله واحد وزعمها
واحد خاتم الأنبياء محمد صلوات الله وسلامه عليه. وهي مقروضة على كل مؤمن.

أوجه الخلاف:

١- الشورى:

يرى فضيلة المرشد العام للإخوان المسلمين أنه لا شورى في الدعوة، وأن الدعوة إنما ينهض
بها فرد واحد له أن يأمر وعلى الجميع أن يطيع. وقد خالفناه في هذا الرأي. وأصررنا على موقفنا
لأن في رأى فضيلته مخالفة للنظام السياسي وتحدياً لصدريه العظيمين الكتاب والسنة
فهما رحمة من الله لست لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانقضوا من حولك فاعف عنهم واستنقر
هم وشاورهم في الأمر.

والمرهم شورى بينهم

حاولنا أن نتفاهم مع فضيلته كثيراً فلمي إلا أن يكون رأيه الفصل ولو كان في ذلك إقصاء
للمخلصين من الإخوان المسلمين. ثم عاد إلى التعلل أخيراً بأنه لم يجد في الإخوان من هو أهلاً
للشورى وهذا ما لا نقره عليه.

٢- العمل تحت لواء الحاكمين بغير ما أنزل الله

من مبادئ الإخوان المسلمين أن لا نجاح للدعوة إلا بقوة الشعب الذاتية وتوجيه الرأى
لهم بوجهها إسلامياً خالصاً دون الاعتناء على الحاكم ولكن الأستناد حاد عن هذا المبدأ القويم

معلمًا أن نجاح الدعوة مرهون بإرضاء الحكام والعمل تحت ألويتهم الحزبية وأخذ يسلك سبيلًا مفرقة ما يابينا الله عليه «وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله» متناسبًا إلا أمل للإسلام فيهم وأهم يحكمون بغير ما أنزل الله - والله تعالى يقول "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون - الظالمون الفاسقون".

«ولا تركبوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم

لا تنصرون».

«أيتفقون عندهم العزة فإن العزة لله جميعًا».

عارضنا هذا بكل قوة مرددين أقوال فضيلته بأننا إسلاميون غير حزبيين وأننا نعمل لله ولرسوله لا لزعيم ولا لحزب مدعين هذا بخطبه في المناسبات الكثيرة وبمقالاته في صحف الإخوان - فابني إلا العمل برأيه وأصر على المضي فيه «أنحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكمًا لقوم يوقنون».

٢ - القاعب المال:

طلبنا من فضيلته تكوين هيئة قوية لمراقبة المال والمحافظة عليه لتكون مسؤولة أمام الإخوان المسلمين فأعرض فضيلته وأصم أذنيه عن هذا القول الذي ننده طلبًا عادًا يتفق مع أبسط مبادئ الإدارة - وكان من نتيجة عدم الأخذ بهذا الرأي أن أنفقت أموال كثيرة لا نقول في أغراض شخصية ولكن على الأقل في غير الأغراض التي جمعت من أجلها.

فأولاً: على سبيل المثال. قد جمع في عام ١٩٣٩ م أكثر من ٣٠٠ جنيه مصري قيمة الشراكات سهم الدعوة وكان الواجب أن يكون نصف هذا المبلغ على الأقل باقياً في خزانة الجماعة حسب القانون المالي لهذا السهم ولكن بكل أسف لا يوجد عليهم واحد من هذا المبلغ في خزانة الإخوان.

ثانياً: على سبيل المثال أيضاً قد جمع في خلال عام أو أكثر على سبيل الاكتتاب من الشعب مبالغ لمساعدة فلسطين الشقيقة في محنتها التي تجتازها وبلغ مجموع هذه الاكتتابات حسب بيان الأستاذ الأخير مبلغ ٥٧٠ جنبها مصرتاً وما لا شك فيه أن هذا المبلغ يعتبر أمانة في ذمة الإخوان فرض عليهم أن يؤدوها لأصحابها بمجرد وصولها إلى أيديهم.

ومع ذلك فلم يصل لفلسطين من هذا المبلغ سوى ٤٦٥ جنبها على ثلاث دفعات أما باقي المبلغ فقد اعترف الأستاذ أن جزءاً كبيراً منه نفق في شؤون الجماعة الخاصة ولا يرى فضيلته في

ذلك مانعاً شرعياً ثم عاد وقال بعد أن سمع من أحد الإخوان حكم الشرع في هذا إنه مستند لجميع هذا المبلغ وأرساله. والمهم أنه لا يوجد كذلك بغزاة الجمعية ملهم واحد من هذا المبلغ أيضاً.

٤. تطهير الدعوة:

الحفنا على فضيلته ورجوته غير مرة أن يحرص على طهارة الدعوة بإقصاء كل الأعضاء الذين تنسوب أخلاقهم الشوائب ليسلم هذا البناء الذي كنا ومازلنا نفتديه بأنفسنا وحتى بسمو عن الطان والشبهات وكان من بين هؤلاء الأعضاء أشخاص اعترف بفضيلته في أحاديث متعددة بعد أن نبين من تحقيقات أبحاثنا بنفسه بأن في وجودهم إضراراً بسمعة الدعوة من الناحية الخلقية. ولكنه أصر على إيقانهم فضلاً عن أنه أسند إليهم أعمالاً رئيسية وأخذ يشيد بذكرهم في رحلاته إلى الصعيد وغيره.

وأخيراً:

على هذا اختلافنا وكان موقفنا واضحاً جلياً لا غموض فيه.

وكان اختلافنا على المبادئ العامة فلم نلجأ إلى دعاية شخصية ولا إلى أساليب كلامية متخيلين من محمد صلوات الله وسلامه عليه إمامة ومن كتاب الله الكريم منهجاً - هوجنا أشد المهاجمة وعودينا أشد المهادنة فلم نقابل العدوان بمثله بل كنا نردده قوله تعالى «وإذا سمعوا للنفو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين».

غير أن هذا الموقف الهادئ نفسه لم يعجب فضيلة الأستاذ - فقد أعلن وقد راعه تأييد الإخوان المسلمين الثوراني لموقفنا بأنه لا يستطيع العمل معنا على هذه الأسس التي تنمستك بها بحق كل الاستمساك ويأبى بكل قوة أن يجيب على أى واحدة منها ولذلك فقد أعلن فصلنا من جماعة الإخوان المسلمين.

ولما كنا قد عاهدنا الله تعالى على أن نظل طوال حياتنا جنوداً للإسلام نجاهد في سبيله «حتى لا نكون فتنة ويكون الدين كله لله» عاملين تحت راية القرآن متأسين بالزعيم الأول سيد الأنبياء وأشرف المرسلين محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام.

ولما كان الجهاد في سبيل الله والعمل معتمدين على أنفسنا ورض عن العمل لتحقيق المثل العليا التي نقر بها (ولينصرن الله من ينصره إنه لقوى عزيز) (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم).

ونحن إذ نسير في طريقنا في عزم وقوة مزودين بأعمق الأسس رائدنا الإخلاص ووجهتنا الله سبحانه كل شاب مؤمن يدين أن العناية النبيلة مقبلين على تلك التي نعرفونها.

أيها المسلمون الأبرار في ميادين الجهاد والتضحية مترسمين ٩٩٩ المجاهدين والأنصار الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

التوقيعات:

- محمود أبو زيد عثمان: مدير «النذير» وعضو مكتب الإرشاد العام سابقاً.
- السيد عثمان المرافي: مندوب شعب الأقاليم.
- محمد الحسيني: مندوب شعب القاهرة ومندوب كلية الشريعة.
- يوسف قنيم: مندوب شعبة أسبوط.
- علي سامي النشار: الفلسفة وعضو لجنة تحرير «النذير».
- محمد حسين: لجنة الطلبة والعمال العامة.
- عز الدين عبد القادر: مندوب كلية الصيدلة.
- محمد عزت حسن: مندوب كلية الهندسة.
- فهمي حمزة فرج: مندوب الطب البيطري.
- عبد المال رشدان: مندوب الفنون التطبيقية.
- راغب خير الدين: مدرس بالجمعية الخيرية الإسلامية.
- محمد حمص: المهندس بالقناطر الخيرية.
- محمود حسن جدامي: كلية الزراعة.
- حسين عوض بريقى: كلية الحقوق.
- أحمد عامر: كلية الحقوق.
- عبد المجيد النجار: كلية التجارة.
- محمد فهمي عبد الوهاب: الفنون التطبيقية.
- محمد على الملاوى سكرتير لجنة الطلبة والعمال العامة وعضو مكتب الإرشاد سابقاً.

رسالة الملك إلى شباب الوادي (مقال على خلاف المجلة) ٢٨ سبتمبر ١٩٤٣ م

الجنرال الميرسيون

والشكر إلى شباب الوادي



رسالة الملك إلى شباب الوادي

تفضل جلالة الملك جرياً على عادته الكريمة بتكريم شباب الجامعة والأزهر بإقامة حفل لهم تقصر رأس التين العامر حياهم فيه بعطفه ثم قابلهم وأهدى كل واحد منهم هدية هي صورة جلالاته، ثم أذيعت رسالة جلالاته إلى الشباب وتسجلها فيها يلي:

يا شباب الوادي:

يا مناط الأمل ومعقد الرجاء، وما كان للشباب هذه القيمة، إلا لأنه الفصل من العمر الذي نجيش فيه النفوس بأعذب الأمان، ونشتت فيه العوائم إلى الجليلد من الآمال.

أنتم الآن في سن، هي سن الأحلام والآمال، فليكن لكم نفع في جامعتكم، وكلكم حرص على ما تتطلبه الجماعة منكم، فما استحق الحياة من عاش لنفسه فحسب.

إن العلم اليوم قد انفتح مداه، ولا تظنوا أنكم وقد تخرجتم في دور العلم قد نلت منه ما يروي ظمأكم، فعملوا لتزداد ثقافتكم سعة وعمقاً، وتزدادوا للحياة فهماً وإدراكاً لما فيه من جمال وجلال.

واني حرص على أن أسمع من رجال البعث عنكم ما تروح له نفسي وترضاه لكم بلادكم، وأنا لتريدكم رجالاً أقوياء، لأن عصرنا هذا لا يعيش فيه إلا القوي، وأقروا الثقة بالطموح، إذ لا خير في أمة تفقد روح الطموح.

ولكن لكم مثل أعلى في الحياة، فإنه هو الذي ينير لكم الطريق، وبشيت أقدامكم عند السداد، ويغرس فيكم حب التضحية، وإن مصر وهي نعلن حراً شعواء على الفقر والجهل والمرض، تنتظر من شبابها المثقفين فتيات وفتياناً أن يساهموا في خدمتها حتى يؤديوا الرسالة الكبرى، رسالة الوطن القوي العزيز، وأن ينصرفوا إلى إعداد نفوسهم الإعداد الكامل، ويتقيدوا الآراء المعوجة، التي هي وليدة تفكير غير سليم، حتى يكونوا كما قلت لهم من قبل: ناراً تضيء لا ناراً تحرق.

أيها الشباب:

هذه رسالتكم وإياها لرسالة مصر لكم، مصر التي هي آمالنا وأحلامنا فانبضوا بها، وأدوها حتى أداها، فالإنسان الجليلد باسم الإنسان هو من أدى واجبه وعرف حقه.

عينة إلى الملك بالانتصار في حرب ١٩٤٨ م



تقرير عبد الرحمن عمار إلى النقراني باشا
هصورة هذا التقرير بحوزة حفيدة النقراني باشا، هدى أباطة،
ونشره بإذن خاص منها، فلها كل الشكر

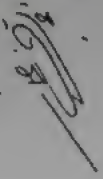
(١١)

محرر الليلة الشيخ حسن البها إلى دودان وزارة الداخلية ومطلب طلبة
بحية الامانة البها بالصور طاعة عريف في ايلاتها سوريا الى حدة صاحب
الدولة رئيس مجلس الوزراء ، ا لعلنا كاللواء عددا باله قد علم ان الحكومة
الصدرة قرارا بحل جماعة الاحوان المسلمين او هي في سهل امداد هذا
للقرار والله عريف ان يعمى الى دولة رئيس الوزراء باله قد تولى بهاها
ملى تولى الانتظام بالمشقون السياسة وقصر تسيطر السياسة على المشقون
الدعوة كما كل المال في بداية تسليم جماعة الاحوان المسلمين والله عود من
كل تسليم المعلنون مع دولة الرئيس صلونا وفيما توبه الحكومة في كل الانسور
والله كمثل عريفه رجاله في كافة الهيئات بالسر على شخص هذا الانبياء
كما اعمى من اسلمه لنا وقع في جهات اركانها انتماص منه لهم اعدوا
ملى الاحوان المسلمين وراى عريف على سطر لى بالها تالوا الله كل عريف
عيفا له ولكن عيفا صلونا وعرف وعظم طم - ثم تكلم باله دولة
الطوائى بالها تالوا الله على يمين من دفاعه وحججه على عدية وكلمه
ودالله في كل الانسور - والله لو علف من طاعة دوله محمد ان حلت على
ثم بالها فيها سبب عصورة لافوا للوشاة لا تفتح دولته باله من صالح
الشكوة والامة كما ان يمين للسفر اللهم الذي ياعد الاحوان المسلمين
عوات طوية من قلعهم كما قال الله يمين على ط وعريفه وعرفهم
ان عمار هذا الصبح على به دولة الطوائى بالها للسفر على عدية بلاد
ثم قال الله اذا عدى ان علف للسفر الشكوة في ا اصحجه من ط الهامة
باله عدى الله ورجاله سوف لا يصدروهم بادرة صكر صلو الاثر لا
يلى على مثل هذا العمل الا يمين كما لا عدى ان الشكوة لو صلوات عدى
للى للسفر لى بالها

٦

وختم حديثه بقوله انه على استعداد للمودة بجماعة الاخصوس
السلخى الى قوامدها معيدا عن السياسة والاحزاب خوفا على خدعة الدو
وتشرعاليه: بل انه يتنى لو استطاع ان يحتف في سته ويتشرا
ويؤلف مؤثرا حياة المنزل ثم جعل يحكى بكاء شديدا ويقول انه سهر
الى مقوره في انتظار تعليمات دولة رئيس الوزراء داسيا له بالفسير
والتوفيق .

ولول الرافلية



٨ ديسمبر ١٩٤٨

التماس البناء إلى جلالة الملك.

«صورة هذا التماس بحوزة حفيذة النقراني باشا د. هدى أباطة،
ونشره بأذن خاص منها، فلها كل الشكر»



بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي جعلنا من عباده
العلماء والفقهاء والصلحاء

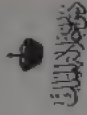
(١١)

سرى.

١٦٦٦

محضر صاحب لدراسة محمود زكي بنقراني باشا

رئيس مجلس الوزراء



(١٦٦٦)

[١٤]

مفتوحة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء

انصرف بان ابعثت لى ولتكم مع هذا - بالاحالة - بالتمسار
تلقاه الديوان من فضيلة الشيخ حسن البنا ، المرشد العام
للأخوان المسلمين .

وتعطفوا يا صاحب الدولة بتقبل أسس مبادئ الاحترام ...

رئيس ديوان حسن البنا

١ ديسمبر سنة ١٩٤٨

البيان التفصيلي : الأسماء
رقم البند :

بسم الله الرحمن الرحيم

اللائحة الأساسية

مادة ١ : ١٩٧١ - ١٩٧٢

(٢)

مادة ١ : ١٩٧١ - ١٩٧٢

ويجوز تعديل السلطة تفصيلا بدون انهاء او تعديل سكرتير عم العام ويحق له هذه
هشتم رتبة من المرات والمصالح المختلفة بشرط ان يكون له صلاحيات الدائم يتصلون بالهيئة
ولو بالتفويض ان يقيم قسم البرر الخدمة الاجتماعية للموسم او ينظر اليها الى الاياكس
الثانية والمها وهي الحقيقة وما عليهم ان يتقروا ان عدلان موثوقا بالمرور غير
ولكن مدونة هذه التغيرات في هذه التغيرات القانونية التي تجعل معنى الانقسام والانقسام
تصبح المدونة وتغير التغيرات وتسمى المهام في تنويع صلاحياتهم ومرونة صلاحياتهم على المساواة
ويجوز الرقيب العام آخره يتمتعون بجزء من صلاحياتهم المهمة التي تجعل صلاحياتهم
بجانب الهيئة لها ولا دليل عليها بل انه لو صحت الاوضاع لكان للموسم ان يواصل
الرقابة ان تبدد المؤامدة بغير انهم فيها ويستقيم معها وعدم اذاعتهم التي تشكلت بها
السلامة حق

وآخره على الاغواء والتشجيع قرار حل الهيئة ووحيد الحكومة لكن مس

الصلح بها بالتوازي والتشجيع وعشائم الامور

وأما سيرا يحاولون دولة رئيس الدولة ان يلقى بالاحوال تهمة العوائد
السودانية التي لم تكن الا عدوى لهذا الصدور ان من الحكام في السودان والجهاد امواتا
حكومة الجامعة الذي كان المركز العام للاسوان المسلمين اول من اسف له وتا لم
سواء كان رحمه الله مصروفا مستطفا على حوزتهم ودفعه عن ههتهم وموا تفسه
الطبية في سالف الحقن الى صلتهم مع حكمة في الصلح والاحسان في التمرير

بعد ولم يجردها القوم من البري الى الا ان وان كانت وراة الداحلية في بلاعتها
الموسسة تد حائل من السبابة ومستف كلمة القضاء او طلت على روادها الا تشهاد انهم
الا ربا

بما صاحب الخلا

اسمح ان احرأ في هذا العلم والمكرم قالون ان هذه المجموعة من الاحوال
المسلمين في وادي النيل هي أشهر مجموعة على شهر الا رضى عن سريرة وحسن
سيره واحلا ما للده والنوش والخالص على العرض في كل كدامهم في سهل دخرة لا

طهارة النوراني

وقد قيد

١٣٠١
١٣٠٢

خبرنا

(٣٦)

سورة الزمر الزمر

الأنوار المبرورة
المكرات

١٣٠١ - ١٣٠٢
١٣٠١ - ١٣٠٢

نخرج أيضا عما رسم الأسلام الخليل قيد منورة وأهم بحكم إيمانهم ورسولهم
وأنعامهم وانتشار دعوتهم لكل مكان في المداخيل والمداخيل أعمل قوة هبعت عليها
من يريد بها الوطن الحبيب وشعبي له التقدم والسيادة وأكسب رفقا في سبيل
كل غافل لحبيب البلاد والسيادة وأن تعظم دعوتهم والقضاء عليهم وقوما تستجيبهم
الحكومة إذا أرادته وحسب عليه ولو في سائر البلاد والسيادة بما في يد هبسا
من طليعات غسقية وما حلك من مؤازر منة تفر من المستلحة في تلي من خواتمها
على مائة هذا الوطن المحبته وفيل للبلدية البهوية من دون الأمل والصد
والاستقامة والشكر فيه على أن تتألم هذه المؤات في مثل هذه المبرور والصد
معوزة ولا يحترق في آراء من تعذيب من يلزم سورة رئيس الحكونة بها له المنه
وحسن هذه المينة الحكونة أعم الله وأما المبرور في المبرور الذي لا يسر ولا
يرحمهم

يا صاحب الخلافة

إن الأسماء المستعينة باسم تعصب والذين المبرور قلة بل هو من يعزى
ويعزى بل هو من يعزى بل هو من يعزى بل هو من يعزى بل هو من يعزى بل هو من يعزى
بل هو من يعزى بل هو من يعزى بل هو من يعزى بل هو من يعزى بل هو من يعزى
بل هو من يعزى بل هو من يعزى بل هو من يعزى بل هو من يعزى بل هو من يعزى
بل هو من يعزى بل هو من يعزى بل هو من يعزى بل هو من يعزى بل هو من يعزى
بل هو من يعزى بل هو من يعزى بل هو من يعزى بل هو من يعزى بل هو من يعزى

المبرور

طهارة النوراني

وقد قيد

حسن البنا يحرض على قتال الأقليات - القصص سر جيوس - المناهضة المصرية

حسن البنا يحرض على قتال الاقلية - (٣)

بمع أن سلخ ميوته بعلم الحكومة !

صفحات جريدة النشأة التي نقلنا عنها افتراس مسيحية من كبار العلماء في عدد المارة السابق وفي مقدمتهم فينيكس بنعي البابا المعمرية التي قال عن حسن البنا الذي اتقى هذه الفتنة الاصلية ، وانه احمق يدخن نيكوتين ، قبل ان يذنبه الآخرون !

فلا عجب يا شيخ السوء ان تشيخ دعاء الاقلية وامرهم بقاتواك وقد استعنت الامراض والنفوس والنفقة قديمها دأبهم تحذر رجل مسيوك ما يدين

ولعل في فتاوى حضرات علماء المسلمين التي نشرت هناك في الصفح باعمال المسلمين في بلاد الشرق المشرق

يعبروا بانوارك عرض المظلمة ويدوسوا افتراسك تاسميرك تحت موشل ، مدلمم ، لا يستشعروا لك انما في انقول او

انكحت الاميرة الى الجير الامير الذي فيه تسخير المظالم البقي

من اشد ما يفتن الشبهات وهو بار في الوقت نفسه من ابواب

الحصول على الشهادة وهو بار في الوقت نفسه من ابواب

افداء الاحلاق كما جاء عنك في رأي معينة الانشاء غروب

شلتوت مغرور مع كبار العلماء

وانا لسالك الله التي اعلم جملة الاخوان المسلمين سخي

اكتشفوا احكامك وتبرجك وشروطك ومغاسلك فاشنوا

وامرهم منك وكشفوا الناس مثابك ومغاسلك تصور

زكوتي في عيوت عن الاله عليها مع ما فيها من فضائح

كانت كافية ان تعيقك الى مائة - حجة - كما اطمع الشعب

المصري ان يابحوا ان علماء الدين الاسلامي يستغفروهم في

امرك في فتاواك فلم يتأخر اصحاب القضية عن ان

يرفوا صافك ويستجروا تقديرك ويجردوك من كل روح

ديني او ادبي او اخلاقي

لما كذبت ان بلهم الحكومة الحاضرة ان تترأس منك

ولا تداهلك على القيام على وجباتك بعد ان صعدت انما لك

ووري الشعب للمصري بافتكاشك ان حرائك صعدت كواميرة

نعمو صياح اللامع بين الناس ان عارها وبها كرامات

ان لكسوة ويا بطلك كل من يفسد يد يديا من بالاصفات

(ينسخ)

يقول الشيخ السوء حسن البنا في تفسيره لسورة التوبة :
وامر الكائنات بقتلهم كما يقال المشركون غدا اوقا
اصدرا على ارض الاسلام او حالوا اوقيا القتل دعوتهم ..
انما الكتاب قد نخص الاسلام في امرهم ارباب الاكفاد
بعد الحيرة منهم فمن تهربوا بدنا ودرنا بها فقد وجب
ان يرفع عنهم عقوبت ويقتلهم في ذلك القوم والعابون

والشركون من غير العرب والوثنيين ،
اولئك هم الناس كيف ان شرح السوء يسوي بين اهل

الكتاب وبين المشركين والوثنيين في قتلهم واخذ

الحجة منهم ا وهو ان يقول هذا القول يخالف آيات القرآن

المرسمة التي تعيى وقد عينا بين اهل الكتاب وغيرهم

من الشريرة ان يبين اهل الكتاب وبسببهم بعض قد

جاد في سورة آل عمران ، في تفسير سورة من اهل الكتاب

في ثلاثة آيات الله تبارك وتعالى وم يستحقون يؤمنون

في قوله وآمرهم بالشرك ويؤمنون عن الشرك

ويستحقون في الحيات واثباتك من الضالين ، وما جاد

في سورة التوبة قوله : ولست اشد الناس عدوا لقلوب

كسرة اليهود الذين اثم كسرة ، ولست اشد نفوسهم مودة

لنفس اليهود التي قالوا انا نصارى ذلك ان منهم قبيح

ودرجاء وانهم لا يشكركون ، بل هناك في القرآن

ما يسوي بين صواع الصاوي وبسببهم وبين مساجيد

المسجد قوله : ولولا دفع الناس عنهم يعني لهدمت

صوامع دينهم وصناديقهم يذكر فيها اسم الله كثيرا

هذه سورة القرآن الى الصاوي اهل الكتاب وكثير

منهم لا يفرق بين اهل الكتاب وغيرهم ان

الشرية وهم يبيدون ، ولكن لا يجب اذا عاين عاين الشيخ

حسن البنا ان يكون الصاوي وراح يفسر ما حسب

عواقه تفسيره بغير ما حسب دعاه في وقت واقف لصاحبه

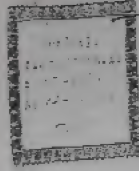
سوء مايقع ، بل في التوبة ، والبراءة من قبل القوم

وان مايل يدين ضمن المسلمين ، الاثم الاثم استحق

لا اثم صعدت دعاء الاسلام الذين هاتهم حررت هذا

على الشهرة بالدين والافتخار فرأوا بطلت في

سلامة موسى والإخوان



بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

الإخوان المسلمون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

المحتويات

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة.....
١١	الفصل الأول: صمودية الكتابة عن حسن البناء.....
	الفصل الثاني: أول لائحة تستبعد السياسة نهائيًا وفي الثانية صارت السياسة الأصل.....
٢٣	الفصل الثالث: التكفير في تعاليم المرشد.....
٣٣	الفصل الرابع: طريق الدم.....
٤١	الفصل الخامس: حرب فلسطين.....
٦٥	الفصل السادس: القمص ودولة عم حسن.....
٨٣	الفصل السابع: الجميل السعدي.....
١٠٧	الفصل الثامن: إلى السفارة الأمريكية.....
١١٧	الفصل التاسع: حسن البناء والملك فاروق.....
١٣٥	الفصل العاشر: نقيض الأفغانى ومحمد عبده.....
١٤٧	الفصل الحادي عشر: أنا الدعوة والدعوة أنا.....
١٦٣	الفصل الثاني عشر: من الشهيد ومن القنبل.....
١٧٧	الفصل الثالث عشر: الفرق في بحيرة المسمل.....
٢٠٧	الملاحق.....
٢٢٣	

حسني البنا

الذي لا يعرفه أحد

حمل حسن البنا، مؤسس جماعة الإخوان المسلمين، بين أنفه ومريديه لقب "الإمام الشهيد" بألف لام التعريف، وهو اللقب الذي وأن أطلق في التاريخ الإسلامي على سيد الشهداء الحسين بن علي؛ البنا أنصاره هو كذلك .. الرجل المهيم .. الفورياني .. الرياني .. الذي القرآني، وهي صفات ترفع صاحبها فوق ما هو إنساني وتقترب به من حد القداسة والعصمة.

في المقابل أطلق خصوم حسن البنا، وهم أكثر، عليه لقب "راسيوتين" والمعنى أنه عندهم رجل الشرور والمخاسد، وأنه توارى خلف قناع الوهم والفضيلة لينشر الخراب والفوضى.

تري أين يقع حسن البنا بين هذين التقيضين ومن هو بالضبط .. الإمام الشهيد أم راسيوتين؟ ذلك ما يحاول الكتاب البحث فيه والتساؤل حوله، معتمداً على أعمال حسن البنا ورسائله وخطبه، ولأن مؤسس جماعة الإخوان كان رجل تنظيم قبل أن يكون رجل تنظيم .. والفعل عنده يستلزم كلمة ويقتدماً، لذا ذهب الكاتب إلى الوثائق المتعلقة به وتلك التي دونها من اقربوا منه أو تعاملوا معه.

MADBOULY BOOKSHOP

مكتبة مديوني

6 Talat harb SQ. Tel 25756421

٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة - ت ٢٥٧٥٦٤٢١

www.madboulybooks.com - info@madboulybooks.com

حسنى البينا

الذى لا يعرفه أحد

حمل حسن البنا، مؤسس جماعة الإخوان المسلمين، بين أنصاره ومريديه لقب "الإمام الشهيد" يأنف لام التعريف، وهو اللقب الذي سبق وأن أطلق في التاريخ الإسلامي على سيد الشهداء الحسين بن علي؛ البنا بين أنصاره هو كذلك .. الرجل الملهم .. النوراني .. الرباني .. الرجل القرائي، وهى صفات ترفع صاحبها فوق ما هو إنساني وتقرّب به من درجة القداسة والعصمة.

في المقابل أطلق خصومه حسن البنا، وهم أكثر، عليه لقب "راسيوتين"، والمعنى أنه عندهم رجل الشرور والفساد، وأنه توارى خلف قناع الورع والفضيلة لينشر الخراب والفوضى.

ترى أين يقع حسن البنا بين هذين النقيضين ومن هو بالضبط .. الإمام الشهيد أم راسيوتين...؟ ذلك ما يحاول الكتاب البحث فيه والتساؤل حوله، معتمداً على أعمال حسن البنا ورسائله وخطبه، ولأن مؤسس جماعة الإخوان كان رجل تنظيم قبل أن يكون رجل تنظيم.. والفعل عنده يسبق الكلمة ويتقدمها، لذا ذهب الكاتب إلى الوثائق المتعلقة به وتلك التي دونها من اقترابوا منه أو تعاملوا معه.

مكتبة مذبولى

MADBOULY BOOKSHOP

٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة - ج ٢ ٢٥٧١٤١١

6 Talat harb SQ. Tel:25756421

www.madboulybooks.com - info@madboulybooks.com

حسنى البنا

الذى لا يعرفه أحد

حمل حسن البنا، مؤسس جماعة الإخوان المسلمين، بين أنصاره ومريديه لقب "الإمام الشهيد" بألف لام التعريف، وهو اللقب الذي سبق وأن أطلق في التاريخ الإسلامي على سيد الشهداء الحسين بن علي؛ البنا بين أنصاره هو كذلك .. الرجل المههم .. النوراني .. الرياني .. الرجل القرائي، وهى صفات ترفع صاحبها فوق ما هو إنساني وتقترب به من درجة القداسة والعصمة.

في المقابل أطلق خصوم حسن البنا، وهم أكثر، عليه لقب "راسيوتين"، والمعنى أنه عندهم رجل الشرور والمفاسد، وأنه توارى خلف قناع الورع والفضيلة لينشر الخراب والفوضى.

ترى أين يقع حسن البنا بين هذين النقيضين ومن هو بالضبط .. الإمام الشهيد أمر راسيوتين ..؟ ذلك ما يحاول الكتاب البحث فيه والتساؤل حوله، معتمداً على أعمال حسن البنا ورساله وخطبه، ولأن مؤسس جماعة الإخوان كان رجل تنظيم قبل أن يكون رجل تنظيم .. والفعل عنده يسبق الكلمة ويتقدمها، لذا ذهب الكاتب إلى الوثائق المتعلقة به وتلك التي دونها من اقترابوا منه أو تعاملوا معه.

مكتبة مديوني

MADBOULY BOOKSHOP

٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة - ت : ٢٥٦١٤٢١

6 Talat harb SQ. Tel:25756421

www.madboulybooks.com - info@madboulybooks.com